٣

قافية الباء

وقال يمدح المعتصمَ بالله أبَا إسحقَ مُحمدَ بنَ هارونَ الرّشيد (ويذكر حريقَ عَمّوريّةَ وفتحَها)[١]:

١ — السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ فى حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ واللَّعِبِ

الأول من البسيط والقافية متراكب .

كان المنَجّمون قد حكموا أنّ المعتصمَ لا يَفتح عَمّوريّةَ ، وراسَلَتْه الرّوم بأنّا نجدُ فى كتُبنا أنه لا تُفتَح مدينتُنا إلاّ فى وقت إدراك التين والعنَب ، وبيننا وبين ذلك الوقتِ شهورٌ يَمنعُك من المُقَام بها البَردُ والثلج ، فأبى أن يَنصرِفَ وأكبّ عليها ففتحها فأبطل ما قالوا . [ع] وقوله : « أصدقُ أنباءً » كلام قد دخله ترجيح ، وهو من مواطن التمييز ، وإذا كان المميَّزُ ليس من نفس المميَّز جاز أن يقعَ واحدًا وجمعًا مثل قوله : « أصدقُ أنباءً » ولو كان فى غير الشعر لجاز أن يُقال نبَأً ، وكذلك أخوك أخْدمُ الناس عبدًا ، ألا ترى أنّ العبدَ غيرُ الأخ ؟ فإن قلتَ أخوك أعظمُ الناس رأسًا امتنع أن يكون الجمعُ فى موضع المميَّز الواحد[٢]. وقوله : « فى حدّه الحدّ » الحدّ الأوّل للسيف ، والحدّ الثانى الذى يفصل بين الشيئين ، كالدار والدار ، والقَراح والقراح . أى أنّ السيفَ إذا استُعمِل فقد برئ الأمرُ من الهزل * .

٢ — بيضُ الصَّفَائِحِ لا سُودُ الصَّحَائِفِ فى
مُتونِهِنَّ جِلاءُ الشَّكِّ والرِّيَبِ

« الصحيفة » الكتاب ، اسمٌ شائع ، فيقال للكتاب الذى يُكتَب فى الحاجة

---

(١) ما بين القوسين زيادة من أصول الصولى ومن س .
وقال أبو بكر الصولى : وقرأتها على أبى مالك قال قرأتها على أبى تمام .

(٢) قال ابن المستوفى فى ذلك : إنما امتنع لأنه ليس له إلا رأس واحد .

صحيفة، وللدفتر صحيفة، وكذلك المصحف. وإذا قلتَ صحائف فالهمزُ واجب، ويجوز أن تجعل الهمزةَ بين بين، والذى دلّ عليه كلامُ سيبويه أنه لا يجوز أن تجعلها ياءً خالصة، وقد حكى غير ذلك[1] أبو عمر الجرمى، فزعم أنهم يقولون عجايز بياء خالصة، وكذلك الحُكم فى كل ما كان على فعائل. و« الصفائح » جمع صفيحة وهى الحديدة العريضة، ويُقال للسيف العريض كذلك. والذين يتكلمون فى نقد الشعر يسمون مجيءَ الصحائف مع الصفائح تجنيسَ القلب لأنّ الهجاءَ متساوٍ، وإنما قُدّمت الفاء « والجِلاءُ » ممدود: كَشْفُ الأمر ورفعُ الغطاء عنه حتى يظهرَ الكامنُ المستترُ فيه، و« الشَّك » و « الرَّيْبُ » واحد، فكرّر لاختلاف اللفظين. والمعنى: أنّ السيوفَ تفصل بين الحقّ والباطل حتى تَتبيَّنَه. ولم يقل جِلاءُ الحقّ والرّيب لأنّ الحقّ معروفٌ واضحٌ جلىّ، وإنما يُتبيَّن ما يُشكّ فيه [ق]. ويحتمل أن يكون « فى متونهن » خبر المبتدأ و « لاسوُدُ » معطوف عليه، ويحتمل أن يكون « لا سوُدُ » هو الخبر، ويكون المعنى: أنّ السيوفَ غيرُ الكتب، كما تقول زيدٌ غيرُ عمرو، أى شأنه غيرُ شأنه، ثمّ بيَّن فقال: فى متونهن كذا *[2].

٣ والعِلْمُ فِى شُهُبِ الأَرْمَاحِ لامِعَةً
بَيْنَ الخَمِيسَيْنِ لا فى السَّبْعَةِ الشُّهُب

يَرِدّ على المنجِّمين ما حكموا به لأنّ الظَّفَرَ كان قبلَ حُكمهم، ويعنى بـ « شُهُب الأرماح » أسنتَها، وقد استعملت الشعراءُ ذلك قديمًا، قال الأفْوَهُ:

جَحْفَلٌ أَوْرَقُ فيهِ هَبْوَةٌ ونُجُومٌ تَتَلظَّى وشَرَارُ[3]

ويعنى بـ « السَّبعة الشُّهُب » الطوالعَ التى أرفعُها زُحَل وأدناها القمرُ وبعضُها

(١) فى الأصول « نحو ذلك » والسياق يقتضى ما أثبتناه (انظر سيبويه ٢ : ٣٧٨).

(٢) ذكر ابن المستوفى فى كتابه زيادة للتبريزى يرد بها على كلام الموزوقى، ولم أجدها فى النسخ التى بين يدى من شرحه. قال أبو زكريا: القول هو الأول، وإذا جعل بيض الصفائح غير سود الصحائف على ما ادعاه جاز أن يكون قوله « فى متونهن » مع ما بعده حالا من الصفائح، ونصب « بيض » و « سود » على ما ذكره أولى من رفعهما.

(٣) ديوان الأفوه الأودى ص ١٣ — والأورق الذى لونه بين السواد والغبرة.

الشمس[١] [ع] . ولا يُعرف أنّ الشمسَ جُعلتْ شهاباً فى كلام قديم، ولكنّها لمّا جاءتْ مع الستة التى تُسمّى كلُّها شهاباً جُعلتْ مثلَهنّ ، وكذلك القمرُ لغَلَبَةِ ما كثُرَ على ما قلّ ، وهذا أسهلُ من قولهم القَمَران يُريدون الشمسَ والقمر ، ويُشبهه فى بعض الوجوه ما جاء فى التنزيل من قوله تعالى : « فمنهم مَن يمشى على بطنه » لمّا خلَط الإنسَ بغيرهم جازَ أن يُوقع « مَنْ » على مالا يَعقل. وقوله : « لامعةً » نَصْبٌ على الحال من شُهُب الأرماح ، وهى الروايةُ الصحيحة . ومنهم من يقول : « لامعُهُ » فيُضيف « لامعاً » إلى الهاء وذلك ردىء ، والوجه الأول هو الصواب[٢] * . و « الخميسان » الجيشان ، ويُقال إنّ الجيشَ سُمّى خميساً فى زمان كانت الملوكُ إذا غنَزتْ أخذتْ خُمُسَ الغنيمة لأنفسها ، فالخميسُ إذاً فى معنى المخموس ، من قولهم خَمَسْتُ القومَ إذا أخذت خُمُسَ أموالهم .

٤ أَيْنَ الرِّوايَةُ أَمْ أَيْنَ النُّجومُ وَمَا صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ

أصل « الزُّخْرُف » ما يُعجبك من مَتَاع الدنيا ، وربما خُصّ به الذهب ، ويقال للقول المُحسَّن المكذوب زُخرُف لأنه حُسِّن ليَغُرَّ .

٥ تَخَرُّصاً وَأَحَادِيثاً مُلَفَّقَةً لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلا غَرَبِ

« التَّخرُّص » التكذّب وافتراءُ القَوْل ، « ومُلفَّقةً » أى ضُمَّ بعضُها إلى بعض ولَيسَتْ من شَكْل واحد . و « النَّبْعُ » شجر صُلْب ينبت فى رُؤوس الجبال وتُتَّخذ منه القِسِيّ ، وإذا وُصف الرجلُ بالجَلادة والصبر شُبِّه بالنَّبْع أى أنه صُلْب لا يُقدَرُ على كَسْره ، ومن أمثالهم « النَّبْع يَقرعُ بعضُه بعضاً »[٤]

---

(١) فى الصولى : يريد بالسبعة الشهب زحل والمشترى والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر .

(٢) ذكر الصولى هذا الوجه فى شرحه وقال يعنى العلم ، يقول صحيح العلم فى الحرب لا ما استدلّ عليه بالنجوم ، ثم ذكر الوجه الأول وقال : كأن العلم فى شهب الأرماح فى حال لمعانها .

(٣) م ، د : بل .

(٤) مجمع الأمثال ٢ : ١٩٧ .

يُضرب مثلاً للقوم الأشدّاء يُبْلَوْن بمثلهم فى الشدّة . و « الغَرَب » شجرٌ ينبت على الأنهار ليست له قُوّة .

[ع] يقول : هذه الأحاديثُ ليستْ بقوية ولا ضعيفة ، أى هى غيرُ شىء ، كما يُقال ما هو بخلّ ولا خمر ، أى هو كالمعدوم ليس عنده خيرٌ ولا شرّ[1] . *

٦ عَجَائِباً[2] زَعَمُوا الأَيَّامَ مُجْفِلَةً[3] عَنْهُنَّ فى صَفَرِ الأَصْفَارِ أَوْ رَجَب

[ع] أكثرُ ما يُستعمل « زَعَم » مع « أنّ » كما قال الحارثُ اليَشْكُرى :

زَعموا أنّ كلَّ مَنْ ضَرَبَ العَيْـ ـرَ مَوَالٍ لنا وأنّا الوَلاءُ[4]

وإذا حذفوا « أنّ » نصبوا ما بعد « زَعَم » و « زَعمتُ » وما كان منهما ، يُقال زعمتُ أخاكَ أميرًا ، وزعَم القومُ العراقَ مُخْصِبًا ، ويَدُلّك على وقوع المفعول بعدها قولُ أبى ذؤيب :

فإنْ تَزْعُمينى كنتُ أجْهَلُ فيكمُ فإنى شَرَيْتُ الحِلْمَ بَعْدَكِ بالجَهْلِ[5]

ويَقبُح : زعمتُ زيدٌ مُنطلق ، إلاّ أن تجعلَ « زعمتُ » فى معنى قلتُ ، وذلك قليلٌ فى الكلام المسموع . فأمّا « الأيام » فى بيت الطائى فيجوز رفعُها على أن يُلغَى « زعموا » كأنّه قال : عجائبُ الأيامُ مُجْفِلةٌ عنها زعموا ، ويُجعل اعتمادُ الكلام على « عجائب » ، ويُحمل اللفظُ على التقديم والتأخير ، وهذا كقولك : الشامُ كثيرُ الخيرِ زعموا ، وأبوك واسعُ العطاءِ بلغنى ، تريد بلغنى ذلك ، فتأتى بالكلام الثانى بعد الأول . ويُروى « مُجفِلةً » و « مُجلِيَةً » والأصلان مختلفان ولكنّ المعنَيَيْن يتقاربان ، تقول أجفلتِ الحُمُرُ والنَّعَامُ إذا

---

(١) قال المرزوقى : وقد استعمل أبو تمام هذا المثل فى بيت آخر معناه الذى يقصد به إليه أبين وهو :

هيهات أبدى اليقين صفحته وبان نبع الفخار من غَرَبه

(٢) س : « غرائب » ورواية الأصل بهامشها هـ ب ، هـ ش : « عجائب ».

(٣) فى س بين السطور رواية أخرى هى « مكشفة » .

(٤) البيت فى معلقته المشهورة التى مطلعها :

آذنتنا ببينها أسماء رب ثاوٍ يمل منه الثواءُ

(٥) ديوان الهذليين ١ : ٣٦.

أحسَّتْ بأمرٍ يذعرها فهربتْ منه بعجلة ورُعْب ، ويُقال أجلَى القومُ عن القتيل إذا انكشفوا عنه ، والنّعامُ إذا أجفلَ فقد انكشفَ الموضعُ الذى كان فيه . وقوله : « صَفَرَ الأصفار » عظَّمَ شأنَه لأنه يُنتظر فيه أمرٌ شاقٌّ ، كما يُقال فلانٌ فارسُ الفرسان ، أى أشدّهم بأسًا ، وعلى هذا قولهم مَلِكُ الملوك وهِنْدُ الهُنود . أى أخبروا أن أمورًا تظهر فى صفرٍ أو رَجَب ، وأنّ الأيامَ تُسرع فى إظهارها .

٧ وخَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ (١)

إِذَا بَدَا الكَوْكَبُ الْغَرْبِىُّ ذُو الذَّنَبِ (٢)

« دَهْيَاء » أى داهية ، يُقال داهية دَهْيَاء ودَهْواء . وكانوا قد حكموا أنّ طلوعَ ذلك الكوكب الموصوف يكون فتنةً عظيمة وتغيُّرَ أمرٍ فى الولايات ، فأنكر الطائىّ ذلك من أحكامهم .

٨ وصَيَّرُوا الأَبْرُجَ العُلْيَا مُرَتِّبَةً (٣)

مَا كَانَ مُنْقَلِباً أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبِ

(ع) الوجه أن يُروى « مُرَتَّبَةً » بكسر التاء ، ويكون قوله « ما كان مُنقلبًا » فى موضع بدل من مُرتَّبة ، أى صيَّروا التدبيرَ للنجوم . ويعنى بـ « الأبرج » بروجَ السماءِ التى أوّلُها الحَمَلُ وآخرُها الحُوت . والمنجِّمون يزعمون أنها على ثلاثة أقسام ، أربعةٌ منقلبة ، وهى : الحَمَلُ والسَّرَطانُ والميزانُ والجَدْى ، وأربعة ثابتة ، وهى : الثورُ والأسدُ والعَقْربُ والدَّلْو ، وأربعةٌ ذَواتُ جسَدين ، وهى : الجَوْزاء والسُّنْبُلَة والقَوْس والحُوت . فإن رُويتْ « مُرتَّبة » بفتح التاء فهو وجهٌ ضعيف . ولا يَحْسُن إذا كُسِرت التاءُ أن يُجعل قوله « ما كان » فى موضع نَصْبٍ على المفعول ، لأن المعنى الأول أشبهُ

(١) س : « دهياء داهية » وبهامشها رواية الأصل .

(٢) فى ظ رواية « الدرى » منسوبة لأبى العلاء .

(٣) هـ س : « مدبرة » — وفى ظ رواها الخارزنجى « مرتَّبة » ، بفتح التاء ، وقال : رتبوها فقالوا إذا قابل نجم كذا نجم كذا فى برج كذا وقع أمر حادث .

بهذا الموضع ، إذْ كان المنجمون يجعلون فى البروج مُنقلبًا وثابتًا[1] . [ص] أى كانوا يحكمون فى أخبارهم بهذه البروج إذا ورد عليهم خبر فى وقت الطالع فيه بُرج ثابت حقَّقُوه ، وإن كان الطالعُ بُرجًا مُنقلبًا لم يحقّقوه .

٩ يَقْضُونَ بِالأَمْرِ عَنْها وهِيَ غَافِلَةٌ ما دارَ فى فَلَكٍ مِنْها وفى قُطُبِ

كلّ مستديرٍ فَلَك حتى يُقالَ للقطعة المستديرة من الأرض فَلَكٌ أيضًا ، والفَلَك مَدارُ النجوم الذى يَضمُّها ، والقُطْب كلّ ما ثَبتَ فدارَ عليه شىء ، وفى السماء قُطْب الجنوب وقُطب الشمال . يقول : يحكمون عليها بأحكام مختلفة وهى لا تعرف شيئًا من ذلك ، وما يحكمون به لم يَدُرْ فى فلكٍ منها ولا قُطْب .

١٠ لَوْ بَيَّنَتْ قَطُّ أَمْرًا قَبْلَ مَوقِعِهِ
لَمْ تُخْفِ[2] مَا حَلَّ بِالأَوْثَانِ والصُّلُبِ

[ص] يقول : لو بانَ بهذه البروجِ أمرٌ قبلَ موقعِه لبانَ أمرُ هذا الفتح الذى لم يكنْ فتحٌ أجلَّ منه .

١١ فَتْحَ الفُتوحِ تَعَالَى[3] أَنْ يُحِيطَ بِهِ
نَظْمٌ مِنَ الشِّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الخُطَبِ

« أن يحيط به » أى من أن يحيط به . [ع] والأبْيَنُ فى غرض الشاعر أن

---

(١) أورد ابن المستوفى كلام أبى العلاء هذا ورد عليه بقوله : وفى إبدال أبى العلاء « ما كان منقلباً » من قوله « مرتبةً » بعدٌ يبين لمتأمله ، وإذا روى « مرتّبة » بكسر التاء كان موضع « ما » نصباً على المفعول به ، أى جعلوها ترتب هذين الجنسين منها كأنها ترتب أنفسها فى المنازل ، ويجوز أن يكون « ما » بدلا من الأبرج العليا ، ويجوز أن يكون صفة لها .

(٢) م ، س : « لم يخف » .

(٣) م ، ل ، د « المعلى » وهى أيضاً فى هـ س ، هـ ب ، هـ ظ . وقال ابن المستوفى : وموضع « تعالى » حال ، وأنا أكره رواية « تعالى » وما بعدها لأن مثله يقع فى الثناء على الله عز وجل .

يكونَ « فتحَ الفتوح » منصوبًا مُبيِّنًا لقوله ما حلَّ بالأوثان ، ولا يمتنع رفعُه على كلام مُستأنَف .

١٢ فَتْحٌ تَفَتَّحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ وَتَبْرُزُ الْأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا[1] الْقُشُبِ

و « تَفَتَّحُ أبوابُ السّماءِ له » أى بالغَيْثِ والرحمة ، وقيلَ لأنه من معالم الإسلام وليسَ كل الفتوح كذلك . و « تبرز الأرض » مَثَلٌ لتعظيم الفتح ومَسرَّة أهلِ الإسلام . و « القُشُب » جمعُ قَشِيب وهو الجديد ، وقد يكون الخَلِقَ فى غير هذا المَوْضع .

١٣ يَا يَوْمَ وَقْعَةِ عَمُّورِيَّةَ انْصَرَفَتْ
مِنْكَ[2] الْمُنَى حُفَّلًا مَعْسُولَةَ الْحَلَبِ

[ع] أصلُ النداءِ أن يكونَ لمن تُخاطبه ويُراجع القول ، ثم اتسعوا فيه حتى خاطبوا الديارَ وغيرَها من الجوامد ، فكأنه خاطب يومَ وقعةِ عموريَّةَ لجلالهِ عنده . و « عَمُّوريّة » اسم أعجميّ ، واستعمله فى هذا البيت بتشديد الميم والياء ، وقد رُوى عنه فى قصيدة أخرى بتخفيف الحرفين ، والشعراءُ يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية أكثرَ من اجترائهم على تغيير الأسماء العربية[3] . و « حُفَّل » جمعُ حافل وهى التى حفَلَ ضَرْعُها باللبن ، يُقال ناقةٌ حافل وشاةٌ حافل ، وهو ها هنا مُستعار للمُنَى . و « المَعْسولة » التى فيها العَسَل ، يُقال عَسَلتُ الطعامَ فهو معسول وعَسَّلتُه فهو مُعَسَّل . و « الحَلَب » ها هنا ما حُلِب من اللبن وهو مستعار ، ويكون الحَلَبُ مَصْدر حَلَبتُ حَلَبًا والمعنى الأول أجود * .

---

(١) ب ، ظ ، هـ س : « فى أبرادها » ، وجاء فى ظ : ويروى « فى أثوابها » .

(٢) م ، ل : « عنك » .

(٣) فى ظ : ذكر محمد بن عبد الملك الزيات عمورية مخففة الياء فى قوله :

أقام الأنـام منار الهـدى وأخرس ناقوس عموريهْ
قد أصبح الدين مستوسقاً وأضحت زناد الهدى مُوريهْ

١٤ أَبقَيْتَ جَدَّ بَنِى الإِسلامِ فى صعَدٍ
والمشركين وَدارَ الشِّرْكِ [١] فى صَبَبِ

[ع] « الجَدُّ » ها هنا الحظ ، و « بنو الإسلام » الذين يَدخلون فيه ويُنسبون إليه ، ومن كلامهم إذا أكثر الرجلُ من الشىء وألِفَه أن يقولوا هو أبو كذا وأمُّهُ وابنُه[٢] . و « الصَّعَدُ » المكانُ الذى يُصعَد فيه ، « والصَّبَبُ » المكان الذى يُنْصَبّ فيه أى يُنْحدَر ، ويُقال لهما الصَّعُود والصَّبُوب * .

١٥ أُمٌّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَن تُفْتَدَى جَعَلُوا
فِدَاءَها [٣] كُلَّ أُمٍّ مِنْهُمُ [٤] وَأَبِ

« الأمّ » أصلُ الشىء ومعدِنُه [ص] يقول : هذه البلدة أمُّهم تجمعهم وتضمهم كما تَضمّ الأمّ ولدَها ، فلو استطاعوا لافتدوا خرابَها بكلّ أمّ لهم ولدتهم وأب[٥] * .

١٦ وبَرْزَةُ الوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتُهـا
كِسْرَى وصَدَّتْ صُدُودًا عَنْ أَبِى كَرِبِ

يُقال امرأةٌ بَرْزَةٌ إذا كانت تُخاطِب الرّجالَ ولا تَستَتِرُ منهم . وزَعَم قومٌ أنه يُقال للحَيِيَّة بَرْزَة . واشتقاقُه مِن بَرَزَتْ أى ظهرتْ ، يقالُ لقيتُ

---

(١) س : « وجد الشرك » – هـ ظ : « ودار الكفر » .

(٢) فى ظ زيادة من كلام أبى العلاء هى : كما يقال هو أبو الأضياف وأم العيال وابن الهيجاء وأخو رغائب .

(٣) هـ ب : ويروى « فدًى لها » .

(٤) ل ، س ، د ، هـ ب : « كل أم برة » وفى هـ س رواية الأصل .

(٥) هذا كلام الصولى بحرفه كما فى نسختى م ، ل ونسبه ابن المستوفى إلى أبى زكريا التبريزى .

فلانًا بَرْزَيْن أى بَرَزَ كلُّ واحدٍ منا لصاحبه . يقول . هى مع بُروزها للنظرِ قد أعْيَتْ كِسرَى إذْ كان لا يَقدِر عليها ، وقيل كان كِسرى قد فَتحَها ، بَعَثَ إليها الإصْبَهْبَذَ ففتحها ثم استَعْصى عليه وصارَ مع ملك الرّوم . وأبو كَرِب كُنية أحدِ التابِعة وهو الذى عناه القائل فى قوله :

ليتَ حظى مِنْ أبى كَرِبٍ أن يَسُدَّ خيرُه خَبَلَهْ

أى فسادَه .

ومَن ذَهَب إلى أنّ البَرْزة الحَيِيَّة فهو يحتمل هذا المعنى ، أى أنّ هذه البلدةَ كانت كالمرأةِ المُتخفِّرة التى لا ينظُر أحدٌ إليها .

١٧ بِكْرٌ فَمَا افْتَرَعَتْهَا كفُّ حَادِثَةٍ
ولا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ النُّوَبِ[1]

[ع] « افترعَها » إذا افتضّها ، أى أنّ هذه المدينةَ لم تُفتَح قبلَ هذا الفَتْح[2] .

١٨ مِنْ عَهْدِ إِسْكَنْدَرٍ أَوْ قَبْلَ[3] ذَلِكَ قَدْ
شَابَتْ نَوَاصِى اللَّيَالِى[4] وهْىَ لَمْ تَشِبِ

[ع] المُتعارفُ بين الناسِ « الإسكندر » بالألفِ واللام فحذفهما منه ، وقد فَعَل ذلك فى غير موضع كقوله : « ما بين أندلسٍ إلى صنعاءَ » وقوله : « وَجْدَ فرزدقٍ بِنَوارِ » . ولم تَجرِ العادةُ أن يُستَعمل « الفرزدقُ » ولا « الأندلسُ » إلا بالألف واللام ، وبعضُ الناسِ يُنشِد « مِن عَهْدِ إسكندرا » فيُثبت فى آخره ألفًا ، وذلك من كلام النبط ، لأنهم يزيدون الألفَ إذا نقلوا الاسم

(١) جاء ترتيب هذا البيت فى س بعد البيت التالى له .
(٢) قال ابن المستوفى : هذا ينقض قوله إن الإصبهبذ فتحها ثم استعصى عليه . .
(٣) د ، هـ س : « أوقبل ذاك فقد » .
(٤) ظ : « قرون الليالى » .

من كلام غيرهم ، فيقولون خَمْرًا يريدون الخمر ، وعَمْرًا يُريدون تسميةَ عمرو . وكأنّ الذى رَوَى هذه الروايةَ فَرّ من حذف الألف واللام ، إذْ كان المعروفُ بين الناس الإسكندر ، وإذا استعملتْه النَّبطُ بالألف حذَفتْ علامةَ التعريف وأخرَجتْه إلى حال إبرهيم وإسحق . « والإسكندر » اسم ليس بعربى ، ولو وافقَ ألفاظَ العرَب لَوجَب أن يكونَ اشتقاقُه من سين وكاف ودال وراء ، وتكون الهمزةُ فى أوّله والنونُ زائدتين ، ويُجعل من بابِ احْرَنْجَمَ على المُقارَبة ، فهو أقربُ إليه من إبرهيم إلى الاحرنجام ، ولو حُمِل على ما يقوله النحويُّون فى الترخيم مِنْ نَقْلِ الاسم إلى مثال تكون العربُ قد استَعملتْه لَوجَب أن تُكسَر الهمزةُ ، فيقال الإسكندرُ ليكون على مِثال احرنجم ، ولو سُمّيتَ رجلاً باحرنجم لقطعتَ همزةَ الوصل فى رأى البصريين ، وكان الفرّاءُ يُجيز الوجهَيْن *

١٩ حَتَّى إِذَا مَخَّضَ اللهُ السِّنِين لَهـا
مَخْضَ البَخِيلَةِ كانَتْ زُبْدَةَ الحِقَبِ

[ع] هذه استعارةٌ لم تُستعمل قبلَ الطائى . وأصلُ « المَخْضِ » فى اللَّبن ، يُقال مَخَضْتُ الوَطْبَ مَخْضًا إذا حركتَه لِتُخْرِجَ زُبْدَه . وجعله مخضَ البخيلة لأنّها أشدّ اجتهادًا من السَّمْحة ، فهى تُطيل مدّةَ المخض . ومَن رَوى : « مخضَ الحليبة[1] » أرادَ ما حُلِب من اللبن ، والروايةُ الأولى أجْوَد . يقول : جَمَعَ خَيْراتِها كما يُجمَع خير ما فى اللبن بالمَخْض . ومَن رَوى « مَخْضَ الشَّمِيلة » ، وهو ماء الكَرِش – أراد : حتّى إذا جمع الله خيراتِ السنين وأظهرَها كما يَظهر اللبنُ من الشَّمِيلة ، كما قال تعالى : « مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خالِصًا » – فصارَتْ هذه البلدة زُبْدَةَ السِّنِينَ أتَتْهم الكُرْبة . « والحِقَب » جمع حِقْبة وهى السَّنَة ، وقيل الحِقْبةُ من الدهر : بُرْهَةٌ غير مَحدودة إلاّ أنها زمانٌ يطول * .

---

(١) هى رواية م ، ل ، س ، ظ – وقال الصولى فى شرحه : ويروى « مخض البخيلة » وهى فى هـ س – وفيها أيضاً « مخض الثميلة » – وفى د « مخض الحليب فعادت . . . » .

ومعنى البيت [ص] أنّ هذه المدينةَ لمّا أغفلَتْها السِّنون حتّى زَادتْ وجَسُنتْ فصارتْ زُبدةً أتاهم المعتصم ففتَحها *

٢٠ أَتَتْهُمُ الكُرْبَةُ السَّوْدَاءُ سَادِرَةً[1]
مِنْهَا وكانَ اسْمُها فَرَّاجَةَ الكُرَبِ

[ع] مِن كلامهم أنْ يَصِفُوا الخَطْبَ الشديدَ بالسّواد تَشبيهًا بالليل المظلم، ومن ذلك الحديث المأثور: «أتتكم الفِتَنُ كأنّها قِطَعُ الليلِ المظلم» ويقولون اسودّ نهاره، إذا جاءَه أمرٌ يَحزُنه فصار نَهارُه كالليل. و«سادِرَةً» من سَدَرَ العَيْن، يُقال سَدِرَتْ عينُه إذا أظلمَتْ، ويَجُوز أنْ يكونَ من قولهم جاءَ فلانٌ سادِرًا إذا جاء لا يَهْتَمّ للشيء، وهو يَحتمِل وَجهين: أحدهما أنْ يكونَ من سَدَرَ البصرِ، والآخرُ أنْ يكونَ من قولهم سَدَرَ ثَوْبَه مثل سدَلَه[2]. والهاء فى منها راجعةٌ على عمورية.

٢١ جَرَى لَهَا الفَأْلُ بَرْحاً يَوْمَ أَنْقِرَةٍ
إِذْ غُودِرَتْ وَحْشَةَ السَّاحَاتِ والرِّحَبِ

[ع] «الفأل» قد استَعملَه مُذكّرًا، وقد ادّعى بعضُ الناسِ أنه مؤنّث، والتذكيرُ أشهر. وأكثرُ ما يَجيء الفأل فى معنى الخير كأنه عندهم ضدّ الطِّيَرَة. ويجوز أن يَقَعَ الفأل على ما كان من خير وشرّ، وهو فى بيت الطائى على معنى الشرّ * و«بَرْحًا» مصدر بَرَحَ يَبْرَحُ من البارِح وهو ضدّ السانح، والعَرَبُ تختلف فيهما: فيقولون السانح ما ولّاكَ مَياسِرَه، والبارِح ما ولّاكَ مَيامِنَه، وبعضهم يعكس ذلك، ومنهم مَن يَتيمَّن بالبارِحِ ويَتشاءَمُ بالسنيح، ومنهم مَن يأخُذ بضدّ ذلك. وربما وُجِد فى شعر الرجل الواحد ما يَدلّ على أنّه يَتيمَّن بالسنيح مرةً ويتشاءم به أخرى، وقد أنشدوا بيتَ أبى ذُؤيب:

(١) فى ظ: ويروى «كاربة منها»، وفسرها بقوله أى دانية، ويقال كرب أى دنا.
(٢) فسر الصولى «السادرة» هنا بالمتحيرة.

زَجرتَ لها طيرَ السَّبيح فإن تكُنْ هَواكَ الذى تَهْوَى يُصِبْكَ اجْتِنَابُها (١)

ويُروى « طيرَ الشُّمال » ، فهذا على سبيل التَّطيُّر ، وقال فى الأخرى :

* أزَجّى لِحُبِّ الإيابِ السَّنيحا (٢) *

فهذا ضِدُّ السَّنيح فى البيت الأول . وقد يجوز أن يُحمَل على المبالغة كأنَّه أراد : أنِّى من حبِّ الإياب أرجو الخيرَ أن يجيئنى من غير وجهه . و « أنقِرَة » موضع فى بلاد الروم وبه قبرُ امرئ القيس ، يُروَى بضم القاف وكسرها وفتحها (٣) . و « وحْشَة » أى مُوحِشَةُ الساحات ، وقيل أراد وَحِشَة فسكَّنَ الحاء . وسمعتُ بعضَ مَن كان يُتقن هذا الديوان من رُؤساء الكتَّاب يُنشِد « وَخْشَة الساحات » بالخاء ، ويذهب إلى معنى الخرابِ ووقوع بعضِها على بعض ، من قولهم : أوخشُوا الشيءَ أى خلَطوه ، قال :

فألقيتُ سَهْمى وسْطَهم حين أوخَشُوا فما طارَ لى فى القَسْمِ إلاّ ثَمينُها (٤)

ومنه الوَخْشُ الدنىّ من الرجال والأخلاطُ ، الواحدُ والجميع . [ع] و « الرَّحَب » جمع رَحْبَة ورَحَبَة ، والأصلُ أنْ يُقال رِحاب بالألف فحذِفتْ لأنها حرفُ لِين ، كما قالوا ثِلَل فى جمع ثَلَّة والأصل ثِلال *

---

(١) ديوان الهذليين ١ : ٧٠ – اللسان مادة « طير » .

(٢) فى الأصول : « أرجى » ، والبيت فى ديوان الهذليين ١ : ١٣٦ :

أربت لإربته فانطلقـ ت أزجى لحب الإياب السنيحا

(٣) أورد الصولى فى شرحه هنا قول امرئ القيس فى منصرفه من عند ملك الروم بأنقره :

رب قصيدة محبره
وطعنة مثعنجره
وخطبةٍ مسحنفره
تبقى غداً بأنقره

(٤) عجز هذا البيت ساقط فى ش وأثبتناه من نسخة ب . وقوله « فما طار لى فى القسم » معناه فما حصل نصيبى ، ومنه حديث أم العلاء الأنصارية « اقتسمنا المهاجرين فطار لنا عثمان بن مظعون ، أى حصل نصيبنا منهم عثمان » (اللسان مادة طير) . وفى مادة « وخش » والأغانى ٨ : ١٧٧ روايته « فما صار لى » بالصاد . والبيت ليزيد بن الطثرية ، وكان يتحدث إلى امرأة ويعجب بها ، فبينما هو عندها إذ حدث له شاب سواه قد طلع عليه ، ثم جاء آخر ، ثم آخر ، فلم يزالوا كذلك حتى تموا سبعة وهو الثامن ، فقال :

أرى سبعة يسعون للوصل كلهم له عند ليلى دينةٌ يستدينها
فألقيت سهمى وسطهم حين أوخشوا فما صار لى من ذاك إلا ثمينها

٢٢ لمَّا رَأَتْ أُخْتَها بِالْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ
كانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الجَرَبِ

الهاءُ فى « أختِها » راجعةٌ على عَمُّورية ، ويُريد بأختها أنقرة ، أى أنها لمّا خَرِبَتْ وهى أختُ عموريّة أعدَتْها بالجَرَب ، والجَرَبُ يُوصَف بالعَدْوَى .

٢٣ كَمْ بَيْنَ حِيطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ
قَانِى الذَّوَائِبِ مِنْ آنِى[1] دَمٍ سَرِبِ

« قانى الذوائب » مُحمرُّها ، وأصلُها الهَمْز . و « الآنى » الحار ، وأصلُه فى الماءِ الحارّ المُغْلَى ، واستعارَه ها هنا للدّم ، و « سَرِب » أى سائل .

٢٤ بِسُنَّةِ السَّيْفِ والحِنَّاءُ[2] مِنْ دَمِهِ
لا سُنَّةِ الدِّينِ والإِسْلَامِ مُخْتَضِبِ

[ع] أى خُضِبَ شَعْرُه بِسُنَّةِ السيفِ أى بما سنَّه وحكَم به ، لا بسنّةِ الإسلام ، لأنّ الصحابةَ والتابعينَ كانوا يرَوْن من السنة أن يخضِبُوا شعورَهم بالحِنَّاء والكَتَم وما يجرى مجراهما من نَبات الأرض ، ويكرهون الخِضابَ بالسواد ويُؤثِرون الحُمرة ، وفى الحديث أنّ أبا بكر رضى الله عنه اطّلَع[3] إلى أصحابه فى مرضه وأسماءُ بنتُ عُمَيس تُمسِكه وكأنّ لحيتَه ضِرامُ[4] عَرْفَجٍ . والمعنى الذى بناه عليه الطائى بيّنٌ واضح ، وقد يجوز أن يقولَ القائلُ إنّ خِضابَ هذا الكافرِ بهذا الدّمِ من سُنَّة الدين والإسلام ، إذْ كان الجهادُ مُفترضًا على

(١) س ، د : « من قانى » ، ورواية الأصل بهامش س .
(٢) م ، د ، هـ ، ل : « والحلى » .
(٣) كذا فى الأصول ، ولم نجد « اطلع إلى » بمعنى خرج ، والحديث « كان يخرج إلينا وكأن لحيته ضرام عرفج » (النهاية فى غريب الحديث ، واللسان مادة « ضرم ») .
(٤) الضرام : لهيب النار ، والعرفج : نبت طيّب الريح ، عيدانه دقاق ، ولهبه شديد الحمرة ، وهو سريع الاشتعال بالنار . شبهت لحيته بضرام العرفج لأنه كان يخضبها بالحناء .

المسلمين . وبعضُهم يُنشِد : « بسُنَّةِ السيفِ والخطىِّ مِن دَمِه » : وهو أجودُ فى صحةِ المقابلة ، لأنه يقابل الدينَ والإسلامَ بشيئين ليسا فى الحقيقة مختلفين ، إذ كانا من آلة الحرب ، وهو فى الرواية الأخرى يقابل الدينَ والإسلامَ بالسيفِ والحِنَّاء ، وليس الحناءُ من جنس السيف * ويَجوز رفعُ « الحناءِ » وخفضُه ، فإذا خُفِض كان قوله « مِن دَمِه » فى موضع الحال .

٢٥ لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا
لِلنَّارِ يَوْماً ذَلِيلَ الصَّخْرِ والخَشَبِ

[ع] نَصَبَ « يوماً » على أنّه مَفعولٌ صحيح ، ولا يحتمل أن يكون ظرفًا ، والمعنى يومًا ذليلاً صخرُه وخَشَبُه . والغَرَضُ أنها أحرقتْ فذلّ صَخرُها وخَشَبُها للنار * .

٢٦ غَادَرْتَ فيها[1] بَهِيمَ اللَّيْلِ وهْوَ ضُحًى
يَشُلُّهُ[2] وَسْطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ

« غادرتَ » أى تركتَ . و« البهيم » أراد به الليلَ الذى لاضوءَ فيه ، و« يَشُلُّه » أى يَطرده . يقول كانَ ضوء النار يطرُد الليل وهو كالإصباح لتوقُّدِه وتلهُّبه ، وجمع بين التَّرك والطَّرْد ، وبينَ ظُلمةِ الليلِ والصُّبح ، فطابَق فى موضعين ، إلاّ أنَّ حقيقةَ المطابقةِ أن يقول : الليل والنهار والصبح والمساء ، والأوّلُ أيضًا جائز[3] .

٢٧ حَتَّى كَأَنَّ جَلابِيبَ الدُّجَى رَغِبَتْ
عَنْ لَوْنِهَا وكَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِبِ

« جَلابِيبَ الدّجَى » يُريد جمعَ جِلْباب ، وهو القميص أو الرِّداء ، واستعاره ها هنا للدُّجى وهو جمع دُجْيَة ، والدّجيَة الظُّلْمة ، وقال قومٌ

(١) س ، م : « غادرت فيهم » – ورواية الأصل فى س بين السطور .
(٢) فى أصل م « يشبُّه » وشرحه يدل على أنه رواها « يشله » .
(٣) هذا من الصول بمعظم لفظه .

لا يُقال دُجْية إلاّ لليلٍ مع غَيْم، فأمّا المُحدَثون فيعبّرون بالدّجى عن الليل ، ولا يفرقون بين المقْمِر وغيره . وأصل الدّجيّة أن يكون بالواو ، لأنه من دَجا يَدْجو ولكنهم آثروا الياء لخفتها . [ع] وبعض المُولَّدين يَظنّ « الدّجَى » واحداً مثلَ هُدًى ، وإنما هو مثل زُبْيَةٍ وزِبًى .

٢٨ ضَوْءٌ[1] مِنَ النَّار والظَّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ
وظُلْمَةٌ مِنْ دُخَان فى ضُحًى شَحِبِ

[ص] يقول : ضَوء النارِ يُصيِّر الليلَ نهارًا ، وظُلْمة الدخانِ تُصيِّر الضّحى شَحِبًا . [ع] وذكّر « الضّحَى » والغالب عليها التأنيث . وتذكيرُ ما لا يَعْقِل من هذا النوع كثير . وأصحاب النقل يَروْن أنّ تصغيرَ الضّحَى ضُحَيّ ، فإذا قيلَ لهم : لِمَ لَمْ تُظهروا الهاءَ فى مُصغّر الثلاثى كما قالوا رُحَيَّة وقُدَيْمَة ؟ قالوا : أرادوا أن يفرقوا بين تصغير ضُحًى وتصغير ضَحْوة ، وقد يجوز مثل ذلك ، والذى يُوجبه القياس أنّ قولَهم ضُحَيّ يجوز أن يكونَ تصغير ضُحًى ، ويجوز أن يكونَ تصغير ضَحْوٍ ، لأنهم قالوا جِئْتُك ضَحْوًا أى والنهار مُضْحٍ ، قال الشاعر :

طَرِبْتَ وهاجَتْكَ الحمامُ السَّواجع تَميل بها ضَحْوًا غُصونٌ نَوائعُ[2]

— « نَوائع » جمع نائع ، من قولهم ناعَ الغُصْنُ إذا تمايل — [ع] و « شَحِبٌ » كلمةٌ قليلة ، وإنما الكلامُ شاحب أى مُتَغيِّر . والواو فى قوله : « والظلماء عاكفةٌ » واو الحال .

٢٩ فالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وقَدْ أَفَلَتْ
والشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا ولَمْ تَجِبِ

« من ذا » الأوّل يعنى به لهيبَ النار ، و « ذا » الثانى يُريد به الدّخانَ .

---

(١) قال الصولى فى كتابه الأخبار (ص ١١١) : كذا قال أبو مالك والرواية « صُبح » .
(٢) البيت فى اللسان من غير عزو (مادة ضحو) .

و « أفلَتَتْ » غابَتْ ، ومن ذلك قولُهم أفلَتِ المُرضع إذا قلّ لحمُها ولَبَنُها . قال أبو زُبَيْد يَصِف الأسدَ واللبؤةَ والشِّبْلين :

أبُوشَتِيمَيْنِ من حَصَّاءَ قَدْ أفلَتَتْ كأنّ أطْبَاءَها فى رُفْغِها رقَع [١]

ووجَبَتِ الشمس إذا سَقطتْ فى المغرب [٢] .

٣٠ تَصَرَّحَ [٣] الدَّهْرُ تَصْرِيحَ الْغَمَامِ لَها
عَنْ يَوْمِ هَيْجَاءَ مِنْهَا طَاهِرٍ جُنُبِ

« تَصَرَّحَ » تَفعَّلَ من الصَّرِيح وهو الخالص . أي تَكشَّف الدهر كما يتكشَّف الغمام عن السَّماء . [ع] ويعنى بـ « طاهرٍ جُنُب » أنّ هذا اليومَ كان ما فُعل فيه حلالاً لأنّ الغزوَ مندوبٌ إليه فهو طاهرٌ من هذا الوجه ، وجُنُب لأنهم أخذوا السَّبْيَ فوطئوه فاحتاجوا إلى الغُسْل [٤] * .

٣١ لم تَطْلُعِ الشَّمْسُ فيهِ [٥] يَوْمَ ذَاكَ على
بانٍ بِأَهْل ولَم تَغْرُبْ على عَزَبِ

(ع) : أهل اللغة يَختارون بَنَى فلانٌ على أهله ، ويكرهونَ بَنَى

---

(١) « الشتيم » الأسد العابس . وحصأ الصبى ، كجعل وسمع : رضع حتى امتلأ بطنه . و « الحصّاء » التى انحص وبرها . الطبى (بالضم والكسر) حلمات الضرع التى من خفّ وحافر وسبع ، جمعه أطباء . و « الرُّفغ » بالضم أصل الفخذ . والبيت فى اللسان (مادة أفل) ، وهو من قصيدته التى مطلعها :

من مبلغ قومنا النائين إذ شحطوا أن الفؤاد إليهم شيِّق ولِـع

(الأغانى ط الساسى ١١ : ٢٣) .

(٢) فى ظ : أى الشمس طالعة من اللهب وهى غاربة آفلة ، وغاربة من الدخان وهى طالعة ، ألم فيه بقول النابغة :

تبدو كواكبه والشمس طالعة لا النور نور ولا الإظلامُ إظلامُ

(٣) قال الصولى : ويروى « تكشف » وهى رواية المرزوقى ، وكذلك هى فى هـ س ، هـ ب .

(٤) وقال الصولى : نسب جنباً إلى اليوم كما قالوا ليل نائم ينام فيه ، ويوم عاصف لأن الريح عصفت فيه . وقال المرزوقى : أى تكشف الدهر وبرز لها كما تصرح الغمام عن يوم طاهر على المسلمين الظافرين ، جنب على المظفور بهم المغار عليهم . ونقل ابن المستوفى عن الشرح المفرد لهذه القصيدة : « طاهر » أى طاهر فى نفسه ، و « جنب » أى الناس جنب فيه .

(٥) ب : « منه » – ظ : « فيهم » .

بها ، وأصل ذلك أنهم كانوا إذا أعرسوا بنوا القبابَ على العرائس ، والمستعارف فى كلامهم بَنَى على المرأة القُبّة . ولا يمنعَ القياس دخولَ الباء فى هذا الموضع ، ويكون المعنى : بنى بأهله أى من أجلهم ، كما يُقال للرجل خُذْ هذا بما فعلتَ فى الدهرِ الأوّل أى من أجله[1] * . ويُقال رَجُل عَزَبٌ وامرأةٌ عَزَبة ، وقال بعض العلماء باللغة يُقال للرجل عَزَب وللمرأة عَزَب ، ولا تدخُل الهاء فى المؤنّث ، وأنشد :

يا مَنْ يَدُلّ عَزَبًا على عَـزَبْ
على ابنةِ الحُمارس الشيخِ الأزَبّ[2]

[ص] ومعنى البيت : لم يُتْرَك منهم مَن كان بَنَى بأهلهِ لأنه قُتل ، ولم يَبْقَ فى هؤلاءِ عَزَبٌ لأنهم وَطِئوا السَّبْيَ * .

٣٢ مَا رَبْعُ مَيَّةَ مَعْمُورًا[3] يُطِيفُ بِهِ
غَيْلَانُ أَبْهَى رُبًى مِنْ رَبْعِها الخَرِبِ

[ص] يقول : ما رَبْعُ ميَّةَ المعمور الذى أكثرَ وصفَ حُسْنه ذو الرّمَّة بأحسنَ رُبًى من هذا الرَّبْع الخَرِب فى عين مَنْ فتحها * .

(ع) : غَيْلان بن عُقْبَة هو ذو الرّمة ، واشتقاق غيلان يجوز أن يكون من الغَيْل ، وهو الساعد الرّيان الممتلئ ، والماء الذى يجرى على وجه الأرض ، وأن يكون من الغيل وهو الشجر الملتف ، فأمّا إذا أُخذ من الغَيْل فهو فَعْلان ، وإن أُخذ من الغِيل جاز أن يكون من ذوات الواو ، لأن الغِيلَ إذا أريد به الشجر الملتفّ فالغالب عليه أن يكون من غال يَغول إذا أهْلَك ، وذلك لأن الأُسْدَ تَسكُنه فتغول ما يَقع فيه من الحيوان ، فيكون غَيْلان على هذا من الغَوْل كما أن الرَّيْحان من الرَّوْح ، ويُحمَل على أنّ أصلَه التّشديد فخُفِّف كأنه

---

(١) قال ابن المستوفى فى الرد على أبى العلاء : واللغة إنما يوقف عليها مع السماع ، والأول الصحيح .

(٢) الرجز فى اللسان (مادة عزب) ، وقال : « الأزبّ » الكريه الذى لا يدنى من حرمته ، و « الحمارس » الشديد الجرىء الشجاع .

(٣) هـ س : ويروى : « معهوداً » .

رَيِّحان وغيِّلان ، ففُعِلَ به ما فُعِل بسيِّد وميِّت . ونَصَب « معمورًا » على الحال ، والعامل فى « معمور » فعل مُضْمَر وهو الذى أضمر فى قول الأول :

لَعَمْرُكَ إنى وارِدًا بعد سَبْعةٍ لأَعْشَى وإنِّى صادِرًا لَبَصِير

والنحويُّون يجعلون المُضْمَرَ فى نحو هذا « كان » التى فى معنى وقَعَ ليخلصَ لهم معنى الحال ، وإذا كان الأمرُ على ذلك جاز أن يُضمَر كلّ ما هو فى معنى الوقُوع . فإن زَعَم زاعمٌ أنّ العاملَ فى « مَعْمور » قولُه « يُطيف » فلا يمتنع ذلك ، ولكن الوجه الأوّل أجود لما وَقَع فى الوجه الثانى من التقديم والتأخير . ويقال طافَ القوم حَوَالَى البيتِ إذا داروا به ، وأطافوا إذا أحدقوا به ، ويستعملون أطافَ فى معنى الإلمام ، وفى بيت الطائى حذفٌ يَدُلّ عليه المعنى ، وذلك أنه ذكَر رَبْعَ مَيّة وليس له بَهاءٌ إلاّ عند غَيْلان لمكانِ لَهجِه بها ، فكأنّ المعنى ما رَبْعُ ميّةَ فى نفس غَيْلان أبْهَى من هذا الربعِ الخَرِب فى أعْيُن المسلمين . « والرُّبَى » جمع رَبْوَة وهو المُرتَفع من الأرض .

٣٣ ولا الْخدُودُ وقدْ[1] أُدْمِينَ مِنْ خجَلٍ
أَشهى إلى ناظِرٍ مِنْ خدِّها التَّرِبِ

[ع] لمّا شبَّهها بالمرأةِ وجعَلها بكرًا فى بعض الأبيات حَسُنَ أن يستعيرَ لها خدًّا و « التَرِب » الذى قد لَصِقَ بالتراب * .

٣٤ سَماجَةً غنِيَتْ مِنَّا[2] العُيون بِها
عَنْ كلِّ حُسْنٍ بَدَا أَوْ مَنْظَر عَجَبِ

« سَماجَةٌ » قُبْح . يقول : خرابُ عموريةَ سماجةٌ عند أهلها ، وقد استغنَتْ عُيونُنا عن كلِّ حُسْنٍ بها لأنها تَفُوق كلَّ حُسْنٍ فى عُيونِ المسلمين الظافرين .

---

(١) م ، ل : « ولو ادمين » – س ، ظ ، د : « وإن أدمين » وفى د . « إلى ناظرى » .
(٢) م : « منها » – ورواية د « سماجة غيبت فيها العيون بها » .

٣٥ وحُسْنُ مُنْقَلَبٍ تَبْدُو عَوَاقِبُهُ
جَاءَتْ بَشَاشَتُهُ مِنْ سُوءِ مُنْقَلَبِ

ويروى « تَبْقَى عَواقبُه »[1] يريد : حُسْن المُنْقَلَب كان للمسلمين ، وسُوء المنقلب كان للكُفَّار .

٣٦ لَوْ يَعْلَمُ[2] الْكُفْرُ كَمْ مِنْ أَعْصُرٍ كَمَنَتْ[3]
لَهُ العَوَاقِبُ بَيْنَ السُّمْرِ والقُضُبِ

أى كانوا فى تلك الأعصرِ غافلين عما حَلَّ بهم من القتلِ والتَّخريب .

٣٧ تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللهِ مُنْتَقِمٍ لِلهِ مُرْتَقِبٍ[4] فى اللهِ مُرْتَغِبِ

« المُرتَقب » الذى يَجعل ما يَرقُبه بين عينيه كأنّه يَنظُر إليه . و« مُرْتغب » أى يرغب فيما يُقرّبه إلى الله تعالى .

٣٨ ومُطْعَمِ النَّصْرِ لَمْ تَكْهَمْ أَسِنَّتُهُ
يَوْماً ولَا حُجِبَتْ عَنْ رُوحِ مُحْتَجِبِ

« مُطْعَم النَّصْر » يعنى الممدوح ، وأصل هذه الكلمة فى الصَّيْد ، يُقال فلانٌ مُطعم من الصَّيْد إذا كان مَرزُوقًا منه أى يكون له طَعامًا ، ويُقال قوْسٌ مُطْعَمة إذا تعوّد راميها أن يصيبَ سهمُها الوَحْشَ الواردةَ فيَشُوبُ منها طَعام . جَعَل الممدوحَ مُتعوّدًا للنّصرِ كما يتعوّد القانِص أن يطْعَم من لحم[5]

---

(١) وهى رواية م ، ل ، س ، ظ .
(٢) م ، ل ، س : « لم يعلم » ورواية الأصل بهامش س .
(٣) ل ، ظ ، هـ س ، هـ م : « خبأت » .
(٤) م : « لله مقترب فى الله مرتقب » .
(٥) قال الصولى أول من قال بهذا علقمة بن عَبَدة فقال :
ومطعم النصر يوم النصر مطعمه أنّى توجه والمحروم محروم
وله رواية أخرى فى ل : « ومطعم الغنم يوم الغنم » .

الصَّيْد [ع] وقوله : « لم تَكْهَم » أى لم تَنْبُ ، وأصل الكَهَام فى السَّيف وقد استُعير لغيره[١] * .

٣٩ لَمْ يَغْزُ[٢] قَوْماً ولَمْ يَنْهَدْ[٣] إلى بَلَدٍ
إلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ[٤] مِنَ الرُّعُبِ

« لم يَنْهَد » أى لم يَنْهض إليه ، ومنه قولُهم نَهَد ثَدْىُ الجارية ، وتَناهَد القوم فى السَّفَر إذا تخارَجُوا النَّفقةَ بينهم ، وهو راجعٌ إلى هذا ، ومنه تَنَهَّدَ الحزين كأنَّه يُنهض النَّفَسَ .

٤٠ لَوْ لَمْ يَقُدْ جَحْفَلاً يَوْمَ الْوَغَى لَغَدَا
مِنْ نَفْسِهِ وَحْدَهَا فى جَحْفَلٍ لَجِبِ

« الجَحْفَل » الجَيْشُ العظيم ، وقال قومٌ إنما قيلَ له جَحْفل لأنه يَكْثُر فيه ذَوَاتُ الجَحافل وهى للخيلِ مثل الشَّفَاه ، وتُستَعمل فى البغال والحَمير ، ويُقال رَجلٌ حَجْفَلٌ إذا كان ضَخْمَ الأمر سيِّدًا ، يُريدون أنه وحدَه كأنَّه جيشٌ لعظَمِ شأنه . و « اللَّجِبُ » الصَّخِبُ الكثيرُ الأصوات . و « الوَغَى » الحَرْبُ ، وأصْلُه الصَّوتُ ، ثم سُمِّيتِ الحربُ به .

٤١ رَمَى بِكَ اللهُ بُرْجَيْهَا فَهَدَّمَهَا
ولَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللهِ لَمْ يُصِبِ[٥]

أى كان قتالُك فى الله مُستَنصرًا لدينه ، ولو كان قتالُك لغيرِ دينِ اللهِ لم تُنصَرْ عليهم ولم تُصِبْهم .

---

(١) قال ابن المستوفى : قال الجوهرى : سيف كهام أى كليل ، ولسان كهام أى عَيِىٌّ ، وفرس كهام أى بطىء ، ورجل كهام أى مُسن ، فإذا جاز أن يقال لكل ذلك « كهام » فلم يمتنع أن يقال ذلك فى السنان ؟

(٢) م ، ل ، س ، ظ ، هـ ب : « لم يرم » .

(٣) ل ، د : « لم ينهض » .

(٤) ل ، هـ س : « جند » .

(٥) س : « لم تصب » .

٤٢ مِنْ بَعْدِ ما أَشَّبُوهَا وَاثِقينَ بِهَا
واللهُ مِفْتاحُ[١] بَابِ المَعْقِلِ الأَشِبِ

« أشَّبوها » صَعّبوا أمرَها ، وحقيقتُه لفّفُوا حولَها الجُنْد ، من قولهم تأشَّبتِ الغَيضةُ التفَّتْ : أى منعُوها بالرّماح فصارَتْ كالشّجرِ الملتفِّ بالجمع الكثير . ويُروى « آمنينَ بها » قد وثقوا بمنعَتها . ويُروَى « المُقْفَلِ الأشبِ »[٢] .

٤٣ وقَال ذُو أَمْرِهِمْ لا مَرْتَعٌ صَدَدٌ
للسَّارِحِينَ وليْسَ الوِرْدُ مِنْ كَثَبِ

ويُروَى « أمَمٌ » مَوْضع « صَدَد » « وذُو أمرِهم » رئيسُهم الذى يأتمرون له ، قال لهم : لا تخافوا هؤلاء فإنّهم لا يَجدون مَرْتعًا ولا مَسْرحًا لدوابِّهم ، ولا ماء بالقُرْب يردُونه ، فإذا ضاقَ بهم الأمرُ انصرفوا عنكم . و « المَرْتَع » الموضعُ الذى تَرتع فيه الرّاعية . و « أمَمٌ » : ما بينَ القريب والبعيد ، وربّما قالوا « أمَمٌ » قَريب ، وصَدَدٌ مثلُه : و « الكَثَب » القُرْبُ[٣] .

٤٤ أَمَانِياً[٤] سَلَبَتْهُمْ نُجْحَ هَاجِسِها
ظُبَى السُّيوفِ وأَطْرَافُ القَنَا السُّلُبِ

يقول : كان ذلك التقديرُ أمانيًا سَلَبتْهم تصديقَها ظُبَى السيوف أى حدُّها . وأكثرُ ما تُستعمل « الأمانى » مُشدّدة . و « الهاجسُ » ما يَهجُس فى الصَّدرِ من فكْر . [ع] و « القَنَا السُّلُب » يَحتَمِلُ وجهين : أحدهما أن

---

(١) فى ظ : ويروى « والله فتاح » .
(٢) رواها الصولى فى شرحه . وشرح التبريزى هنا من الصولى بأكثر لفظه .
(٣) قال الصولى : فمن رواه « صدد » فهذه مماثلة لأنه جاء بلفظين بمعنى واحد .
(٤) فى ظ : ويروى « أمنيّةً » .

يكونَ جَمْعَ سَلُوب ، كأنَّه يَسلبُ الناسَ أموالَهمْ ، والآخر أن يكونَ جمعَ سَلَبٍ وهو الطويلُ ، يُقالُ رُمْحٌ سَلَب » .

٤٥ إنَّ الحِمَامَيْنِ مِنْ بِيضٍ ومِن سُمُرٍ
دَلْوَا الحَيَاتَيْنِ مِن مَاءٍ ومن عُشُبِ

[ص] يقول : لا تُنال لذَّةُ الأكل والشُّرب إلاّ بالرِّماح والسُّيوف ، وضَرَب لهذا مثلاً فقال : هُما دَلْوَا الحَيَاتَيْن ، يعنى أنّ الحِمامَيْن بالبيض والسُّمر دَلْوَا الحياتين : الحياة بالماء والحياة بالنبات ، إذْ كان لا بُدَّ منهما أو ممَّا يُحيا بهما ، فكأنَّهما يَستقيانِ هاتين كما يَستقى الدلوانِ الماء . والأكثرُ فى « السُّمر » تَسكينُ الميم ، وقلَّما يستعملون تحريكَها فى غير الجمع إذا كان لـ « أفْعَلَ » و « فَعْلاء » مثلَ أحْمَر وحَمْراء ، يقولون حُمْرٌ فى المذكّر والمؤنث فيَلزمون الإسكان ، إلاّ أن يُضطرّ شاعرٌ فيقول السُّمُر فى جمع أسْمَر ، والوُرُق فى جمع أوْرَق ، والشُّقُر فى جمع أشْقَر ، فأمَّا العُشْب والعُشُب فإنهم يجترئون فى مثْل هذا على الحركةِ والسُّكون .

٤٦ لَبَّيْتَ صَوْتاً زِبَطْرِيًّا هَرَقْتَ لَهُ
كَأْسَ الكَرَى (١) ورُضَابَ الخُرَّدِ العُرُب

« زِبَطْرِىّ » منسوبٌ إلى زِبَطْرَةَ ، وهى بلد فَتَحه الرّوم ، فَبلَغ المعتصم فيما قيل أنّ امرأةً قالت فى ذلك اليوم وهى مَسْبيَّة : وامُعْتَصَماه ! فنُقلَ إليه ذلك الحديثُ وفى يَدِهِ قَدَحٌ يُريد أن يَشربَ ما فيه ، فوَضَعه وأمَر

---

(١) قال الصولى : والسُّلب الأسنة الطوال واحدها سلوب ، والصحيح أنها الرماح لا الأسنة ، كما استدرك عليه ابن المستوفى.

(٢) قال المرزوقى : وقوله « هرقت له كأس الكرى » مثل قول الأخطل :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار

وقال ياقوت : « زبطرة » بالكسر ثم بالفتح وسكون الطاء المهملة وراء مدينة بين ملطية وسميساط والحدب فى طريق بلد الروم .

بأن يُحفظ ، فلمّا رَجَع من فَتْح عموريّةَ شَرِب[1] . والعامّةُ يقولون زَبَطْرة بفتح الزّاى ، وليسَ فى كلام العرب مثلُ « دَمَقْس » فى الرّباعى ، وهو اسمٌ أعجميّ ، والقياسُ إذا نَطَقتْ به العَربُ أن يُكسرَ أوّلُه ليُخرجوه إلى بناء هو لهم ، مثلَ قولهم أرضٌ دِمَشْرَة أى سَهْلة ، وناقةٌ دِرَفْسَة أى ضَخْمةٌ شَدِيدة . ولا يَمتنعُ أن تُتْرك الكلمةُ الأعجميّةُ على حالها من فتح أو غيره ، لأنّ تَرْكَهم أن يَبْنوا مِثلَ « دِمَقْسٍ » إنما هو اتّفاقٌ وَقَع فى اللغة ، لا أنّ اجتنابَهم ذلك لعِلّة ، كما أنهم لم يُهمِلوا « المِدَعّ » لعلّة فى اللفظ ، وإنما هو لأنه لم يستعملها مُستعمِلٌ ، وإن كانوا قد استعملوا ما هو أثقلُ منها . و« هَرَقْتَ » تستعمل فى المياه وما جَرَى مجراها فى السَّيلان ، والأصلُ « أرقْتَ » فأبدِلت الهاءُ من الهمزة ، إلا أنّ الذى يقول « هَرَقْتُ » يقول فى اسم الفاعل والمفعول «مُهَرِيق» و«مُهَرَاق»، واستثقلوا الهمزةَ أن تُشْبِتَ فى «مُرِيق»و«مُرَاق»، فلم يقولوا « مُؤَرِيق » ولا « مُؤراق » لثقل الهمزة، وأثْبتوا الهاءَ لخفتها . فأمّا الذين قالوا « مُهْرِيق » بسكون الهاء فلُغتُهم أن يقولوا فى الماضى « أهْرَقتُ » فيجمعون بين العِوَض والمُعَوَّضِ منه . وقيل إنّ الهاءَ دخلَت فى « أهْرَقْتُ» عِوَضًا من عِلّة الفعل ، وهذا أصحّ من القوْل الأوّل . و « الخُرَّد » الحييّات ، وإنما قالوا فى الواحدة خَرِيدة وخَرِيد ، وخُرَّد جمعُ فاعلة وفاعل ، ولم يقولوا فيما ظهر امرأةٌ خارِدٌ ولا خارِدَةٌ ، ولكنهم أجْرَوه على ذلك ، لأنه يجوز أن يُقال ، كما قالوا فى جمع حُرَّة حَرائر لأنه يمكن أن يقال حَرِيرةٌ فى معناها . و« العُرُب» جمع عَرُوب وهى المُتَحبِّبة إلى زَوْجِها .

٤٧ عَداكَ[2] حَرُّ الثُّغُورِ المُسْتَضَامَةِ عَنْ
بَرْدِ الثُّغُور وعَنْ سَلْسَالِها الحَصِبِ

« الثُّغور » الأول جمعُ ثَغْر العدو ، وهو الموضعُ الذى يُخاف أن يأتىَ منه ،

---

(١) فى ظ : قال الخازرنجى : إنما أراد بذلك قول امرأة من زبطرة كتبت إلى المعتصم حين دخلها الروم :

يا ابن الخلائف من ذؤابة هاشم ذهبت زبطرةُ منك إن لم تأتها

(٢) ظ : « حماك » .

و « الثغور » الثانية مِن ثَغْرِ الإنسان . وأصلُ « السَّلسَال » الماءُ الصافى السهلُ الدخولِ فى الحلْق ، ويجب أن يكونَ أصله من الماءِ الذى يجرى مُستطيلاً على وجه الأرض ، كأنَّه مأخوذٌ من سِلْسلة البَرْق وسلسلة الحديد ، لأنّ الماءَ الجارىَ أخفّ من الماء الرّاكد . و « الحَصَبُ » الذى فيه الحَصْباءُ وهو صِغارُ الحَصَى ، وإنما أراد بالسَّلسال الرِّيقَ ، وجعَله حَصَبًا لأنّ فيه الأسنان . و « عَدَاكَ . . » أى صَرفك عن بَرْد هذا الرِّيق فى ثُغورِ الحِسان ما فى قَلْبك مِن أمْرِ الثُّغورِ التى أُبِيحَتْ وتَمكّنَ العَدوّ منها . [ص] وفى هذا البيتِ مُطابَقَةٌ ومُجانَسة فالمطابقة بالحَرِّ والبَرْد ، والمُجانَسةُ بالثُّغُورِ والثُّغُور .

٤٨ أَجَبْتَهُ مُعْلِناً بالسَّيْفِ مُنْصَلِتاً
ولَوْ أَجَبْتَ (١) بِغَيْرِ السَّيْفِ لَمْ تُجِبِ

ويُرْوَى « مُعْلَمًا »(٢) وإنما يُعلم مَن هو مَعرُوفٌ بالشجاعة فيَجعَلُ لنفسه عَلامةً يُعرَفُ بها فى الحَرْب . ويُقال انصلَتَ فى الأمر إذا مَضَى فيه ، والأجودُ أنْ يكونَ الانصلاتُ ها هنا للرجل ، ولا يَمتَنِعُ أنْ يكونَ للسيف ، والسيفُ الصّلْتُ المُتجرّد ، يُقال أصلتَه فهو مُصْلَت ، ولا يعرف (٣) صَلَتَهُ فانصلتَ ، ولكنْ يَجُوز أن يُحْمَل على غيره إذا أريد به المضاءُ ، كما قال الراجز فى صفة الإبل :

* فانصَلَتَتْ تَعجَبُ لانصلاتها *

وقوله : « لو أجبتَ بغير السيفِ لم تُجبِ » : أى مَن أجابَ إذا لم يُنْتفعْ بجوابِه فكأنَّه ما أجاب .

---

(١) س ، ل : « ولو دعيت » .

(٢) وهى رواية م ، ل ، س ، ظ . – وفى ظ أيضاً : ويروى « معلناً » .

(٣) من قوله : « ولا يعرف صلته » إلى آخر شرح البيت من كلام أبى العلاء المعرى ، لأن ابن المستوفى نقل بعضه بلفظه متفرقاً ، ولهذا لم أرمز إليه .

٤٩ حَتَّى تَرَكْتَ عَمُودَ الشِّرْكِ مُنْعَفِرًا
وَلَمْ تُعَرِّجْ عَلَى الأَوْتَادِ وَالطُّنُبِ

ويُروَى « مُنقَعِرًا » من قوله تعالى : « كأنَّهم أعجازُ نخلٍ مُنقَعِر » . و « المُنعَفِر » المُلتصقُ بالتُّراب وهو العَفْر ، وكان البيتُ يُبنَى على عَمَد وأوتاد وأطناب ، فالعَمودُ أرفعُها وأعظمُها .

[ع] يقول : عمدتَ لأعظمِ شأنِ الرّوم ولم تُعرّجْ على ما صَغُر من الأمور . والمعنى أنَّه فتَح عمورية ولم يَمْتنعْ بالقُرى وسَبْيِ مَن فيها * . ولا يُلتَفتُ إلى قول مَن قال إنه أرادَ أنه سافر مُبارِزًا ولم يكتنَّ بالخيَم[1] . قال المرزوقى : ما أظنّ صَحِبه[2] التوفيق فى هذا التفسير ، ولا أدرى كيفَ استجازَ من طريق العُرْف والعادة أن يكونَ المعتصمُ مَضَى من مَقرّه غازِيًا إلى عموريّة ولم يَكتنَّ بالخيم ؟ ومُرادُ أبى تمّام فى هذا : أنك من بيتِ الشِّرك قصدتَ عمودَه ، وما كان قِوامُه به ، فزعزعْتَه ونَزَعْتَه ، ولم تعطِف على جوانبه ، أى قصدتَ قَصَبةَ الكُفْرِ دونَ القُرَى والرَّساتيق .

٥٠ لمَّا رَأَى الحَرْبَ رَأْىَ العَيْنِ تُوفَلِسٌ
والحَرْبُ مُشْتَقَّةُ المَعْنَى مِنَ الحَرَبِ

يُستعمل « الحَرَب » فى معنى الغَضَب وفى معنى ذهابِ المال[3] .

٥١ غَدَا يُصَرِّفُ بِالأَمْوالِ جِرْيَتَهـا
فَعَـزَّهُ البَحْرُ ذُو التَّيارِ والحَدَبِ

«الحَدَبُ» ارتفاعُ الماء تارةً وانخفاضُه أخرى . [ص] يقول : لمّا رأى توفلس

---

(١) هذا تعريض بالصولى لأن ما أورده هو شرحه بلفظه .
(٢) الضمير هنا عائد على الصولى .
(٣) قال الصولى هذا من قول النابغة الجعدى :
وتستلب الدهم التى كان ربُّها ضنيناً بها والحربُ فيها الحرائبُ

الحرب تجرى إليه بالرّجال كما تجرى السيولُ بذَل للمعتصمِ أموالاً ليرجعَ عنه فعزَّه أى غلبَه ، يُريد المعتصمَ وجيشَه * . و « التيَّارُ » معظمُ الماء ، وربما قيلَ « التيارُ » المَوْج وهو مأخوذٌ من أنه يجىء تارةً بعد تارة . [ص] ومَن روى « جِزيتها » بالزاى فقد صَحَّف[1] لأنه لو بَذَل الجزيةَ لأُخذت منه ، وإنما بذل مالاً لا على سبيل الجزية – .

٥٢ هَيْهَاتَ ! زُعْزِعَتِ الأَرْضُ الوَقُورُ بِهِ
عَن غَزْوِ مُحْتَسِبٍ لا غَزْوِ مُكتَسِبِ

« هيهات » يُوقَف عليها بالهاء إذا فتحتَها ، وإذا كسرتَها يُوقف عليها بالتاء ، ويجوز « هيهاتًا » و « هيهات » وتُبدل الهمزةُ من الهاء فيقال « أيْهاتَ » ويقال « أيْها » أيضًا ، وأنشد الفرّاء[2] :

ومِن دُونَى الأعيارُ والقِنْعُ كلُّه وكُتْمانُ ، أيْها ما أشَتَّ وأبْعَدا !

– « الأعيارُ » مواضع ، و « القِنْع » أسفلُ الأرضِ وأعلاها ، و « كُتْمان » موضع – .

[ع] و « زُعْزِعَتْ » حُرِّكتْ حركةً عنيفة ، والهاء فى « به » راجعةٌ على تُوفَلِس . يقول : زُعزعَتِ الأرضُ به عن غَزْو هذا الملكِ الذى هو مُحتسِبٌ للأجر لا مُكتسبٌ للمال ، فكأنّ زعزعة الأرضِ كان سَبَبُها غزوَ هذا السلطان ، كما يقال مرض فلانٌ عن أكل الرُّطب ، أى كان أكلُ الرّطبِ سببَ مرضِه . و « عن » فى هذا الموضع تُؤدى معنى غيرها من حروف الخفض ، فلو قيل فى

---

(١) هـ س : « جزيتها » بالزاى عن أبى على البغدادى ، وهى رواية د . وقال الصولى : وسمعت مرة من لا يفهم شيئاً ويدعى كل شىء ولا أسميه يقول « جزيتها » يذهب إلى أنه أراد أن يعطى الجزية ، وهذا تصحيف قبيح ، لأنه لو بذل الجزية لأخذت منه ، والبيت الذى بعده تصحيح ما فسرناه ، فأما الجزية لو بذلت وأخذت لكانت أجل من كل فتح ، وبذلك أرسل عمر بن الخطاب إلى ليون ملك الروم : « إما أن تسلم ، وإما أن تؤدى الجزية ، وإما الحرب » فبذلوا له وجميع المسلمين مالا عظيما لينصرفوا فلم يقبله .

(٢) اللسان مادة « أيه » .

الكلام : زُعْزعت الأرضُ به من أجلِ الغزو أو للغزو أو بالغزو لاحتمل ذلك كلَّه . وما بعد هذا البيتِ بيانٌ له وشَرحٌ لمعناه »[1].

٥٣ لَمْ يُنفِقِ الذهَبَ المُرْبِى بكَثْرَتِهِ
على الحَصَى وبهِ فَقْرٌ إلى الذَّهَبِ

يُخاطِب تُوفَلس ، يقول : لم يُنفِق الذهبَ الكثيرَ الذى هو أكثرُ من الحصَى رغبةً فيما تَبذله مِن الذهب ، بل لِينتقِمَ منك ، ويقابِلَك بِسُوء صَنيعك أو تُسْلِم و« المُرْبِى » الزائد ، فقال أربَى عليه إذا زاد عليه .

٥٤ إنَّ الأُسُودَ أُسُودَ الغِيلِ[2] هِمَّتُها
يَوْمَ الكَرِيهَةِ فى المَسْلوبِ لا السَّلَبِ

جعَل الممدوحَ غنيًّا غيرَ مُحتاج إلى المالِ فيُخدَعَ به ليَكُفَّ عن القتال. و « الكريهة » الشديدةُ من كل شىء ، والمُرَاد بها الحربُ هنا .

٥٥ وَلَّى وقَدْ أَلجَمَ الخَطِّىُّ مَنْطِقَهُ
بِسَكْتَةٍ تَحْتَهَا[3] الأَحْشَاءُ فى صخَبِ

« ولَّى » يعنى تُوفَلس ، و « الخَطِّى » الرّمح منسوبٌ إلى الخَطّ وهو سيفُ عُمَان ، وقال قوم كلّ سيفٍ بحر خَطّ . و « ألجمَه » أى كان له كاللجام ، وفى الحديث : « التَّقِىّ مُلْجَم » أى أنه يخاف الزّلَلَ من الكلام ، فكأنَّه ألجم باللِّجام . و « الصَّخَبُ » أصلُه كثرةُ الكلام فى الغضَب ، وكثر ذلك حتى قالوا حمارٌ صخبٌ ، أى كثير النُّهاق ، وأراد بالصّخَب فى البيت وَجيبَ

---

(١) جاء فى ظ : وقال أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار فى ذكر أخطاء أبى تمام عقب قوله : « هيهات زعزعت الأرض الوقور به » : ومتى رأى خليفة قط وصف بأنه يغزو احتساباً بغير اكتساب ؟ إنما هذا يوصف به المطوعون من الغزاة ، ولا أعلم كيف قاده فهمه إلى هذا القول حتى قاله ؟ وعقب ابن المستوفى على هذا الكلام بقوله : وهو لا يكون مدحاً إلا على ما ذكره أبو تمام .

(٢) م ، ل ، س ، ظ ، هـ ب : « أسود الغاب » .

(٣) ظ : « خلفها »

القَلْب من الفَزَع ، ولا يُلتفت إلى ما ذُكر فى معناه سوى هذا[1]. (ق) : رَأيتُ بعضَهم يقول ليسَ للسكتة تحت، يَعيبُه بقوله « تحتها الأحشاءُ » وهذا جهلٌ منه ، لأنّ الإشارةَ إلى آلة الكلام ، والسكوتُ والإلجامُ لا يَتأتّى إلاّ فيها ، وإذا كان كذلك فذِكْرُ المنطق والسكوتِ يُشار به إلى الفم ، وكذلك الضميرُ المتصل بـ « تحت » يَرجعُ إليه فى الحقيقة . على أنّى ما أشبّه هذا إلاّ بما حُكى عن بعض أصحاب المعانى فى قول الفَرَزْدق :

والشَّيْبُ يَنهضُ فى الشبابِ كأنهُ ليلٌ يَصِيحُ بجانبيْــه نَهارُ

وذلك أنه جرى فى مجلس أبى عمرو هذا البيتُ فأثنَى عليه هو وأصحابُه واستجادوه ، فقال بعضهم : « لَيْلٌ يَصِيحُ بجانبيه نَهَارُ » ليسَ بحسَن . فحُكى أنّ أبا عمرو قال : لكل حسناءَ ذَامٌ . وما أظن هذا يَصِحّ عن مثل أبى عمرو ، لأنّ الاستعارات لا يُسلَك فيها هذا المسلك ولا يُؤْخَذ فيها بهذا الاعتبار ، ولا أدرى من أين أنِسَ بنهوض الشيْبِ ونَفَرَ من صِياحِ الليلِ وهما من واد واحدٍ ؟!

---

(١) يشير هنا إلى الصولى ، فقد قال فى شرحه : يقول من خوف الرماح لا يطيق الكلام ولكن أحشاءه تصطخب ، يريد أن الفزع ربما أحدث صاحبه ، فخرجت أرياح بطنه ، ويقال أيضاً هذا لمن به أدرة ، قال الشاعر فى رجل آدر :

ما زال منه الحمق واللجاجه
فى حــاجة منه وغير حاجه
حتى حسبنــاه على دجاجــه

وقال جرير :

لم أدر تصــوت فى خصاهم كتصويت الجلاجل فى القطار

وقد أورد ابن المستوفى كلام الصولى هذا وعقب عليه بقوله : لو قطع فسره عند قوله « تصطخب » أتى بالمعنى ، أما الباقى فزيادة قبيحة لم يردها أبو تمام ولا دل عليها شعره ، وما استشهد به مما هُجى به ذوو الأدر فليس ذلك من الخوف ، إنما هو شىء يعتريهم من رياح تعرض لهم ، وهذا أمر معروف يقع منهم فى الأمن لا فى الخوف. وقال بعد ذلك : ولما فرغت من نقل ذلك وقع إلى كتاب المرزوقى المسمى « كتاب الانتصار من ظلمة أبى تمام » فوجدته قال عقب بيت أبى تمام هذا : « ذكر بعضهم أنه ولى هذا المنهزم وهو من خوف الرماح لا يطيق الكلام [وأتى بما ذكره الصولى إلى آخر بيت جرير الذى استشهد به] ثم قال : هذا لفظه فى تفسير البيت ، ولو تأمل هذا المفسر أدنى تأمل لكفى مؤونة هذا الغوص البعيد ، والوجه أن يكون المعنى : ألجمه الخوف بلجام من السكوت ، لكن قلبه يجب ، وأحشاءه تخفق ، حتى صار لها كالجلبة.

٥٦ أَحْذَى قَرَابِينَه صَرْفَ الرَّدَى ومَضَى
يَحْتَثُّ أَنْجَى[١] مَطَايَاهُ مِن الهَرَبِ[٢]

« أحذَى » فى معنى أعطى ، وهو يَتعدّى إلى مفعولين ، والمعنى : أعطَى هذا المنهزمُ صَرْفَ الرّدَى قرابينه . و « القَرابين » جُلساءُ الملك ، واحدهم قُربان . [ع] وقوله : « أنجى مَطَاياهُ من الهرب » يريد أنّ الهربَ أنْجَى مطاياه ، وهذا كما يقال لقد أخذتُ أكرمَ صاحبٍ من فلان ، أى هو الكريمُ المُفضَّل على غيره[٣] ، وبعضهم يروى : « إلى الهرب » والروايةُ الأولى أجود ، ومَن روى : « أزجَى مطاياه » فقد صحّف[٤] .

٥٧ مُوَكَّلاً بِيَفَاعِ الأَرْضِ يُشْرِفُهُ[٥]
مِنْ خِفَّةِ الخَوْفِ لا مِنْ خِفَّةِ الطَّرَبِ

ويُروى : « يَشْرُفُه » أى يعلوه ، و « يُشْرِفه » أى يُشْرِف عليه ، وهذا الفعل يُستَعمل تارةً بحرف الخفض وتارةً بغيره . وجعل « الطربَ » هنا الخفّة من الفرح خاصةً لمّا كَثُر استعمالُهم إيّاه فى ذلك ، إن كان قد يُستعمل فى الحُزنِ والشوق المبرّح . والمعنى : أنّ هذا الرَّجلَ يَعلو ما ارتفعَ من الأرض لينظرَ إلى الطرق هل فيها مَن يتبعه[٦] .

---

(١) م ، س ، هـ ب : « أحنى » .

(٢) س : « من الرهب » وبهامشها رواية الأصل . وقال فى ظ : وبعضهم يروى « إلى الهرب » ، والرواية الأولى أجود ، ويروى « على الهرب » ، ويروى : « بحيث أخفى مطاياه من الهرب » .

(٣) فى ظ تكملة لكلام أبى العلاء هى : ومنه قول الباهلى :

أخو رغائب يعطيها ويمنعها يأبى الظلامة منه النوفل الزُّفَر

(٤) فى ظ قال أبو العلاء : ومن روى « أزجى » فهو من أزجى الأمر إذا أنجزه ، ولا ينبغى أن يعدل عن « أنجى » لأن الزاى جديرة بأن تكون مصحفة .

(٥) ل ، س : « يفرعه » وذكرت ظ هذه الرواية .

(٦) قال فى ظ : هذا أكثر كلام أبى العلاء .

٥٨ إِنْ يَعْدُ[١] مِنْ حَرِّهَا عَدْوَ الظَّلِيمِ فَقَدْ
أَوْسَعْتَ جاحِمَهَا مِنْ كَثْرَةِ الحَطَبِ

« الظَّلِيم » ذَكَرُ النَّعام ، وهم يَصفونه بالنِّفَارِ والسُّرعة ، و « الجَحْمَةُ » معظمُ النارِ ، ومنه الجحيم . وهذا مَثَلٌ ضَرَبَه لشدة الحرب واضطرامها ، و « الجاحمُ » الذى يُسَعِّرها . يقول : خلَّفتَ بها جيشَك يقتلون مَن فيها ، فجعَلهم حَطَباً لنيران الحرب[٢] .

٥٩ تِسْعُونَ أَلْفاً كَآسَادِ الشَّرَى نَضِجَتْ
أَعْمارُهُمْ[٣] قَبْلَ نُضْجِ التِّينِ والعِنَبِ

هذا البيتُ قد تَكلَّم فيه الناس ، وذكَره الصولى رادًّا على مَن طَعَن فيه فقال[٤] : إنْ كان هذا لأنّ التينَ والعنبَ ليس مما يُذكَر فى الشعر وأنه مُستَهجَنٌ فقد قال عبدُ الله بن قَيْس الرُّقيَّات :

سَقْيًا لحُلْوانَ ذِى الكُروم وما صُنِّفَ من تينه ومن عِنَبِهْ

وذكر أبياتاً غيرَها ، وقد عابَه عليه مَن لم يَدْرِ قصْدَه . وكانوا يقولون : إنما يَفتَح مدينتَنا أولادُ الزّنا ، فإن أقام هؤلاء إلى زمان التين والعنب لم يُفلتْ منهم أحد ، فبلَغَ المعتصمَ قولُهم فقال : أرجو أنْ يكفينى اللهُ أمرَهم قبل نضْج التِّينِ والعنَب ، فأمّا روايتهم أنّه لا يَفتَح مدينتَهم إلاّ أولادُ الزّنا فما أريدُ أكثرَ ممَّن معى منهم ، يعنى الأتراكَ الذين كانوا فى جَيْشه . وقد بيَّن هذا فى قوله « السيفُ أصدقُ أنباءً من الكُتُب » (ع) : ويقال إنّ بعضَ

---

(١) ظ : « إن تعد » .

(٢) قال ابن المستوفى : ومثله قول الكلحبة العُرنى :

فإن تنج منها يا حزيم بن طارق فقد تركتْ ماخلف ظهرك بلقعا

قالوا : « منها » أى من فرس الكلحبة ، يقول : إن تنج من فرسى فقد تركت ما وراءك من الأرض المعاوة بمالك وجيشك خالياً ، أى استأصلته وغلبتك عليه .

(٣) س ، د ، م : « جلودهم » – ورواية الأصل بهامش س .

(٤) راجع أخبار أبى تمام : ص ٣٠ .

مَن كان بعموريّة من الرّهبان قال إنّا نجدُ فى كتُبنا أنّه لا يَفتَح هذه البلدةَ إلاّ ملكٌ يَغرِسُ فى ظاهرها شجرَ التّين والكَرْم ويُقيم حتّى يُثمرا ، فأمرَ المعتصمُ بأن يُغترَس التّينُ والكرمُ ، فكان الفتحُ قبل ذلك ، فاستعارَ النُّضجَ للأعمارِ لمّا قابله بنُضْجِ التين والعنَب .

٦٠ يا رُبَّ حَوْبَاءَ لمَّا اجْتُثَّ دابِرُهُمْ
طابَتْ ولَوْ ضُمِّخَتْ بالمِسْكِ لم تَطِبِ

« الحَوْباء » النفس ، ويُنشد :

وكأنّ آدمَ حينَ حانَ مماتُه أوصاكَ وهو يَجُود بالحَوْباءِ
ببنيه أنْ تَرعاهُم فرعَيْتَهم وكَفَيْتَ آدمَ عَيْلَةَ الأبناءِ

[ع] و« اجتُثَّ دابرُهم » أى قُطع أصلُهم ، وقيل استؤصِل آخرُهم ، والمعنيان مُتقارِبان . و« التضميخ » الاطّلاء بالطيب ، قال الراجز :

يا ابنَ كُسَيْبٍ ما علينا مَبْذَخُ
قد غَلَبَتْكَ كاعبٌ تَضَمَّخُ[1]

و« طابَتْ » : من الطِّيب الذى هو سُرورُ النفس ، لا من الطِّيب الذى هو أرَجُ الرائحة ، وكذلك قوله : « لم تطبِ » فى آخر البيت ، لأنّ النفسَ المهمومةَ وإن تضمَّخَتْ بالطِّيب ففاحَتْ رَيّاه غيرُ طيِّبةٍ لما تجدُ من الهمّ ، وهذا من قوله طاب نَفْسًا بكذا *

٦١ ومُغْضَبٍ رَجَعَتْ بِيضُ السُّيُوفِ بِهِ
حَيَّ الرِّضَا مِنْ رَدَاهُمْ مَيِّتَ الغَضَبِ

أى ورُبَّ مُغْضَبٍ على الكُفْر رَدّه الظَّفَرُ بهم هكذا[2] . [ص] وفى

---

(١) ذكر ابن المستوفى هذا الشرح بلفظه لأبى العلاء ولم يذكر الرجز .

(٢) فى ظ ذكر الخارزنجى وجهين لمعنى البيت : أحدهما موافق لشرح التبريزى ، والآخر هو : يقول ورب ملك عظيم منهم كان مغضباً مغتاظاً على المسلمين فأوقعت السيوف به ، فأحيت رضاه من إهلاكها إياه ، وأماتت غضبه .

البيتِ طباقان : الحيّ والميّت ، والرّضا والغضَب *

٦٢ والحَرْبُ قائمَةٌ فى مأزِقٍ لَجِجٍ
تَجْثُو القِيَامُ بهِ صُغْرًا[1] على الرُّكَبِ

« المأزِقُ » أصلُه من الأزْقِ وهو الضّيق ، ومأزِق مَفْعِل من ذلك . « ولَجِج » من قولهم لَجِجَ فى الشىء إذا نَشِبَ فيه فلم يَخلُصْ ، وقد يقال مكانٌ لَجِجٌ أى ضيِّق . ويُروى « تجثو الكماةُ به » فى مكان « القيامُ » . و« الكُماة » جمع كَمىّ ، وهو الذى قد كَمَى نفسَه بالسلاح ، وكأنّه جَمْعُ كامٍ ، مثلما يُقال قاضٍ وقُضَاه ، ولكنهم يُعبِّرون عنه بأنه جمع كَمىّ ، لاشتراكِ فاعل وفَعيل ، فى الواحد ، كما يقولون عُلماء جَمْعُ عالم ، وحقيقتُه أنه جمعُ عليم مثلُ كبير وكُبَرَاء . [ع] والمعنى : أنّ القومَ يجثون على الرّكب لثقل ما حَمَلوه من أمرِ الحرب ، وهذا كما قال الثقفى :

إنْ حَمَلوا لم نَرِمْ مَوَاقِفَنَا وإن حَمَلْنا جَثَوْا على الرُّكَبِ *

٦٣ كَمْ نِيلَ تحت سَناهَا مِن سَنا قَمَرٍ
وتَحْتَ عارِضِهَا مِنْ عَارِضٍ شَنِبِ

« تحتَ سناها » أى سَنَا الحرب ، وهو ضَوْؤها . « من سَنا قَمَر » أى من ضوء جارية كالقَمَر سُبِيَتْ . و« عارضها » أى عارضُ الحربِ التى تُمطر المَنايا . وقوله « من عارضٍ شَنِب » يعنى عارضَ الأسنان ، يُقال للنابِ والضِّرس الذى يليه عارض ، والشَّنَبُ بَرْدُ الأسنان ، ويقال حِدَّةُ أطرافها .

٦٤ كَمْ كانَ فى قَطْعِ أسْبَابِ الرِّقابِ بهَا
إلى المُخَدَّرَةِ العَذْرَاءِ[2] مِنْ سَبَبِ

[ع] « الأسباب » الأشياء التى يُتوصَّل بها إلى غيرها ، ولذلك قيل للحبْل

(١) س ، د : « جثواً » وروايةُ الأصل بهامش س — ل ، ظ : « صعراً » (بعين مهملة) وفسرها فى ظ بقوله : أى متكبرين . وقال الصولى : ويروى « قسراً » ، ويروى « صغرا » وهو تصحيف

(٢) هـ م — « الحسناء » .

سَبَب ، و « أسبابُ الرِّقاب » يعنى ما فيها من العُروق ، شَبَّهها بالحبال : و « المُخَدَّرة » ذات الخِدْر ، والأجودُ ها هنا أنْ يَعنى بها المرأةَ ، وتكون شائعةً فى الجنْس ، ولا يمتنع أن يُعنى بها عَمُّوريةَ ، لأنه قد شَبَّهها بالبكْر فى أول القصيدة * .

٦٥ كَمْ أَحْرَزَتْ قُضُبُ الهِنْدِيِّ مُصْلَتَةً
تَهْتَزُّ مِنْ[1] قُضُبٍ تَهْتَزُّ فى كُثُبِ

[ع] يريد قُضُبَ الحديدِ الهندى أو قُضُبَ الصَّنَعِ الهندىّ أو نحوَ ذلك ، ويُقال للسيفِ الدقيق العَرْض قَضيب وهو ضِدّ الصفيحة . ويعنى بـ « قُضُب » الثانيةَ قُدودًا تشبَّه بالقُضُب . و « كُثُب » جمعُ كَثيب من الرمل ، أى هذه القُضُب فى أعجاز مثل الكُثُب * .

٦٦ بِيضٌ إِذا انتُضِيَتْ مِنْ حُجْبِها رَجَعَتْ
أَحَقَّ بالبِيض أَتْرَاباً[2] مِنَ الحُجُبِ

« انتُضِيَتْ » سُلَّتْ ، و « حُجْبها » أغمادُها ، و « الحُجُب » الثانى حِجَالُ النِّساء ، و « أتراب » جمع تِرْب . ويروى « أبدانًا » وهى من صفات نساء الروم . [ص] وفى البيت تجنيسٌ وتصدير ، فالتجنيس بيضٌ وبِيض ، والتصدير رَدُّ العَجُز على الصدر ، قال فى النصف الأول حُجْبها ثم قَفَّى بالحُجُب * .

٦٧ خَلِيفَةَ اللهِ جَازَى اللهُ سَعْيَكَ عَنْ
جُرْثُومَةِ الدِّينِ[3] والإِسْلَامِ والحَسَبِ

ويُروَى « كافا اللهُ سَعْيَك »[4] . وجُرثومة الشىءِ أصلُه .

---

(١) م : « فى » . (٢) م ، س ، د : « أبدانًا » وهى فى هامشى ب ، س — ل . « أقرانًا » — وقال الصولى فى شرحه ويروى « أحق بالبيض من خدر ومن حجب » .
(٣) ل ، ظ ، هـ س : « جرثومة الملك » — وفى ظ : قال أبو العلاء : ويروى « جرثومة الدين » .
(٤) وهى رواية ل ، د .

٦٨ بَصُرْتَ بالرّاحَةِ الكُبْرَى[١] فَلَمْ تَرَها
تُنَالُ إلاَّ على جِسْرٍ مِنَ التَّعبِ

[ص] مثْلُه قولُ الراجز :

جئْتُ طَليحًا راكبًا طَليحا
تَعبتُ فى السَيرِ لأستريحا

٦٩ إن كان بَيْنَ صُرُوفِ[٢] الدَّهْرِ مِن رَحِمٍ
مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبِ

٧٠ فبَيْنَ أَيَّامِكَ اللاَّتى نُصِرْتَ بِها
وبَيْنَ أَيَّامِ بَدْر أَقْرَبُ النَّسَبِ

٧١ أَبْقَتْ بَنى الأَصْفَرِ المِمْرَاضِ[٣] كاسِمِهم
صُفْرَ الوجُوهِ وجَلَّتْ أَوْجُهَ العَرَبِ

٧١ – [ء] الرّومُ يُقال لهم بَنُو الأصفَر ، وهم فيما يزعم أهلُ الكتاب من ولد العِيص بن إسحق بن إبراهيم ، وبعضُ الناس يقول : الروم جيلٌ قديم كان قبل إبراهيم . وقال « المِمْراض » ليَدلَّ على أن صُفْرَتَه كانتْ من مرضٍ لا من خلْقة ، و « المِمْراض » الكثير المرض . وقال « كاسمهم » وهو يريد اسمَ أبيهم على المجاز ، لأنهم إذا ذُكروا قيل بنو الأصفر فعُرِفوا بذلك فصار كالاسم

---

(١) س : « العيا » ورواية الأصل بهامشها – م : « العظمى » .

(٢) م ، ظ : « مرور الدهر » ، وقال ابن المستوفى : وفى نسخة « إن كان بين صروف الدهر » والذى أراه أن « مرور الدهر » أحسن لأن النصر فى بار وعمورية ليس من صروف الدهر بل من حسناته وفى سائر الأصول التى بين يدى « صروف الدهر » . وفى أصل الصولى « صروف » ولكن فى كتابه الأخبار ص ١١٣ « مرور الدهر » .

(٣) س : « الأصفر المصفر » : وبهامشها : ويروى « المعتل » ، ويروى « الممراض » أيضاً.

لهم ، وقد يجوز أن يُسمَّى نعتُ الرجل وكنيتُه ولَقبُه اسمًا له » ، قال الشاعر :

بنو الأصْفَرِ اختارتْ على العُرْبِ أسرةً بجفنـــةَ فابتاعَتْ حِمارًا بأعوَجَا

— هذا مَثَل ، أى اختارتِ الرومَ على العَرَب ، يعنى دُخولَ جَبَلَةَ بنِ الأيْهَم إلى بلاد الروم فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه — ويُقال : إنما يقال لملوكِ الروم بنو الأصفر لأنّ حبَشيًّا كان غلَب على بلادهم فنَكَحَ فيهم ، فوُلد له أولادٌ يُخالِطُ بياضَهم صَفْرةٌ من سوادِه ، فازدادوا بذلك حُسْنًا .

٤

قال يمدح مالك بن طوق التغلبي [١] :

١ لَوْ أَنَّ دَهْرًا رَدَّ رَجْعَ جَوَابِ
أَوْ كَفَّ مِنْ شَأْوَيْهِ طُولُ عِتَابِ

الثانى من الكامل والقافية متواتر .

أى لو نَفَعَ لعَتِبْتُه . و « الشأوان » تثنية شَأْوٍ ، وهو الطَّلَق . (ع) واستعاره هاهنا للدهر ، وكأنّه يذهب إلى فِعْله الشيءَ وضدَّه ، كالسُّرورِ والحُزْن ، والغِنَى والفقر [٢] ، ونحو ذلك * .

٢ لَعَذَلْتُهُ فِى دِمْنَتَيْنِ بِأَمْرَةَ [٣] مَمْحُوَّتَيْنِ لِزَيْنَبٍ ورَبَابِ

« الدِّمنة » أثَرُ القوم فى الدار ، وذلك ما يُرَى فيها من البَعَر ونحوه ، وهو الدِّمْن أيضًا [ع] وقوله : « بأمْرَةٍ » : كأنَّه اسمُ مَوْضع ، ويُروَى « بِرامَةٍ » ورامَةُ أكثرُ تَرَدُّدًا فى الشِّعر ، ومَن رَوَى « بأمرِه » فله مَعْنى صحيح ، وتكون الهاءُ عائدةً على الدَّهر ، كأنَّه يجعل له أمرًا مقبولاً وهو أحسنُ من الوجه الأول ، وهذا كله مستعار * . وقال بَعضهم إنما هو « بِمِرَّةٍ » وكأنَّه

---

(١) قال أبو بكر الصولى فى شرحه : أنشدنيها أحمد بن إبراهيم القيسى ، قال أنشدنى محمد بن روح الكلابى ، قال أنشدنى أبو تمام هذه القصيدة لنفسه .

(٢) استدرك ابن المستوفى على كلام أبى العلاء هذا فقال : وهذا الذى ذكره أبو العلاء لا يستقيم ، لأن العاقل لا يعتب الدهر على أن يكف شأوه فى السرور ولا فى الغنى ولا فى الشىء المحبوب ، وإنما يعتبه على أن يكف شأوه فى ضد ذلك ، وهذا معلوم معروف . والذى أراه أنه إنما ثنى « الشأوين » لتثنية « الدمنتين » وأراد بشأويه هنا فعله بهما ، والله أعلم .

وقال : وفى الحاشية : لم يستقم له الواحد فثنى ، والعرب تفعله تفخيماً ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « ما حق امرئ مسلم له ما يوصى فيه يبيت ليلتين وليس وصيته عند رأسه » ، وقال الشماخ :

كلا يومى طوالة وصل أروى ظنون ، آن مُطَّرحُ الظنون !

(٣) د ، هـ م : فى نسخة « تقادما » — ظ : وروى « فى دمنتين تعفتا » .

قال : فى دِمْنتَيْن مَمْحوَّتين بِمِرَّة . قال : وصَحّف الصولى فقال بأمْرَة . ويقال مَحَوْتُ الكِتابَ إذا أزلتُ أثرَه ، ومنه مَحْوَةُ اسمٌ للشمال ، وقيل هى الدَّبُور لأنها تمحو الآثارَ ، وقيل تَمْحوالسَّحاب . و « زينب » من أسماء النِّساء ، أُخذ من قولهم زَنَبْتُ الشيءَ إذا جَسَسْتَه ، وقيل إذا نَخَسْتَه . وقال قوم : الزَّنَبُ السِّمَن . و « الرَّباب » من أسماء النساء ، أُخِذَ من الرَّباب التى هى سَحَاب دون السَّحاب الأعْلى ، وقلما يستعملون الرَّبابَ بغير الألف واللام ، فأمَّا قولُ القائل :

ما بالُ أهلِك[1] يا رَبـابُ خُزُرًا كأنَّهُمُ غِضَابُ ؟ !

فإنما حَذَف الألفَ واللامَ لأجل حرفِ النداء كما يُجتَنَب أن يُقال يا العبَّاس . [ع] وهذه الأسماءُ المأخوذةُ من الأجناسِ أو من النُّعوت مِثْلُ النَّوارِ والرَّبابِ لا يَمتنع أن تُستَعمل بالوَجْهَين * .

٣ ثِنْتانِ[2] كالقَمَرَيْنِ حُفَّ سَنَاهُمَا
بِكَوَاعِبٍ مِثْلِ الدُّمَى[3] أَتْرَابِ

أفصَحُ اللُّغَتَيْن أن يقال اثنتان[4] . [ع] ويعنى بالقمرين الشمسَ والقمر ، وقد يجوز أن يعنى بقوله : « كالقَمَرَيْن » أنّ كلَّ واحدة منهما كالقَمَر لا أنه جعل الشمسَ تُسمَّى قَمَرًا ، والأوّلُ أقربُ إلى أفهام الناس ، والثانى جَيِّد[5] * .

٤ مِنْ كُلِّ رِيم لَمْ تَرُمْ سُوءًا ولَمْ
تَخْلِطْ صِبَى أَيَّامِها بِتَصَابِى

« الرِّيم » الظبيُ الأبيضُ الخالِصُ البَياض ، وأصلُه الهَمْز ، ويَجوز أن

(١) ب : « قومك » . (٢) ظ ، د : « بنتان » .
(٣) ظ : « المها » . (٤) فى ظ : وثنتان كثيرة فى أشعار الفصحاء .
(٥) قال ابن المستوفى : وهذا القول بالعكس أولى ، لأن فهم القمرين بتثنية القمر أفهم ، ولأن تشبيه كل واحدة منهما بما تشبه به الأخرى أحسن من تفضيلها فى التشبيه على صاحبتها ، وهذا ظاهر فى الموضعين .

تُجْعَل الهمزةُ ياءً خالصةً فيقال ريم ، وقالوا فى الجمع أرآم بالهمز ، ولم يقولوا أريام ، وجاء به هنا على التَّذكير لأنّه جعل المرأةَ ظبيًا ، وأصلُه أن يُقال فى التأنيث رِيمة كما يُقال عِلْج وعِلْجة ، قال الهلالى :

إنّ الحِبالةَ ألهَتْنى عِيادَتُها حتى أسوقَ إليها رِيمَةً شَخَصَا[1]

– « الشَّخَصُ » القليلةُ اللّبن والظبيةُ القليلةُ اللّحْم – وتَخفيفُ الرّيم فى هذا الموضع أجودُ فى صناعة الشعر لأنّه يَصير مُجانسًا لِـ « تَرُمْ » من قِبَل أنك لو بَنَيْتَ من رام يروم اسمًا على « فِعْل » لقُلْتَ رِيْم ، وإذا همزتَ « رِيمًا » بَعُدَ من مُشابهة قوله « تَرُمْ » .

٥ أَذْكَتْ عَلَيْهِ[2] شِهَابَ نَارٍ فى الحَشَا
بالعَذْل وَهْناً أُخْتُ آل شِهَابِ

« أذكَتْ » من ذَكَتِ النَّارُ إذا اشتَعلَتْ . و « الشِّهاب » الشُّعلة من النار ، وكأنّه يعنى بـ « آل شهاب » فى القافية بنى شِهاب من بَنى يَرْبُوع بن حَنْظَلَةَ بن مالك بن زَيْد مَناة بن تَميم ، لأنّهم فى العَرَب مشهورون ، ومنهم عُتَيْبَةُ بنُ الحارث بن شهاب أحدُ فُرْسان العَرَب الثلاثة وهم : عُتَيْبَةُ وبِسطامُ بنُ قَيْس البكرى ثم الشَّيْبانى ، وعامرُ بن الطفيل الكِلابىّ ثم الجَعْفرىّ وبنو شِهاب هؤلاء هم الذين عناهم لبيدٌ فى قوله :

يَرْعُونَ مُنْخَرِقَ اللَّدِيدِ كأنَّهمْ فى العِزِّ أسْرةُ حاجب وشِهاب[3]

---

(١) فى هـ ب شرح لهذا الشاهد قال : « الشخص » التى ليس لها ولد ، وأراد بالريمة امرأة حسنة تشبه الريمة ، يقول لصاحبيه شغلنى عنكما ختل هذه المرأة ، وضرب الحبالة مثلا لحلته إياها .

(٢) م ، ل ، س ، د ، هـ ب « عليك » .

(٣) الديوان ص ١٤٦ . وفيه ويروى « يرعون منعرج المسيل » . وقال « منخرق اللديد » حيث انخرق فمضى ، واللديد جانبا الوادى جميعاً وجمعها ألدة . حاجب هذا الدرامى من بنى يربوع فيهم العز ، فيقول كأنا مثلهم .

٦ عَذَلاً شَبِيهاً بالجنُون كأَنما
قَرَأَتْ بِهِ الوَرْهاءُ شَطْرَ[١] كتَابِ

يقال عَذْل وعَذَل ، والتَّحريكُ ها هنا أمْثَلُ لِشَرفه عند السَّمْع ، و « شَطْر كتاب » نِصْفه ، والمعنى أنّ الكتابَ إذا قُطِع شَطْرُه ثم قُرِئ لم يفد معنًى وكان لَفظُه كالهَذَيان و « الوَرْهاء » الحَمْقاء[٢] .

٧ أَوَ مَا رَأَتْ بُرْدَىَّ مِنْ نَسْجِ الصِّبَى
ورَأَتْ خِضَابَ اللهِ وهو خِضَابى ؟

[ق] يقول : ظَلَمتْنى إذْ عَذَلتْنى وأنا مُقْتَبِل الشَّباب[٣] . [ع] وأدخل همزةَ الاستفهام على الواو التى للعطف ، وكذلك يفعلون بالفاء فيقولون أوَلَمْ ، أفَلَمْ . وإنما حمَلوا الكلامَ على أنه مقطوع من شىء مُتَقدّم ، كأنه أراد فى التقدير : ما عَرَفَتْ حقيقةَ الأمرِ ، وما رَأَتْ بُرْدَىّ ، فحَذَف الكلامَ الأوّل ، وأدخل الهمزةَ على الواو فقَلَبَت المعنَى من النفى إلى حال التقرير ، أى قد رَأَتْ بُردىَّ من نَسْج الصِّبى ، كما تقول للرجلِ إذا سمعتَه يَشكو الفاقةَ : أوَ ما أعطاك فلانٌ مالاً ؟ أى قد أعطاك . وقوله : « خِضابَ الله » يَعْنِى سوادَ شَعْرِ الشَّباب ، لمّا كان الشائبُ يَخضِبُ شعرَه بالخِطْر[٤] وغيرِه جازَ أن يُجعَل سَوادُ الشيبة خِضاباً .

٨ لا جُودَ فى الأَقْوَامِ يُعْلَمُ مَا خَــلَا
جُودًا حَلِيفاً فى بَنى عَتَّابِ

« بنو عَتَّاب » من الأراقم ، وهم مِن بنى جُشَم بنِ بكر بنِ حبيبِ بنِ

---

(١) س ، ق : « نصف كتاب » — م ، ل : « سطر كتاب » ، وقال الصولى ويروى « شطر » .

(٢) قال المرزوقى : أراد أنها عذلته عذلا التبس عليه معناه ولم يفهم مغزاه منه ، فأشبه كلام المجانين وما تقرأه المرأة الحمقاء من شطر كتاب قطع نصفين .

(٣) وتتمة كلام المرزوقى كما فى كتابه : أخذه من قول الله تعالى : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » فقد فُسر فى بعض الأقوال أنه عز اسمه أراد بها الشباب .

(٤) الخِطر بالكسر نبات يجعل ورقه فى الخضاب الأسود يختضب به ، وهو شبيه بالكتم .

عمرو بنِ غَنْم بن تَغْلِبَ بن وائل بنِ قاسِط ، وإيّاهم عَنَى عمرو بن كلثوم بقوله :

وعَتّـــابًا وكلثـــومًا جميعًـــا بهم أُحْمَى وأَحْمِي المُجْحِرينا[1]

و « الحليفُ » والمُحالِفُ سَوَاء ، وأصلُ ذلك من حَلَف يمينًا ، كأنّ الحُلَفاءَ يَحلِفُ بَعضُهم لبعض أنه لا غَدَرَ به ، وكَثُرَ ذلك حتى قالوا فلانٌ حَلِيفٌ لكذا وكذا أى مُلازِمٌ له .

٩ مُتَدَفِّقًا صَقَلُوا بِهِ أَحْسَابَهُمْ[2]
إِنَّ السَّمَاحَةَ صَيْقَلُ الأَحْسَابِ

١٠ قَوْمٌ إِذَا جَلَبُوا الجِيَادَ[3] إِلى الوَغَى
أَيقَنْتَ أَنَّ السُّوقَ سُوقُ ضِرَابِ

١١ يا مَالِكَ ابنَ المَالِكِينَ ولَمْ تَزَلْ
تُدْعَى لِيَوْمَيْ نائِلٍ وعِقَـــابِ

١١ – [ع] ويُروَى : « ابنَ المالِكَيْن » على التَّثْنِية[4] ، كأنه فى نَسَبِه رَجُلانِ يُعرفَ كلّ واحد منهما بمالك ، وإذا رُوِى بالجمع احتَمَل وجْهَيْن :

---

(١) البيت من معلقته المشهورة ، وروايته فى شرحى التبريزى والزوزنى على المعلقات :
وعتاباً وكلثوماً جميعـاً بهم نلنـا تراث الأكرمينا

(٢) ظ ، هـ س : « أيامهم » .
وفى شرحه قال ابن المستوفى : قال الخارزنجى . المتدفق الفائض ، والمعنى : يقول : زينوا أحسابهم وأيامهم بالجود وصقلوها فحسّنوها ، ثم قال : وبالسماحة تصقل الأحساب . . . وكأنه من قول الفرزدق :
إن المهالبـة الكرام تحملوا دفع المكاره عن ذوى المكروه
زانوا قديمهـم بحسن فعالهم وكريم أخـلاق بحسن وجوه

(٣) قال الصولى : ويروى « قوم إذا ضربوا » فإن كان كذلك فى البيت تصدير – س : « جلبوا العتاد » و بهامشها « إذا جنبوا الجياد » .
وشرحه فى ظ : الضراب يكون بالسيوف والطعان بالرماح ، أى تقارب بعضهم إلى بعض فتضاربوا بالسيوف .

(٤) وهى رواية س .

أحدهما أن يَجعَل كل آبائه مِثْلَه فى الفَضْل ، كما يُقال هوالكريمُ ابنُ الكُرَماء ، والآخر أن يَجعَل « المالِكِينَ » جمعَ مالك مِن مَلَك يَمْلِك كأنَّهم كانوا يَملكون الناس * .

١٢ لَمْ تَرْمِ ذَا رَحِمٍ ببَائِقَةٍ ولاَ
كَلَّمْتَ قَوْمَكَ[١] مِن وَرَاءِ حِجَابِ[٢]

يقول : لم تُؤْذِ أحدًا من أقاربك وذَوِى رَحِمك . و« البائقة » الدّاهيَة ، يُقَال باقَتْهم تَبُوقهم ، وكأنه يُراد بها العُمُوم ، أخِذَتْ مِن بَوْقَة المطر وهى الدُّفْعَة منه ، ومنه قيل للباطل بُوق ، ولعلّ هذا البُوقَ الذى يُنفَخ فيه من هذا اشتِقاقُه ، لأنَّه إنما يُضرَب به عند أمر يَقع ، وقد تَكلّموا به قديمًا .

١٣ لِلجُودِ بابٌ فى الأَنَامِ ولَمْ تَزَلْ
يُمْنَاكَ[٣] مِفْتَاحاً لِذَاكَ البَابِ

١٤ ورَأَيْتَ قَوْمَكَ والإِسَاءَةُ مِنهُمُ[٤]
جَرْحَى بِظُفْرٍ لِلزَّمانِ[٥] ونَابِ

[خ] يقول : رأيتَ قومَك مُمْتَحَنِين قد شَمِلتهم خطوبُ الدّهْرِ بمَوْجِدتِك عليهم ، لِما كان منهم من الإساءة * .

١٥ هُمْ صَيَّرُوا تِلكَ البرُوقَ صَواعِقاً
فِيهِمْ وذَاكَ العفوَ سَوْطَ عَذَابِ[٦]

أى هم الذين تَعرّضوا لِغضَبِك[٧] .

---

(١) م : « قوماً » .
(٢) ظ : « ولم تنهد إليهم من وراء حجاب » .
(٣) م - « كفاك » .
(٤) ظ : وفى نسخة « والإساءة فيهم » .
(٥) س ، ظ ، د : « للخطوب » .
(٦) هـ ب ، هـ ش : « عقاب » .
(٧) قال الصولى فى شرحه : يقول هم أذنبوا فا حتجت إلى أن تجعل لهم عقوبة ، وضربه مثلا بالبرق للغيث والصاعقة .

١٦ فأَقِلْ أُسَامَةَ[١] جُرْمَها واصْفَحْ لها
عنْـــهُ وهَب ما كانَ لِلْوَهَّابِ

[ص] « أسامة » حيّ من العرب[٢] قطعوا فى عَمَلِه فطرَدَهُم فاعتذَروا وتابوا ، وشفَع لهم أبو تمام فصفَحَ عنهم * . [ع] وأسامة من الأراقم وهم من رَهْط الممدوح ، وإنما سُمُّوا بأسامةَ الذى يُراد به الأسَد ، ولم يَحْكُ أحدٌ من الثّقات أنّ الاسمَ شيءٌ مُستعمل ، ولكنه يُحمَل على أنّ الهمزةَ فيه واو قلبَتْ لِضمَّتِها وكَوْنِها فى أوّل الاسم فكأنّه وسامة ، وإذا قيل بذلك احتمل مذهبين : أحدهما أنه لا يَتَبِض على شيء إلاّ جعَل فيه وَسْمًا أى أثرًا كالعَلامَة ، والآخر أن يكون من الوَسامِ الذى هو الحُسْن وحُمِلَ ذلك على العكس ، لأنّ الليثَ يوصَف بقُبْح المَنْظر ، فيكون على قولهم لِلدِّيغ سَلِيم وللمَهْلَكة مَفازَة . وقوله « وهَبْ ما كانَ للوَهّابِ » : « الوهّاب » يَحْتمِل وجهين : أحدهما أن يُرادَ به اللهُ سبحانَه ، كما يُقال للرجلِ اصفَحْ عن فُلان لِلّه ولِوَجْه الله ، وهذا أبلغُ فى صفةِ المَمْدوح ، والآخر فيه مَدْحٌ لأسامَة ، كما يُقال أكرِمْ فلانًا فإنّه كَرِيم[٣] ، أىْ هبْ لهم فإنهم قد تَعوّدوا أن يهَبُوا ، ومنه قَوْلُهم فى المَثَل : اسْقِ رَقاشِ إنّها سقّايَة[٤] * .

١٧ رَفَدُوكَ فى يَوْمِ الكُلَابِ وشَقَّقُوا
فِيـــهِ المَزَادَ بجَحْفَل غَلَّابِ

ويُروَى « كاللاّبِ »[٥] جمع لابَة ، شبَّه الخَيْلَ فى كَثْرتها بها . « رَفَدُوك » أى أعانوك . [ع] و « يوم الكُلاب » يَوْمٌ كان بينَ الملكينْ

---

(١) ظ : ويروى « إساءة جرمها » (٢) الذى فى شرح الصولى : حى من بنى تغلب .
(٣) قال ابن المستوفى : والأول أجود ، لأن الثانى جعل أسامة فيه اسم القبيلة وأعاد عليها الضمير مؤنثاً فإذا وصفها بالوهاب يكون قد رجع عن القبيلة إلى اسم الواحد ، وفى هذا بعد .
(٤) قال فى مجمع الأمثال ١ : ٢٢٥ : رقاش مثل حذام مبنى على الكسر اسم امرأة ، يضرب فى الإحسان إلى المحسن .
(٥) هى رواية س ، ورواية الصولى « غلاب » كما جاء فى أصل التبريزى ، وفى شرحه قال : =

شُرَحْبِيل بنِ الحارث عمِّ امرئ القَيْس وأخيه سَلَمة بنِ الحارث ، وقُتِل شُرَحْبِيل يومئذ ، قتله أبو حَنَش عُصْم بنُ النعمان التَّغْلبي ، وكانت بنو تَغْلِب مع سَلَمة ، وكانت تميم مع شُرَحْبِيل ، وهذا الكُلابُ الأوّل وأمّا الكُلاب الثانى فكان بينَ بنى تميم والرِّباب وبينَ بنى الحارث بنِ كَعْب وقوله : « شقّقوا فيه المزادَ » يُريد أنّهم أراقوا ما كان معهم من الماء وقالوا لا نَشْرَبُ إلاّ من الكُلاب وإلاّ مِتْنا عَطَشًا ، وذلك عَنَى الأَخْطَلُ بقوله :

وأخُوهُمُا السفّاح ظَمّأ خيلَه حتّى وردْنَ مِن الكُلاب نِهالا(١)

١٨ وهُمُ بعَيْنِ أُبَاغَ رَاشُوا لِلوَغَى
سَهْمَيْكَ عِنْدَ الحارثِ الحَرَّابِ

[ع] «أُباغ» بضم الهمزة وفتحها وكسرها ، والغينُ مفتوحة ، ورواية رابعة أباغِ ، مثلَ قَطَامِ وحَذَامِ . و « عين أُباغ » مَوْضع معروف كانت فيه وقائعُ فى الدهر الأوّل . و « الحارث الحرّاب » من ملوك العرب ، وربّما وصفوا كلَّ

= ويروى « كلاّب » وهو جيد ، وفسره بقوله : والكلاّب الشديد الجرأة على أعدائه ، والكلْب الكلَب من هذا . وقال المرزوقى فى الرد عليه : وروى بعضهم « بجحفل كلاب » وليس بشىء ، وقال ابن المستوفى : إنه (أى الصولى) بدّل ثم أخطأ ، وإنما الرواية الصحيحة « كاللاب » وهو جمع لابة ، يقال لابة ولاب ، كما يقال حاجة وحاج وساحة وساح ، واللوب جمع لوبة ، يقال لوبة ولوب ، ولابة ولاب . وتشبيه العرب الجيش بالرعان والهضاب والجبال أشهر من أن يحتاج إلى شاهد ، فأما قوله « كلاّب شديد الجرأة » فهو ما لم يعه سمع عن فم ولا حكاه خلف عن سلف ، وأعجب منه اشتقاقه الكلب الكلب منه ، لأن الكلب داء يصيب الإنسان وغيره كالجنون ، قال آخر يشبه نشاط فرسه بالجنون :

كلِباً من حسن ماء مسبَّه وأفانين فؤاد مختبل

وقد اشتق من الكلْب — واحد الكلاب — ابنية كثيرة ، فقيل مكلّب وكلاب لصاحب الكلاب ، وقيل تكالب الرجلان إذا تشاتما وتواثبا ، والأصل تشابها بالكلاب ، وقيل كالب فلان فلاناً ، قال أبو تمام :

كان الزمان بكم كلباً فغادركم بالسيف والدهر فيكم أشهر الحُرُم

ويقال كلِب الشتاء إذا اشتد برده . وممن شبه الجيش بالحرة الفرزدق فى قوله :

قَيدت له من قصور الشام ضُمّرها يطلبن شرقَ أرض بعد تغريب
حتى أناخ مكان الصيف معتصباً بمكفهرين مثل حرة اللوب

أراد بجيشين كثيفين كأنهما حرتان .

(١) الديوان ص ٤٥ . والرواية فيه : « جبى الكلاب » .

ملك يُقال له الحارثُ بالحرّاب * ويقال إن أول مَن وُصِفَ بذلك من مُلوكِ كِنْدَةَ ، ثم قيلَ ذلك للحارث الغسّانيّ ، وأنشد :

والحارثُ الحرّابُ حلَّ بعاقلٍ جَدَثًا أقامَ به ولم يتحوّلِ

وقال حاتم الطائى :

ليتَ شِعْرى متى أرَى قُبّةً ذا تَ قِلاعٍ للحارثِ الحرّاب[1]!

وقوله : « راشُوا فى الوَغَى سَهْميكَ » أى أعانوك، لأنّ السهمَ لا يُنْتفَع به حتى يُراشَ ، ولذلك قالوا فلان يَرِيش قومَه أى يَنفعُهم ويُصلِحُ أمْرَهم ، وإذا قالوا يَرِيش ويَبرِى أرادوا أنه ينفع ويضر ، قال الشاعر :

فَرِشْنِى بخيرٍ طالما قد بَرَيتَنِى وخيرُ الموَالى مَنْ يَرِيشُ ولا يَبْرِى[2]

[ص] وكانت بنو تغلب مع النُّعمان يومَ جاءَ الحارثُ بن أبى شَمِر إلى عَيْن أُباغَ لمحاربةِ النُّعمان فهزَموا الحارثَ الغسّانى *

١٩ وَلَيالِى الحَشَّاكِ والثَّرْثارِ قَدْ
جَلَبُوا الجِيادَ[3] لَوَاحِقَ الأَقْرَابِ

« الأقْرَاب » الخَواصِرُ . و« لَواحِق » ضَوامر . و« الحَشّاك » و« الثّرثار » مَوْضعان كانت بهما وقْعَتان لبنى تَغْلِب مع قَيْس عَيْلان [ع] وقيل إنّ الحشّاك وَاد ، وقيلَ بل نَهر ، ولا يَمْتنِع أن يكون أحدهُما سُمِّى باسم الآخر . فأمّا الثّرثار فنَهرٍ معروف ، وقد يجوز أن يُسمَّى البَلَدُ الذى هو فيه الثّرثار * ويقال قد لَحِق أيْطَلُ الفَرَس وإطْله وقُرْبُه اذا ضمر فلَحِقَتْ خاصِرتُه بما يليها مِن بَطْنه ، ويقال له عند ذلك أقبّ البَطْن . [ق] وكان بين قَيْس وتَغْلِبَ عند الثّرثار وقْعَتان فى يومَيْن : الأوّل منهما كان لِتَغلبَ فأكثَروا القَتْلَى من قَيْس ، وأدركوا دِماءَهم يومَ الخابُور ، وزادوا على ذلك أيضًا . وأما يوم الحشّاك فإن تغلبَ تُسمّيه يومَ الدّابِرَة وقَصْد أبى تمام أن يَعطِفَ

---

(١) الديوان ص ٣٦ .

(٢) البيت لعمير بن الحُباب . اللسان مادة « ريش » .

(٣) هـ س : ويروى « جنبوا الجياد » .

قلبَ مالكِ بن طَوْق على بنى تغلب ، ومالك هو من بنى جُشَم بن بكر ، فذكّره تعاونهما على قَيْس فى الوَقْعات التى كانت بينهما وتَرافُدهما ، وأنّ كلّ واحد منهما إنما دافع الأعداءَ وناهَضَهم بالآخر * [ص] وهذا يومٌ كان لِتَغْلب على قيس ، قتلوا فيه عُمَيْرَ بن الحُبَاب السُّلَمِيّ بالثَّرثار على تلّ الحَشَّاك ، وقد ذكر هذا اليومَ الأخطلُ فقال :

لَعَمْرى لقد لاقَتْ سُلَيمٌ وعامِرٌ على جانبِ الثَّرثارِ راغيةَ البَكْرِ (١) *

٢٠ فمَضَتْ كُهولُهمُ ودَبَّرَ أَمْرَهُمْ
أَحْداثُهُمْ تَدْبِيرَ غَيْرِ صَوَابِ

يقول : إنّما حَمَلَهم على خِلافِك غِرّتُهم وحَداثتُهم .

٢١ لارِقَّةُ الحَضَرِ اللَّطِيفِ غَذَتْهُمُ
وتَباعَدُوا عَنْ فِطْنَةِ الأَعْرَابِ (٢)

وصفهم بقلّة الخِبرة بالأمور . [ع] « الأعراب » جرَى الاصطلاحُ فى أوّل اللغة على أنّه يُقَال للذين يَسكنون البَدْوَ أعراب ، ويُجْمَعون على أعاريب ، والعَرَب اسمٌ جامع ، يقال لكلّ مَن انتَسَب إلى هُود وتَكلّم بهذا اللسان من سُكّان الأمصار وغيرهم ، ولا يقال لمن كان من وَلَد إسرائيل عربىّ ، وإنما يُقَال ذلك لمن كان من وَلَدِ إسماعيلَ بنِ إبراهيم أو مِن وَلَد يَعْرُبَ بنِ قَحْطان * .

٢٢ فإِذَا كَشَفْتَهُمُ وجَدْتَ لَدَيْهِمُ
كَرَمَ النُّفُوسِ وقِلَّةَ الآدَابِ (٣)

---

(١) الديوان ص ١٣٣ .

(٢) انتهى خرم ن الذى أشرنا إليه فى ص ٣٤ .

(٣) فى ظ : وروى الخارزنجى : « وكثرة الآداب » وقال : يقول تحت غرتهم وغفلتهم وحداثة سنهم كرم وأدب كثير .

٢٣ أَسْبِلْ عليهِمْ سِتْرَ عَفوِكَ مُفْضِلًا
وانفَحْ لَهُمْ مِنْ نائل[1] بِذنابِ

٢٣ – يُقَال نفح له بسَجْل وبِذَنُوب إذا أعطاه . [ع] و « الذّناب » جَمْع ذَنُوب ، وأصل الذّنوب الدّلْو التى فيها ماء ، ثم استعمل ذلك فى الغَيْث فقيلَ سقَتْه السماءُ بِذَنُوب ، وجمع ذَنُوب فى أدْنَى العَدَد أذْنِبَة ، على رَأى مَنْ ذكَّره ، وتَذكيرُه أكثر ، وقد حُكى فيه التأنيث .

٢٤ لَكَ فى رَسُولِ اللهِ أَعظَمُ أُسْــوَةٍ
وأَجَلُّهــا[2] فى سُنَّةٍ وكِتابِ

لأنه كان كثيرَ العفو ، و « الأسوةُ » و « الإئتساء » الاقتداء .

٢٥ أَعْطَى المُؤَلَّفَةَ القُلُوبِ رِضَاهُمُ
كَمَلًا[3] ورَدَّ أَخايِذَ الأَحْــزَابِ

[ع] « المؤلّفة القُلُوب » هم الذين ذُكِروا فى آية الصّدَقة[4] ، وهم قَوْمٌ دَخَلوا فى الإسلام رغبةً فى المَغَانم والعَطاء ، منهم جَماعَةٌ من قُرَيش ، وجَماعَةٌ من غيرهم ، مِثْلُ أبى سُفيانَ بن حَرْب ، وأبى سُفيانَ بن الحارث ابن عبد المُطّلب ، والنَّضْير بنُ الحارث أخو النَّضْر بن الحارث الذى قَتَله النبىّ صلى الله عليه وسلم صَبْرًا ، وعُيَيْنَةُ بنُ حِصْن من غَيْر قُرَيْش ، والعَبّاسُ بنُ مِرداس ، وهم كثير . و « القُلُوب » الأجْوَدُ فيها الخَفْضُ لأنّها من باب الحَسَن الوَجْه ، ويجوز النّصْبُ على التّشْبيه بالمفعول به ، ويجوز الرفعُ وهو أضعفُ الوُجوه ، كأنّه قال : المؤلّفةُ القلوبُ منهم ، ويجوز أن

---

(١) س : « من نعمة » .
(٢) هـ ب : « وأحلها » .
(٣) د ، ظ ، هم ، هـ ب : « كرماً » .
(٤) سورة التوبة : آية ٦٠ .

تَجْعَل «القلوبَ» بَدَلاً من المُضْمَر فى « المؤلّفة » . و« الأحْزَاب » كلٌّ مَن تَحزّب على الإسلام ، وأعرفُ ذلك أن يَعنى الذين شَهِدوا غَزَاةَ الخَنْدق مِن المُشْركين واليهود ، ولم يَرُدَّ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله أخايذَ أولئك لأنّه لم يأخذْ منهم غَنِيمة ، وإنّما أراد أخايذَ أوطاسٍ وغيرها *

٢٦ والجَعْفَرِيُّونَ استَقَلَّتْ ظُعْنُهمْ[1]
عن قَوْمِهِمْ وهُمُ نُجُومُ كِلاَب

« الظُّعْن » الإبِلُ بمن تَحمِل من النساء ، ويقال للمرأة ظَعِينة ، وكذلك للهَوْدج ، ويقال لكلِّ مَن سار قد ظَعَن ، ويقال للنَّعْش ظَعَن لأن الميِّتَ يَظْعن فيه ، قال طُفَيل الغَنَوى :

حتّى يُقالَ وقد عُولِيتُ فى ظَعَنٍ إنّ ابنَ أَرْوَى[2] أبو قُرّانَ مَحْمولُ

والجَعْفَرِيُّون خَرَجوا على الجوّاب ونابذوه ، فلمّا لم يَقْدِروا عليه وعلِموا خَطأهم رَجَعوا .

٢٧ حَتَّى إذَا أَخَذ الفِرَاقُ بِقِسْطِهِ
مِنهمْ وشَطَّ بِهِمْ عَنِ الأَحبابِ

٢٨ ورَأَوْا بِلادَ اللهِ قَدْ لَفَظَتْهُمُ
أَكْنَافُهـا رَجَعُوا إلى جَوَّابِ

٢٨ — يعنى بنى جَعْفرِ بن كِلاب ، كان قد وَقَع بينهم وبين قومهم ، بسببِ أنّ غَنَمًا قَتَلتْ رجلاً منهم ، فقَعَد بنو أبى بَكْرِ بنِ كِلاب عن نُصرتهم ، بل أعانوا عليهم . فيقول : لا تَفعلْ أنت بقومك ما فَعَلَه أولئك بهم ، فارتحلوا عن بلادهم وجاوَرُوا فى بنى الحارثِ بنِ كَعْب ، فلم يَحْمَدوا

---

(١) د : « عيرهم » .

(٢) ب : « ابن عوف » ، ورواية الديوان ص ٣٢ :
حتى يُقال وقد عُولِيت فى حَرَجٍ أين ابن عوف أبو قران محمول ؟

جوارَهم ، وتهضَموهم فى بعض الأشياء، فظعَنَتْ عنهم وهم لا يَعلمون ، وسارَتْ بَنُو الحارث فى إثْرِهم فلحِقُوهم فى المَوْضع الذى يُقَال له فَيْفُ الرِّيح ، وهو اليومُ الذى فُقِئَتْ فيه عَيْنُ عامرِ بنِ الطُّفَيْل بنِ مالكِ بنِ جَعْفرِ ابن كِلاب ، فرجَعَتْ بَنُو جَعْفر إلى جَوّاب الكِلابِىّ وكان أسْودَ – ويُقال إنّه قِيلَ له جَوّاب لأنَّه كان لا يحفِر بِئْرًا إلاّ خَرَقها عن الماءِ كأنَّه يَجُوبها عنه ، وإياه عَنَتْ القائلة :

لَحَا الإلهُ أبا سَلْمَى بِفرَّتِه يومَ النِّسارِ وقُنْبَ العَيْرِ جَوّابَا

شبَّهتْه بِقُنْبِ العَيْرِ لسَوادِه – فلما رَجَعَت إليه بنو جَعْفر وجدوا عنده ما يُحِبُّون ، ولمّا حَكَّموه حَمَل الدّماء وأصْلَح بينهم . وفى ذلك يقول لبيد :

أبَنِى كِلابٍ كيفَ تُنفَى جعفرٌ وبنو ضَبِينة حاضرو الأجباب
قتلوا ابنَ عُروةَ ثم لَطُّوا دونَه حتَّى نُحاكِمهم إلى جَوّابِ[1]

٢٩ فأَتَوْا كَرِيمَ الخِيمِ[2] مِثْلَكَ صَافِحاً
عَنْ ذِكْرِ أَحْقَادٍ مَضَتْ وضِبَابِ

[ع] « الضِّباب » جمع ضَبّ وهو الحِقْد ،وعَطَفه على « الأحقاد » لاختلاف اللفظ ، ويجب أن يكونَ الضَّبّ أشدّ ثَباتًا فى القَلْب من الحِقْد ، لأنهم يصِفون الضَّبَّ بالخَدِيعة ، وإنما شبَّهه بالضبّ الذى يحترش *

٣٠ لَيْسَ الغَبِىُّ بِسَيِّدٍ فى قَوْمِهِ
لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ المُتَغَابِى

(١) لم يرد شعر لبيد هذا فى ش ، وأثبتناه من نسختى ب ، ن – وفى ظ : قال ابن المستوفى : وهذا مثل قول عروة السعدى فى سلم بن زياد وكان هجاه فصحب غيره فلم يحمده فقال :

عتبت على سلم فلما هجرتـه وعاشرت أقواماً رجعت إلى سلم

وقال فى الديوان (ص ١٤٦ ، ١٤٧) ضبينة قبيلة . جب وأجباب آبار . قال الأصمعى : بنو ضبينة حى الذين قتلوا عروة ، وقد كانوا قتلوا ابن أخ لجواب ، فقال جواب لا أديه لأنهم قتلوا ابن أخى فيكون فتيل بقتيل . « لطوا » ستروا ، وهو يلط دون قدره يستر .

(٢) ل : « النجر » .

٣١ قَدْ ذَلَّ شَيْطَانُ[1] النِّفَاقِ وأَخْفَتَتْ
بِيضُ السُّيوفِ زَئِيرَ أُسْدِ الغَابِ

٣٢ فاضْمُمْ أَقاصِيَهُمْ[2] إِلَيْكَ فإِنَّهُ
لا يَزْخَرُ الوَادِى بِغَيرِ شِعَابِ

٣٢ – هذا مَثَل ضَرَبه للممدوح ولِبنى عَمِّه ، يُقَال زَخَرَ الوَادى ، إذا جاء بسيل كثير فارتَفَعَ ماؤه كما يَزْخَرَ البحر ، و « الشِّعاب » جَمْعُ شعْب وهو الطريقُ فى الجبَل .

[ع] ويقال لمسيل الماءِ إلى الوادى شِعْبٌ وشُعْبة ، لأنَّه إنما يَجِيء من الجِبال . يقول : فأنتَ أيُّها الممدوحُ لا يَعْظُم شأنُك إلاّ بقَوْمك وأقاربك ، كما أنّ الوادىَ لا يَعْظُم سَيْلُه حتّى تَدْفَعَ فيه الشِّعابُ التى حَوْلَه ، فتألَّفْهم واجمَعْهم ، فإنَّهم عَضُدُك وأعوانُك على ما يَكسِبُك مَحْمَدةً ، وبهم تَعِزّ .

٣٣ والسَّهْمُ بالرِّيشِ اللُّؤَامِ ولَنْ تَرَى
بَيْتاً بِلا عَمَـدٍ ولا أَطْنَابِ

« اللُّؤام » هو الذى يُلائم بعضُه بعضًا ، وذلك أجودُ الريشِ عندهم ، وقيل هو أن يكون بَطْنُ الريشةِ إلى ظَهْرِ الأخْرَى ، ويقال سَهمٌ لَأْمٌ إذا كان رِيشُه كذلك ، وهو أحد القولين فى قولِ امرئ القَيْس :

نَطْعَنُهُمْ سُلْكَى ومَخْلُوجَةً كرَّكَ لأمِيْن على نابلِ[3]

« والأطناب » الحِبالُ الطويلة ، والقصيرة منها الأصُر ، الواحدُ إصار .

(ق) وإنّما أراد أن يَحُضَّه بهذا المَثَلِ على طَلَبِ المُوافَقَة وتَرْكِ

---

(١) أ : م : « سلطان النفاق » وبهامشها رواية الأصل .
(٢) س ، م ، ل ، ق ، ب ، ن ، ظ : « قواصيهم » .
(٣) العقد الثمين ص ١٥١ .

المخالفة ، إذْ كانت المخالفةُ تُفضِي بالعَشِيرة إلى التفانى ، وإذْ كان سَيِّدُ القَوْمِ لا تَتِمّ سيادَتُه إلاّ بتأليفه لهم ، وصَبْرِه على مكروهِهم ، واحتمالِه أذاهُم ، وتحمُّل المشاقّ دونَهم ، والصَّفْحِ عن جانيهم ، والتجنُّبِ مِنْ جَرّ الجرائرِ عليهم ، قال : وكذلك البيتُ إنما يَستقيم بِعَمَده وأطنابه ، بل متى نزِع بعضُ العمَدِ أو قُطِعَ شيءٌ من الطنُب مال ولم يَسْتو . وهَجَمَ ولم يَثْبُتْ .

٣٤ مَهْلًا بَنِى غَنْمِ بنِ تَغْلِبَ إنَّكُمْ
لِلصَّيدِ مِنْ عَدْنَانَ والصُّيَّابِ

[ع] يقال فلانٌ لِفُلان أى من وَلَده * ، قال الشاعر :

فلستُ لِحَاصِنٍ إنْ لم تَرَوْنا نُجالِدكم كأنَّا شَرْبُ خَمْرِ

يقول لستُ لأمّ حاصِن ، « والحاصنُ » العفيفة . و « الصِّيدُ » جَمْع أصْيَد ، يقال رَجُل أصْيَد إذا وُصِفَ بالكِبْر ، وأصْلُ ذلك أن يُصِيبَ البعيرَ داءٌ فى رأسه فيُميل عُنقَه ورأسَه ويَنتَفِخُ يا فوخُه ، وهو الصَّادُ أيضًا . ويُقال فلان من صُيَّابِ القَوْمِ وصُيَّابتهم أىْ مِن خِيارهم ، قال الراجز :

وقد وَسَطْتُ مالِكًا وحَنْظَلا
صُيَّابَها والعَـــددَ المُجَلْجَلا

٣٥ لَوْلَا بَنُو جُشَمِ بنِ بَكْرٍ فِيكُمُ
رُفِعَتْ خِيَامُكُمُ بِغَيْرِ قِبَـــابِ

[ق] يقول : لولا بنو جُشَم ما كان فيكم مُلْكٌ ، و « بنو جُشَم » رَهْطُ مالك ، و « القباب » إنما تكون للمُلُوك و « الخِيام » لِأوْسَاطِ الناس ، فاستعارَهما للفَرِيقَيْن (١) * .

---

(١) فى ظ قال وأخذ قوله « رفعت خيامكم بغير قباب » من قول الفرزدق :

كسنب ابن المراغة حين ولّى إلى شر القبائـــل والديـــار
إلى أهل المضايق من كليبٍ كلابٍ تحت أخبيـــةٍ صغار
ألا لعن الإله بـــنى كليبٍ ذوى الحمرات والعمـــد القصار

٣٦ يا مَالِكَ استَوْدَعْتَنى لَكَ مِنَّةً[١]
تَبْقَى ذَخَائِرُهَا على الأَحْقَابِ[٢]

٣٧ يا خَاطِباً مَدْحِى[٣] إِليهِ[٤] بجُودِهِ
ولَقَدْ خَطَبْتَ قَلِيلَةَ الخُطَّابِ

٣٧ – ذَمَّ أهْلَ زمانِه لأنَّهم لا يرغبون فى مدحه[٥].

٣٨ خُذْهَا ابْنَةَ الفِكْرِ المُهَذَّبِ فِى الدُّجَى
واللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةِ الجِلْبَابِ[٦]

٣٩ بِكْرًا تُورِّثُ فى الحَيَاةِ وتَنْثَنِى[٧]
فى السِّلْمِ وهِىَ كَثِيرَةُ الأَسْلَابِ

٣٩ – [ع] « بِكْر » يَعْنى القصيدة ، فكأنّه جعَلها بِنْتًا للشاعر ، فهى تُورِّثُه وهى حيّةٌ لم تَمُتْ ، أىْ يأخُذ الجائزةَ عليها ، والأَجْوَدُ كَسْر الرّاء فى « تُورِّث » لأنّ معْنَى الميراث يَصِحّ على ذلك لأبيها ، وإن فُتحت الراءُ جُعِل الميراثُ لها ولا معْنَى لذلك ، لأنَّه لم تَجْرِ العادةُ بأن يَرِثَ الإنسانُ إلاّ وهو حىّ . فإنْ جُعِلتْ بِنْتًا للممدوح لأنّها قِيلَتْ من أجلِه حَسُنَ أن

(١) هـ م : « ذمة » .
(٢) س ، د ، ظ : « جعلت إليها ساقة الأحقاب » وبهامش س « تبقى ذخائرها على الأعقاب » – وفى هـ ب ، هـ ن : ويروى « تبقى على الأيام والأحقاب » – وفى ظ : ويروى « حفلت إليها » وفسرها بقوله أى اجتمعت .
(٣) هـ ش ، هـ ب ، هـ ن . ظ : ويروى « مِدَحى » .
(٤) س : « إلىّ » .
(٥) قال ابن المستوفى : وقيل جعلها قليلة الخطاب لغلاء مهرها ، وقيل لأنه لم يكن لها كفء سواك .
(٦) قال ابن المستوفى : عاب عليه قوم هذا البيت وقالوا قوله « فى الدجى » وقوله « والليل أسود رقعة الجلباب » شىء واحد .
(٧) فى ظ : ويروى « وتغتدى » .

يُروى بفتح الرّاء ، يُراد أنه يُجيزها وهو حَىّ فكأنّها قد وَرِثَتْه . وقوله : « تَنْثَنى فى السّلم وهى كثيرةُ الأسْلاب » جَرَتِ العادةُ بأنّ السَّلَبَ يكون فى الحَرْب ، وهذه القصيدة تأخذ سَلَبَ الممدوحِ – أى ما يَخْلَع ويَهَب – وهى فى حالِ السلم[1] * .

٤٠ ويَزيدُهَا مَرُّ اللَّيَالى جِدَّةً
وتَقَادُمُ الأَيَّامِ حُسْنَ شَبَابِ

(١) وقال المرزوقى فى ق : أى هى ترث أموال الناس فى حياتهم ، يعنى ما يعطون عليها وتنصرف بالغنائم فى حال الصلح ، لأنهم تطيب أنفسهم بالبذل فيها . فالرواية عنده إذن « تورّث » بفتح الراء
وفى ظ : قال الآمدى قوله « تورث فى الحياة » : أى تصير ميراثاً لولد الممدوح وأهله قبل وفاته ، لأن افتخارهم بما فيها من مناقب فى حياته كافتخارهم بها بعد وفاته . وقوله « وتنثنى فى السلم وهى كثيرة الأسلاب » أى تغتصب وتسلب معانيها كما يستلب المحارب وهو فى السلم لا فى الحرب .
وقال ابن المستوفى أيضاً : ويروى « بكر تؤرث فى الحروب » من أرثت النار أى تهيج وتثار .
ويروى « تهيّد فى الحياة » . قال الجوهرى : هدت الشىء أهيده حركته ، فكأنه أراد تسير فى البلاد

٥

وقال يمدح عُمَرَ بنَ طَوْق [بن مالك بن طوق التغلبي][1] :

١ أَحْسِنْ بِأَيَّامِ العَقِيقِ وأَطْيِبِ
والعَيْشِ فى أَظْلالِهِنَّ المُعْجِبِ

الأول من الكامل والقافية متدارك .

« العَقيق » مَوْضع بعَيْنه ، وأصلُ العقيق الوادى، فأمّا قولُ الفَرزدَق :

قِفى ودّعينا يا هُنَيْدُ فإننى أرَى الحىّ قد شاموا العقيقَ اليمانيا[2]

فإنه يَعنى بالعَقيق البَرْقَ المُسْتَطيل ، وأجاز بعضُ أصحابِ المعانى أن يكون العقيقُ السّيوف . وقال : « أطْيب » فَصحّح الياءَ لأنّ التعجب شأنُه ذلك يَظهر فيه التضعيفُ ويَصِحّ المُعتَلّ إذا بَنَيْتَه بناءَ الأمرِ ، فأما إذا بَنَيْتَه على « ما أفْعَلَه » فإنّه يَصِحّ مُعتَلّه ولا يظْهرُ مُضعّفُه ، تقول : ما أقْولَه للحقّ ، وما أعزّه ، وما أشدّه ، فتُدْغم ، فإذا صِرْتَ إلى لفظ « أفْعِلْ به » قلتَ : أقِلْ به وأعزِزْ ، ولم يقولوا أعزّ بفلان ألْبَتّة . [ع] وقوله : « فى أطرافهنّ »[3] ويُروَى « فى أفيائهنّ »[4] و « فى أظلالهنّ » فإذا قيل « فى أطرافهنّ » أراد الغَدَوات والآصال والأسحار ، ومن روى « فى أفيائهنّ » أراد جَمْعَ الفَيْء ، و « فى أظلالهنّ » أراد جَمْعَ الظلّ ومعناه معروف .

---

(١) عن ظ .

(٢) النقائض ص ١٦٨ .

(٣) وهى رواية س ، د ، ق ، هـ ب .

(٤) نقل ابن المستوفى من كلام أبى العلاء زيادة على ما أورده التبريزى : وهذا كما قال الطائى فى موضع آخر .

أيامنا مصقولة أطرافها بك والليالى كلها أسحار

ثم قال : ورواية « أطرافهن » و « أفيائهن » أولى لأنه يأتى ذكر « أظلالهن » بعد . (انظر البيت ٤ من هذه القصيدة) .

٢ ومَصِيفِهِنَّ المُسْتَظِل بظِلِّهِ سِرْبُ المَهَا ورَبِيعِهِنَّ الصَّيِّبِ

« المَصِيف » يكون اسمًا للوقت، ويكون مصدرًا ، وبعضهم يجعل المَصِيفَ فى معنى المفعول مثل المَبِيع والمَكِيل، فإذا كان كذلك حُمِل على أنّه من صِيفَ يُصَاف إذا أصابَه الصَّيِّفُ من المطر ، والصَّيِّفُ مَطر الصَّيْف و « السِّرْب » الجماعة من الظِّباء ، وبقر الوحش ، والقَطا ، والنِّساء . و « المها » ها هنا بَقَرُ الوَحْش ، وأصل المَهَاة البلّورَة، وقيل للبقرة الوحشيّة مَهَاة لبياض ظَهْرها، ويُقال للأسنان مَهًا وللشمس مَهَاة . [ع] وقوله : « وربيعهنّ الصَّيِّب » يُرِيد المطرَ الذى يكون فى الربيع ، ويجوز أن يعنى بالربيع الوقتَ ، ويصفه بالصَّيِّب لأنّ المطر يَصُوب فيه، فيكون على قوله لَيْلٌ نائم أىْ يكون فيه النَّوْم.

٣ أُصُلٌ كَبُرْدُ العَصْبِ نِيطَ إلى ضُحًى
عَبِقٍ بِرَيْحَانِ الرِّيَاض مُطَيَّبِ

[ع] « أصُل » جاء به مُوَحَّدًا ، وقيل أُصُل جمع أصِيل مثل رَغيف ورُغُف (١) فمَن نطق به على التوحيد فلا كلامَ فيه ، ومن جعله جمعَ أصِيلٍ أجراه مُجْرى الجمُوع التى تُحمَل على الجنْس فتُوحَّد ، كما قال :

هُمُ يَمنعونى إذْ زِيادٌ كأنّما يَرَانىَ أخْلاءً بقُفّ مُوضَّعا (٢)

فقال « أخلاءً » فجَمَع ، ثم قال « مُوَضَّعًا » فوَحّد، لأنه ذَهَب مذهبَ الجنْس كما قال الراجز :

بَالَ سُهَيلٌ فى الفَضِيخ (٣) ففسَدْ
وطابَ أَلبانُ اللِّقَاحِ وبَرَدْ

(١) قال ابن المستوفى يستدرك على أبى العلاء : « « أصل » جمع أصيل وليس بمفرد .

(٢) « أخلاء » جمع خالى ، والخالى العزب الذى لا زوجة له وكذلك الأنثى بغير هاء ، أو هو جمع خلو وخلى . و « القف » واد من أودية المدينة . و « الموضع » المخنث .

(٣) « الفضيخ » عصير العنب ، وهو أيضاً شراب يتخذ من البُسر المفضوخ وحده من غير أن تمسه النار وهو المشدوخ .

وشرح الرجز كما جاء فى اللسان (مادة بول) : أى لما كان الفضيخ يفسد بطلوع سهيل كان ظهوره عليه مفسداً له فكأنه بال فيه ، والمعنى أنه يسكر شاربه فيفضحه .

و « نِيطَ » عُلِّق ، وقوله : « كبُرْدِ العَصْبِ » أى هو حَسَنَ فيه نُقُوش، وأصل العَصْب عندهم الغَزْل ، ثم قيل لضربٍ من البُرُد عَصْب لأنّها من الغَزْل تكون ، والعَصْب عندهم من ملابس المُلُوك ، ويروى لِزُفَرَ بن الحارث :

أتجعلُ أجلافاً عليها عباؤها ككندةَ تمشى فى المطارف والعصْب ؟

وذكر الضُّحَى والمعروفُ تأنيثُها .

٤ وظِلالِهِنَّ[1] المُشْرِقاتِ بِخُرَّدٍ
بِيضٍ كَوَاعِبَ غامِضَاتِ الأَكْعُبِ

[ع] جَعَلَ الظِّلالَ مُشرقات ، وإنما الإشراقُ للشموس ، وهذا من صنعة الشعْر لأنه وَصَف الظلالَ بما تُوصف به الشموس[2] .

وقوله : « غامِضات الأكْعُب » يقول : هُنَّ مُنعّماتٌ ليس لأكعُب أرجُلِهِنَّ حَدّ[3] ، بل هُنَّ دُرْمُ[4] الكُعُوب .

٥ وأَغَنَّ مِنْ دُعْجِ الظِّبَاءِ مُرَبَّبٍ
بُدِّلْنَ مِنْهُ أَغَنَّ غَيْرَ مُرَبَّبِ

« أغنّ » فى أوّل البيت يعنى به ظَبْيًا من الإنس ، يُقال ظَبْى أغنّ إذا كانت فيه غُنَّة ، والغُنّة تُستحسن فى الصَّوْت .

وقوله : « من دُعْج الظِّباء » هو من قولهم طَرْفٌ أدْعَج أى أسْوَد ، ولَيْل أدْعَج إذا وصِفَ بشدّة السَّواد ، والأصل أن يُقال أدْعَج العَيْن ، ولكن أوقعوا الصفة على كلّ الشىء كما تقع على بعضِه ، يقولون رجل أزرق وإنما الزّرقةُ للعَيْن .

---

(١) س : « وطاولهن » .
(٢) قال الصولى « ظلالهن » جمع ظُلّة وهى البناء المشرف .
(٣) قوله : « هن منعمات ليس لأكعب أرجلهن حد » لم يرد فى نسختى ب ، ن .
(٤) « كعب أدرم » لا حجم له لغيبوبته فى اللحم .

وقوله فى عجز البيت : « أغنّ غيرَ مُربَب » يعنى وحْشيًّا لم يُربِّبه الإنْس .

٦ لِلّهِ لَيْلَتُنَـــا وكانَتْ لَيْلَةً
ذُخِرَتْ لَنا بَيْنَ اللِّوَى فَالشُّرْبُبِ

« اللِّوَى » أصْلُه مُستَرَقُّ الرّمل ، وقد يَجوز أن يُسمّى اللِّوى موضعًا بعينه . [ع] و « الشربُب » موضع[1]، ويقال إنه نَبَتْ ، وإذا حُمل على ذلك فالمراد الموضعُ الذى يُنبت هذا النبت . ومَن روى « العُلَيْب »[2] فهى رواية رديئة ، لأنّ المعروفَ عُلَيْب بغير ألف ولام ، وهو اسم واد * . قال الشاعر :

فإمّا تَقِظْ سمْراءُ تَنَعُ حاجرًا[3] مواردَه بين الأحَصّ فعُلَيْبِ
فبشِّرْ بنى حاجٍ بنَوْءٍ غزيرةٍ من النَّجم أو نَوْءٍ يَنوءُ بعَقْرَبِ

٧ قالَتْ وقَدْ أَعْلَقْتُ كَفِّىَ كَفَّهَا :
حِـــلٌّ ومَا كُلُّ الحَلالِ بطَيِّبِ

أى قد جَمع هذا الذى أحلَلْتِ لى من نَفْسها أنّه حلا لٌ ، وأنه طيِّب مُسْتلَذّ[4].

٨ فنَعِمْتُ مِنْ شَمْسٍ إذَا حُجِبَتْ بَدَتْ
مِنْ نُورِهَـــا فكأنَّها لم تُحْجَبِ

أى نَعمتُ من جارية كالشمس فى حُسْن وجهها ونُورِه ، إلاّ أنّها إذا حُجبتْ خرَقَ نُورُ وجهها الحجابَ فبدَتْ ، والشمسُ بخلاف ذلك .

---

(١) الشربب جبل فى ديار بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناه بن تميم (معجم ما استعجم ص ٧٩٠) .

(٢) هى رواية م ، ل ، د . وجاء فى ظ : فى نسخة « العليب » وهو واد لهذيل . وقال ابن دريد فى الجمهرة : يقال فى العُليب عُلَيْب ، وما جاء على وزن العليب مثله . وقال الصولى : ليس فى كلام العرب اسم على « فُعَيْل » إلا عُلَيْبَ وهو اسم واد (وانظر اللسان مادة علب ، معجم ما استعجم ص ٩٦٥) .

(٣) روايته فى ب ، ن : « تمنع زائداً » ، والحاجر ما يمسك الماء من شفة الوادى ويحيط به .

(٤) قال ابن المستوفى : فأما إذا لم يقل حلا طيباً أوهم أن ما بذلته من الحلال غير طيب .

٩ وإذَا رَنتْ خِلْتَ الظِّبَاءَ ولَدْنَهَـا
ربْعِيَّـةً واسْتُرْضِعَتْ فى الرَّبْرَبِ

أصلُ « الرُّنُوّ » إدامةُ النَّظر فى سُكُون . و « الرّبْعىّ ، الذى يُولَد فى أوّل النِّتاج . والمعروف فى « الرَّبْرَب » أنه القطيعُ من بقر الوَحْش ، وزعم بعض أهل اللغة أن الأراوىَّ وبقرَ الوحش يدخلن فى جنس الظباء . (ق) : ولا تكاد الظبيةُ تَرنُو إلاّ وقد نَصَبَّتْ جيدَها ونَصبتَه ، فيقول : إذا رنَتْ هذه المرأةُ قدّرتَها غزالاً نُتِجَ فى أوّل النِّتاج ، وذلك أقْوَى لها فى جيدها وحُسْنِ عُنقها ، وخلتَها جُؤذَرًا فى حَوَرِها وعَيْنها[1] .

١٠ إنْسِيَّةٌ إنْ حُصِّلَتْ أنسَابُهَا
جِنِّيَّـةُ الأَبَوَيْنِ ما لَمْ تُنْسَبِ

(ع) : يقول : هذه المذكورةُ إذا نُسِبَتْ عُلِم أنها إنسيَّةٌ ، وإذا لم تُعرَفْ ظُنَّ أنها جنيّة لحُسْنها ، وذلك أنهم كانوا إذا رأوْا شيئًا يَرُوق فى الحُسْن نَسَبوه إلى الجن ، وكذلك إذا رأوْا بِناءً مُحْكَمًا أو فارِسًا شُجاعًا نَسَبوه إلى الجن ، وإنما ذلك لعظَم الجنّ فى نُفُوسهم ، والملائكةُ تُسمّيهم العربُ جنًّا ، وإذا وَصفُوا الرجلَ السيـدَ قالوا هو ابن جنّيَّة ، يُريدون أنّ أمَّه كريمةٌ مُخالفةٌ لما عُهد من النِّساء[2] .

---

(١) ترك التبريزى شاهداً من كلام المرزوقى جاء فى كتابه ، فقد ذكر بعد قوله « ولا تكاد الظبية ترنو إلا وقد نصت جيدها ونصبته » قوله : « والربعية خير النتاج وأوله ، ولذلك قال من قال :

إن بنىَّ صبيةٌ صيفيونْ
أفلح من كان له ربعيونْ

والرجز جاء فى اللسان (مادة ربع) وفى نوادر أبى زيد ص ٨٧ ، وهو معزو فيهما لسعد بن مالك ابن ضبيعة .

(٢) نقل ابن المستوفى كلام أبى العلاء هذا ، وفيه بيت استشهد به أبو العلاء وتركه التبريزى هنا وهو قول حاتم :

بنو جنية ولدتْ سيوفـاً صوارم كلهـا ذكرٌ صنيع

ثم ذكر ابن المستوفى بيتاً آخر لأبى دهبل وهب بن زمعة الجمحى :

جنيّة أو لهـا جنٌّ تعلمها رمى القلوب بسهم ما له وتر

١١ قَدْ قُلْتُ لِلزَّبَّاءِ لَمَّا أَصْبَحَتْ
فِى حَدِّ نَابٍ لِلزَّمَانِ ومِخْلَبِ

(٩) « الزَّباء » ها هنا مدينة خَرِبةٌ على شَطِّ الفُرات ، والناسُ يُحدِّثون أنها كانت للزّباء صاحبة جَذيمة ، وأنها سُمِّيتْ باسمها كما يُسَمَّى البلدُ باسم مَن بَناه . وقد قيل إنّ اليمامةَ سُمّيتْ بهذا الاسم لأجل امرأةٍ كانت فيها ، ويُنشدون بيتًا يَزعُمون أنه لحسّان الملك الذى قَتَلَ أهل اليمامة :

فقلنا فسمّوْها اليَمامةَ باسمها وسرْنا وقُلْنا لا نُريد إقامَهْ

وهذا حديثٌ قديمٌ لا يُعلَم كيفَ هو ، ويُقال إنّ عند الزّباء مدينةً أخرَى يُقال لها زَلَبْيا ، وأنّها كانتْ لأخت للزّباء ، تُعرَف بهذا الاسم ، فالناسُ يقولون إذا حدّثوا عن هذا الموضع : كنّا بزبّا وزَلَبيا .

١٢ لِمَدِينَةَ عَجْمَاءَ قَدْ أَمْسَى[1] البِلَى
فيها خَطِيباً بِاللِّسَانِ المُعْرِبِ

« عَجْماء » لا يَنطقُ فيها ناطق ، لكن البلى والتَّغيُّر بيِّنٌ فيها مُعرِبٌ عنْ ذَهابها ، وطابَق بين العَجْماء والمُعْرِب .

١٣ فَكَأَنَّمَا سَكَنَ الفَنَاءُ عِرَاصَها
أَوْ صَالَ فِيها الدَّهْرُ صَوْلَةَ مُغْضَبِ[2]

١٤ لَكِنْ بَنُو طَوْقٍ وطَوْقٌ قَبْلَهُمْ
شَادُوا المَعَالِى بالثَّنَاءِ[3] الأَغْلَبِ

١٤ – [ع] ذكَرَ هذا البيتَ بعد ذِكْرِه الزّباء ، لأنّ طَوْقًا أبا هذا

(١) م : « قد قام » .

(٢) قال ابن المستوفى : التشبيه ههنا لا حاجة إليه ، وهو المعنى الأول ، إلا أنه بغير لفظه ، وفيه زيادة مبالغة على فنائها .

(٣) س ، د : « بالبناء » ، وقال ابن المستوفى : ويروى « بالبناء الأغلب » وهى رواية أبى العلاء .

الممدوح ذُكِرَ أنَّه أحيَا الرَّحْبَةَ التى تُعرَف برحْبةِ مالك بن طوق ، وكانت قد غلَب عليها الماءُ والقَصَبُ فعمَرها فى زمان الرّشيد ، وكانت تُعرَف بفُرضة نُعْم ، ولم يُذكَرْ أنه شيَّدَ فيها بناءً ، فأراد تَشييدَهم المكارمَ ، وأنها لا تخرَبُ كخرابِ المَدَر * . فكأنه خاطَب الزّباءَ وقال لها : أنتِ خَرابٌ مُتغيِّرة ، لكنْ بنو طوق وأبُوهم بنَوْا للمعالى بناء لا يَخْرب أبدًا وإن خربت الدّنيا ، والبيتُ الذى بعده يُوضّحه .

١٥ فَسَتَخْرَبُ الدُّنْيا وأَبْنِيَةُ العُلَى
وقِبَابُها جُدُدٌ بِها[1] لَمْ تَخْرَبِ

١٦ رُفِعَتْ بِأَيَّامِ الطِّعَانِ وغُشِّيَتْ
رَقْرَاقَ لَوْنٍ لِلسَّمَاحَةِ[2] مُذْهَبِ

١٦ – يقول : رُفعتْ أبنيةُ علاهم بحروبهم ، وغشيتْ من سماحتهم لونًا مُذْهباً .

١٧ يا طالِباً مَسْعَاتَهُمْ لِيَنالَهَا[3]
هَيْهاتَ مِنْكَ غُبَارُ ذَاكَ المَوْكِبِ !

أصْلُ السَّعْى المَشْىُ فى الحاجة ، ثم اختُصَّتْ هذه الكلمةُ فجُعلت المسعاةُ المكرمةُ التى يُسعَى لها ، وأصل الكلمة أن تقَع على الصغير والكبير ،

(١) م ، س ، د : « جدد لهم » – ل ، م ، هـ ب : « جدد بهم » .
(٢) م : « بالسماحة » .
(٣) م : « لتناالها » – ورواية البيت فى س ، د :
يا طالباً مسعاتهم لست الذى ينشقُّ عنه غبار ذاك الموكب
وهى رواية الخارزنجى كما جاء فى ظ . وقال فى شرحه : يا من يطلب مساعيهم فى الكرم وما سلف لهم من الأيام المشهورة المذكورة أقصر فإنك غير لاحقهم . هذا كلامه ثم قال ابن المستوفى : وبين الروايتين فرق لطيف المعنى : الأول منهما أبلغ من الثانى ، لأنه فى الأول أبعد عنه غبار موكبهم ، وفى الثانية جعله لا يدخل فى غباره فينشق عنه وقد يكون على ذلك قريباً من الغبار ، ثم أكد المعنى بما بعده .

فيقال لذهاب الرجل إلى المسجد مَسْعَاة، وإلى غيره، ولكن الكلمة غلبَ عليها إرادةُ المَدْح كما غلبَ على قَوْلهم الساعى أنّ المُرَاد به الذى يأخُذ الصّدَقَةَ من العرب .

١٨ أَنْتَ المُعَنَّى بالغَوانى تَبْتَغِى
أَقْصَى مَوَدَّتِهـا بِرَأْسٍ أَشْيَبِ

يقول : مَن طَلَبَ مَسعاتَهم فقد طَلَبَ مالا يُدرِكه، وجَارَى مالا يُشَقّ غُبارُه ، ومَنزِلَتُه منزلةُ رجل أشْيَب مُعَنًّى بالغَوانى يطلب أقصى مَوَدّتهن وقد حال الشيبُ دون ذلك(١) .

١٩ وَطِئَ الخُطُوبَ(٢) وكَفَّ مِنْ غُلَوَائها
عُمَرُ بنُ طَوْق نَجْمُ أَهْل المَغْرِبِ

« الغُلَواء » الارتفاعُ والتجاوز .

٢٠ ـ مُلْتَفُّ أَعْرَاقِ الوَشِيجِ إِذَا انْتَمَى
يَوْمَ الفَخَارِ ثَرِىٌّ تُرْبِ المَنْصِبِ

[ع] : أصل « الوَشيج » كلّ ما وَشَجَ بعضُه فى بعض ، أى اتصل ، وأكثرُ ما يُستعمل ذلك فى أصُول الرّماح ، ثم يُقال لكل ما اتصَل وَشيج . وقوله : « ثَرِىّ تُرْبِ المَنْصِب »، يحتمل وجْهَين : أحدهما أن يُريد الكثْرةَ فى العَدَد . والآخر أن يُريدَ أنّ مَنْصِبَه مُثْرٍ من الثَّرى الذى هو النَّدَى ، أى قَوْمه كرام . « والمَنْصِب » الأصل(٣) .

---

(١) قال ابن المستوفى : زاد أبو تمام زيادة حسنة بقوله « أقصى مودتها » فجعل ذلك مستحيلا لأن أدناها يتعذر عليه فكيف أقصاها ؟ .

(٢) فى ظ : وروى الخارزنجى « قصَر الخطوب » أى كفها إما بشجاعة أو بسخاء .

(٣) قال ابن المستوفى : الذى أراده أبو تمام الوجه الثانى لأن عادته فى الاستعارة معروفة .

٢١ فى معْدِنِ الشَّرَفِ الذى مِن حَلْيِهِ
سُبِكَتْ مَكارِمُ تَغْلِبَ ابنةِ تَغْلِبِ

[ع] يَتَّفِقُ فى كلامِ العرَبِ أشياءُ تُستعْمل فى موْضع دونَ موْضع ، من ذلك أنه يكْثر فى كلامهم تَغْلبُ ابنةُ وائل ، ولا يقولون نُمير ابنةُ عامر ، ولا كلابُ ابنةُ رَبيعة ، ولو قيل ذلك لجاز ، وإنّما أنّثَ لأنه أريد القبيلةُ ، فقولُه : « تَغْلبَ ابنة تَغْلب » كأنّه أراد « بتغلبَ » الأولى القبيلةَ التى من ولَد تغلب ، وأراد بـ « بتغلب » الثانى الأبَ ، وهذا كلامٌ يُحمل على المجاز * إذ كان يَسُوغ أنْ يُقَال لمن هو موْجُود اليومَ من أبناءِ تغلب : قد جاءَتْ تغلب ، كما يُقال جاءَتْ عُقيل ، ورَحلَتْ فزَارةُ ، ونحو ذلك بنو الرجُلِ القديم .

٢٢ قَدْ قُلْتُ فى غَلَسِ[1] الدُّجَى لِعِصَابَةٍ
طَلَبَتْ أَبا حفْص : مُنَاخَ الأَرْكُبِ

أى يُنزَل عليه وتُناخ الرّكابُ بفنائه .

٢٣ الكوْكَبُ الجُشَمِىُّ نَصْبَ عُيُونِكُمْ
فاسْتَوْضِحُوا[2] إيضَاءَ ذَاكَ الكَوْكَبِ

نَسَبه إلى جُشَم بنِ بكْر بنِ تَغْلب ، وجُشَم اسمٌ مَعْدُول من قولك جَشَمْتُ الأمرَ ، ويُقَال لصدرِ الفرَسِ جُشَم ، ويُقَال للفرسِ إنّه لعظيم الجُشَم إذا كان نبيل المحزَم . قال :

من كلّ هرّاج[3] نَبيلٍ محزَمُهْ
يَدُقّ إبْزيمَ الحزامِ جُشَمُهْ

---

(١) س ، م : « غسق .

(٢) د : « فاستصبحوا » وهى فى هـ ب ، هـ ش ، هـ ن ، ورويتها ظ .

(٣) الرجز فى الأساس للعجاج ، وفى اللسان (مادة هرج) غير منسوب . قال : هرج الفرس يهرج هرجاً وهو مِهراج وهو مِهرج وهرّاج إذا اشتد عدوه .

٢٤ يُعْطِى عَطاءَ المُحْسِنِ الخَضِلِ النَّدَى
عَفْوًا ويَعْتَذِرُ اعْتَذَارَ المُذْنِبِ

٢٥ ومُرَحِّبٌ[١] بالزَّائرينَ وبِشْرُهُ
يُغْنيكَ عن أَهْلٍ لَدَيْهِ ومَرْحَبِ

٢٥ – « مُرَحِّب » من قَوْلهم رَحَّب بهم إذا قال مَرْحَبًا . [ع] وقوله : « عن أهلٍ لَدَيْهِ ومَرْحَب » يَحتملُ وجهين : أحدهما أن يُريد أنّ النازلَ به يَغْنَى عن أهله وبلاده الرَّحْبة ، والآخر أن يكون المعنى أنّ بِشْرَه الذى يظهر فى وجهه تَطيب به نَفْسُ الزّائرِ فيستغنى عن أن يقال له أهلاً ومَرْحَبًا .

٢٦ يَغْدُو مُؤَمِّلُهُ إِذَا ما حَطَّ فى
أَكْنَافِهِ[٢] رَحْلَ المُكِلِّ المُلْغِبِ[٣]

(المرزوقى) : انتصب « رَحْلَ المُكِلِّ » على الحال . « وحَطَّ فى أكنافه » كلامٌ تامٌّ ، ومعناه نَزَل بِفِنائه . يقول : راجى هذا الممدوح إذا حصل بجنابه يغدو وهو مَصَبٌّ للمسافر الذى كلَّتْ راحِلَتُه ، ومَحُطٌّ لِرَحْله ، لأنّه يُغْنيه ويُعَلِّمه الكرم . قال : وظَنّ بعض الناس أنّ قوله : « رَحْلَ المُكِلِّ » يُنْصَبُ بـ « حَطَّ » ، وجعلَ البيتَ لا يَتِمّ معناه إلاّ بالذى بعده ، وليس فى البيت تَضمينٌ كما ظنّه فيَعيبه .[٤] [ع] و « المُكِلِّ » الذى كلَّتْ راحِلتُه و « الملْغب » الذى قد ألغبها بالسيْر ، واللغوب الإعياء .

---

(١) فى ظ : بالجر كأنه عطف على قوله « يضاء ذاك الكوكب » و بالرفع على الاستئناف .
(٢) س : « أفنائه » .
(٣) هـ ب ، هـ ن : « المتعب » .
(٤) الذى نقله التبريزى هنا فى كلام المرزوقى موجود فى كتابه ، وكذلك هو موجود فى كتاب ابن المستوفى نقلا عنه . وأورد ابن المستوفى كلاماً من كتاب المرزوقى المسمى « بالانتصار » هذا نصه : وقال أبو على فى كتاب « الانتصار » : هذا مما يعيبه العلماء بالشعر أن لا يتم معنى البيت الأول إلا فى البيت الثانى ، وهذا البيت مكتف بنفسه ، وهذا المعنى مما تفرد به أبو تمام ، وقد كرره فى مواضع ، فمنها :
فكم لحظة أهديتَها لابن نكبةٍ فأصبح منها ذا عقابٍ ونائل =

٢٧ سَلِسَ اللُّبانَةِ والرَّجَاءِ [١] بِبابِهِ
كَثُبَ المُنَى مُمْتَدَّ ظِلِّ المَطْلَبِ

أى سَهْل الحاجة مُتَيَسِّرَها ، وكأنَّ أصلَ « اللُّبانة » أن يطلُبَ الرجلُ من الآخرِ لَبَنًا ، ثم كَثُر ذلك حتى سُمِّيَتْ كلّ حاجة لُبانَة . وتقديره : يَغْدُو مُؤَمِّله سَلِسَ اللُّبانَةِ إذا ما خَطَّ فى أكنافه .

٢٨ الجدُّ [٢] شِيمَتُهُ وفِيهِ فُكاهَةٌ
سُجُحٌ ولا جِدٌّ لِمَنْ لَمْ يَلْعَبِ

« فُكاهَة » أى مُزَاح ، وجاء فى الحديث عن زَيْد بن ثابت أنه كان من أفكه الناس مع أهله وأزْمَتِهم فى المَجْلس . و « السُّجُحُ » اللَّيِّن ، يُقال مَشَى مِشْيَةً سُجُحًا . يقول : فيه مُزاحٌ ولَعِبٌ يَسْتَعِينُ به على الجدِّ فى الأمور .

٢٩ شَرِسٌ ويُتْبِعُ ذَاكَ لِينَ خَلِيقَةٍ
لا خَيْرَ فى الصَّهْباءِ مَا لَمْ تُقْطَبِ

« الصَّهْباء » الخمر ، وقَطْبُها مَزْجُها . أى لا تَصْلُح الشَّراسةُ إلاّ

= ومنها :

إذا آمل ساماه فرّط فى المنى مواهبه حتى يؤمل آمله

إلى نظائر له كثيرة يطول بذكرها هذا الفصل . وأظن أن هذا العائب جعل « رحل المكل » مفعول « حط » ، وجعل الثانى وأوله « سلس اللبانه » تمام قوله « يغدو مؤمله » ، والصواب ما ذكرت ، لأن حمل الكلام على وجه ينتفى العيب عنه أولى فى اختيار كل مختار . ثم جعل قوله « سلس اللبانة » من صفة الممدوح ، لأن الأبيات التى بعده مقصورة عليها وناطقة بها .

وعقب ابن المستوفى على ذلك بقوله : وهذا هو المعنى الذى ذكره المرزوقى أولا ، إلا أنه بسطه هنا . ثم قال : وما تأوله المرزوقى فبعيد جداً ، وقد أعمل قوم « غدا » و « قعد » إعمال « كان » وأخواتها ، فإذا كان كذلك فانتصاب « سلس اللبانة » لأنه خبر يغدو ، وإن لم يعملوها انتصب على أنه حال ، وإن كان هذا وجهاً لا يخرجه من التضمين — على ما ذكره المرزوقى — لا بأس به ، لكن ما ذكره غيره أولى ، وإن كان فيه تضمين .

(١) س ، ظ ، ل : « والرجاء » بالرفع . (٢) م ، د : « المجد » ورواية الأصل بهامش م .

باللّين ، كما أنّ الخمر لا تَصلُح إلاّ بالمَزْج .

٣٠ صُلْبٌ إِذَا اعْوَجَّ الزَّمَانُ ولَمْ يَكُنْ
لِيُلِينَ صُلْبَ الخَطْبِ مَنْ لَم يَصْلُبِ

ويُروَى : « ولم يَكُنْ لِيَدُقَّ[1] صَدْرَ الخَطْبِ » .

٣١ الوُدُّ لِلْقُرْبَى ولَكِن عُرْفُــهُ
لِلأَبْعَدِ الأَوْطانِ دُونَ الأَقْرَبِ

أى يَخُصُّ قَرابتَه بالوُدّ والمحبة دُونَ العطاء لأنهم غيرُ مُحتاجين ، وعُرْفُه لمَن لا نَسَب بينه وبينه .

٣٢ وكَذَاكَ عَتَّابُ بنُ سَعْدٍ أَصْبَحُوا
وهُمُ زِمَامُ زَمَانِنا المُتَقَلِّبِ

ويُروى : « وهمُ عِقالُ[2] زمامنا » . و « عَتَّاب بن سَعْد » من تَغْلب ، جَعَله عِقالاً للدَّهْرِ يَمنعه من التصرف بالمكروه .

٣٣ هُمْ[3] رَهْطُ مَن أَمْسَى بَعِيدًا رَهْطُهُ
وبَنو أَبِى رَجُلٍ بِغَيْرِ بَنِى أَبِ

(ق) : يقول : يَعتزّ بهؤلاء القَوْم الذليلُ الذى يَبْعُد ناصِرُه منه إذا استجار بهم ، وهم إخوانُ مَن لا إخوانَ له ، يُواسونَه ويَتَحمّلون المشاقّ عنه .

---

(١) وهى رواية س .
(٢) وهى رواية س ، م د – وروتها ظ .
(٣) م : « رهط لمن أمسى » .

٣٤ ومُنَافِسٍ عُمَرَ بنَ طَوْقٍ مَا لَهُ
مِن ضِغْنِهِ[١] غَيْرُ الحَصَى والأَثْلَبِ

يقول : ليسَ لمُنافسه ذى الضِّغْن من إدراكِ رَغْبته منه إلاَّ الخَيْبَة ، وكنَى عن ذلك بالحصَى والأثْلَب ، وهو الحصَى المخلوطُ بالتراب .

٣٥ تَعِبُ الخَلَائِق والنَّوَالِ ولَمْ يَكُنْ
بِالمُسْتَرِيحِ العِرْضِ مَنْ لَمْ يَتْعَبِ

يقول : أخلاقُه تَعِبَةٌ ونُواله لكثرةِ تصريفهما ، وفى ذلك راحةُ عرْضه وصِيانَتُه ، وكذلك تفسيرُ البيت الذى بعده .

٣٦ بِشحُوبِه فى المَجْدِ أَشْرَقَ وَجْهُــه[٢]
لا يَسْتَنِيرُ فَعَالُ مَنْ لَمْ يَشْحُبِ

٣٧ بَحْرٌ يَطِمُّ على العُفَاةِ وإِنْ تَهِجْ
رِيحُ السُّؤَالِ بِمَوْجِهِ[٣] يَغْلَوْلِبِ

« يَطِمّ » أى يزيد ، وأصل « يَطِمّ » للبحر ثم استُعير لغيره ، وأكثرُ ما يُستعمل ذلك فى الشَّر ، حتى قيل للداهية طَامَّة ، واستعمله ها هنا للخيرِ على معنى المستَعار .

[ع] وأصلُ « اغلولَب » فى غلَظ العُنُق ، ثم استُعملَ فى غيره . فقالوا نَخْلٌ مُغْلَوْلِب أى غلاظ ، ونَبْتٌ مُغْلَولِبٌ أى كثُرَ واتصل بعضُه ببعض ، وإن قيل إنَّه من غَلَبَ يَغْلِبُ فغيرُ بعيد * ، وأصلُ الغَلَب فى العُنُق من

---

(١) د ، ظ : « من صنعه » .
(٢) ظ : « لونه » .
(٣) من ، ظ ، هـ ب : « لموجه » .

الغَلَبَة ، كأنَّه إذا كانت عُنقُه غَليظة حُكِمَ له بالقُوّة وأنه يَغْلِبُ مَن صارَعَه[١].

٣٨ والشَّوْلُ ما حُلِبَتْ تَدَفَّقَ رِسْلُهـا
وتَجِفُّ دِرَّتُها إذَا لَمْ تُحْلَبِ

« الشَّوْل » جمع ناقة شائلة ، وهى التى قد أتى لها بعد نَتاجها سبعةُ أشهر أو ثمانية فقَلَّ لَبَنُها. و« الرِّسْل »اللبن و « تَدَفَّقَ » أى جاء بكثرة . و « ما حُلِبَتْ » فى مَوْضع نَصْب على الظرف ، أى مُدَّةَ حَلْبِها . يقول : هو للعفاة بَحْر ، وإن هِيجَ بالسؤال كثُرَ فَيْضُه ، ثم ضَرَب مَثَلاً لكثرة عطائه وإن سُئل شيئًا بعد شىء ، فقال إنَّ الناقةَ الشائلَ إذا حُلِبَتْ تدفَّق رِسْلُها ، وإنْ لم تُحْلَبْ جَفَتْ دِرَّتُها[٢] .

---

(١) من هنا خرم فى نسخة ب ينتهى عند البيت الثالث من القصيدة التالية .

(٢) قال الصولى فى شرحه : والشول التى قد أدبرت ألبانها ، والواحدة شائل ، وهى أيضاً التى ترى أنها لاقح ولم تلقح ، والجمع شول ، قال بشار :

تعطى الغريرة درَّها فإذا أبت كانت ملامتهـا على الحلاَّب

وعقب ابن المستوفى على كلامه بقوله : وهذا يوهم أنه إذا لم يسأل لا يعطى ، كالناقة الشائل إذا لم تُحلب جف لبنها ، وهذا قريب إلى الهجو . وقوله « الشول التى قد أدبرت ألبانها » صحيح ، فأما قوله الواحدة « شائل » بغير هاء فليس كذلك ، وقد تقدم قول الجوهرى فيه . قال : هو جمع على غير قياس ، وقال فأما « الشائل » بلا هاء فهى الناقة التى تشول بذنبها للقاح ولا لبن بها أصلا ، والجمع شول مثل راكع وركع ، وقال الآمدى : أراد أن هذا الممدوح يجود ويوسع ، فإن سئل أعطى وأكثر وزاد ، وذكر أن الشول ليست هذه حالها ، وأن ألبانها تتدفق إذا حلبت ، وتنقطع إذا لم تحلب . . . وإنما أخذ قوله « وتجف درتها إذا لم تحلب » من قول بشار : « والدَّرُّ يقطعه جفاء الحالب » أى يعطى ما استميح وسئل .

قال ابن المستوفى : وهذا التمثيل الذى ذكره أبو تمام إذا حمل على ظاهره لا يطابق الأول من كلا جانبيه ، لأن قوله « والشول ما حلبت تدفق رسلها » بإزاء قوله « وإن تهج ريح السؤال بموجبه يغلولب » فأما قوله « بحر يطم على العفاة » فليس بإزاء قوله « وتجف درتها إذا لم تحلب » ثم قال أخيراً : ولعلى أعثر على جواب ما ذكرته فآتى به ، والمعنى هو الذى ذكره الآمدى ، ولم يرد أبو تمام تشبيه الممدوح فى أحواله بالشول ، إنما نفى عنه أن يكون فى ابتدائه بالعطاء وسؤاله مثلها ، وعليه المعنى فى كتاب أبى زكريا.

٣٩ يا عَقْبَ طَوْقٍ أَىُّ عَقْبِ عَشِيرَةٍ
أنتُمْ وربَّتَ[١] مُعْقِبٍ لَمْ يُعْقِبِ

يُقال لولدِ الرّجلِ عَقَبُه وعَقِبُه [ع] وقوله : « وربَّت مُعْقِبٍ لم يعقب» أى أنك ربّما رأيت الرجل وقد خلّف أولاداً ليسوا نجباء فكأنه لم يُعْقب ، إذْ كان وَلدُه كالمعدومين ، وإنما يُحْمَد الولدُ إذا كان نائبًا عن أبيه أو زائدًا عليه ، فلذلك يقولون أحيا فلانٌ أباه[٢] * ، قالت نادبة النعمان ابنِ جساس :

أحيا جساسًا فلمّا حانَ مَصْرَعُه خلّى جساسًا لأقوام سيُحْيُونَه

٤٠ قَيَّدْتُ مِنْ عُمرَ بنِ طَوْقٍ هِمَّتى
بالحُوَّلِ الثَّبْتِ الجَنَانِ القُلَّبِ

« قيدتُ همتى » أى وقفتُها عليه[٣] . ويُقال رَجُلٌ حُوَّلٌ قُلَّبٌ إذا وُصف بالحزْم وجَوْدة الرأى ، كأنه يُقَلِّب الأمور ويحتال لها إذا وقع فيها . و« الجَنان » القلب .

٤١ نَفَقَ المَدِيحُ بِبَابِهِ فَكَسَوْتُهُ
عِقْدًا مِنَ الياقُوتِ غَيْرَ مُثَقَّبِ

« الياقُوت » كلمةٌ قد استَعملتْها العَربُ فى كلمة أعجمية فى الأصل ، وليس لها اشتقاقٌ فى كلامهم لأنهم لم يحكوا أليَقْتُ .

٤٢ أَوْلَى المَدِيحِ بِأَنْ يَكُونَ مُهَذَّباً
ما كانَ مِنْهُ فى أَغَرَّ مُهَذَّبِ

---

(١) ظ : « وكم من معقب » .

(٢) قال ابن المستوفى ألمّ بقول طفيل الغنوى :
كريمة حر الوجه لم تدع هالكاً من القوم هلكاً فى غد غير مُعْقب

(٣) قوله : « قيدت همتى أى وقفتها عليه » لم يرد فى ش .

٤٣ غَرُبَتْ خَلائِقُهُ وأَغرَب شاعرٌ[١]
فيه فأَحْسَنَ مُغْرِبٌ فى مُغْرِبِ

أى شاعرٌ يأتى بغرائبِ المعانى فى رجل غريب المكارم والأخلاق .

٤٤ لمَّا كَرُمْتَ[٢] نطَقْتُ فيكَ بِمَنْطِقٍ
حَقٍّ فلم آثمْ[٣] ولم أَتَحَوَّب

٤٤ — يقول : لمَّا عزَمْتُ على مدحك نطقتُ غيرَ كاذبٍ فى وصفك ، ولا آثمٍ مُتَحَوّب . والحُوبُ الإثم .

٤٥ ومتى[٤] امتدَحْتُ سِواك كنْتُ مَتَى يَضِقْ
عَنّى لَهُ صِدْقُ المقَالَةِ أَكْذِبِ

أى متى مدحتُ غيرَك فضاق علىّ وَصْفُه بالحق استعملتُ الكذبَ فى موضعه[٥] .

---

(١) س ، د : « واصف » .
(٢) س : « لما عزمت » .
(٣) ظ « فلم أظلم » .
(٤) س : « ولو امتدحت » .
(٥) ن : « فى وصفه » .

٦

وقال يمدح الحسَن بن وَهْب ، ويَذْكُر خلْعَةً خلَعها عليه :

١ الحسنُ بنُ وَهْب كالغَيْثِ فى انسِكابِهْ[١]

٢ فى الشَّرْخِ من حِجَاهُ[٢] والشَّرْخِ مِنْ شَبابِهْ

[ع] هذا الوَزْنُ لم يَذكره الخليلُ فيما ذكَر ، وإذا حُمِل على قياس ما قال فأشْبهُ الأشياءِ به أن يكونَ من المُنْسَرِح ، ويكونَ الضربَ الثالثَ الذى هو :

* ويَلْمِ سعْد سَعْدَا *

مشطور هذا الوَزْن ، وقد يجوز أن يُحمل على أنّه من الرّجَز ومن السَّريع ، ولا يوجد مثلُه فى الشعر القديم ، وقد قالت مثله الشعراءُ فى زمان بنى العباس كقول القائل :

إبْريقُنا مُصَلٍّ يركَعُ فى صَلاتِهْ

٣ والخِصْبِ مِنْ نَدَاهُ[٣] والخِصْبِ من جَنَابِهْ

٤ ومَنْصِب نَمَاهُ ووَالِدٍ سَمَا بِهْ

٥ نُطْنِبُ كيْفَ شِينَا فيهِ ولم نُحَابِهْ

٦ وحُلَّةٍ كَسَاهَا[٤] كالحَلْى[٥] والتهَابِهْ

٧ فاستَنْبطَتْ مَدِيحاً كالأَرْىِ فى لِصَابِهْ

٧ — « الأرى » العسل ، و« اللِّصاب » جمع لِصْب وهو شَقٌّ ضَيِّق فى الجبل .

٨ فرَاحَ فى ثَنَائِى ورُحْتُ فى ثِيَابِهْ

---

(١) س : « كالمزن وانسكابه » — ل ، ن : « كالغيث وانسكابه » .

(٢) س : « من نداه » . (٣) س : « من حجاه » . (٤) هـ ب : « كسانى » .

(٥) س : « كالخمر والتهابه » — ل ، هـ ب : « فى التهابه » .

٧

وقال يمدح الحسنَ بنَ سَهْل[١]:

١ أَبْدَتْ أَسًى أَنْ رَأَتْنِى مُخْلِسَ القُصَبِ
وآلَ ما كانَ مِنْ عُجْبٍ إلى عَجَبِ

الأول من البسيط والقافيةُ مُتَراكب :
أى أظهرتْ حزْنًا لأن رأتْنى [مُخلسَ القُصَب][٢]. « والمُخلِس » من قولهم أخلَسَ رأسُه إذا صار فيه بَياضٌ وسَوَاد ، والشَّعَرُ مُخلِسٌ وخَلِيس . و « القُصَب » جمع قُصْبَة وهى خُصْلة من الشَّعَر تُجعَل كهيأة القَصَبَة الدّقيقة ، وهى أقلُّ فتْلا من الضفيرة . ومن روى « القُصُب » بضم الصاد فهو جمعُ قَصِيبةٍ مثل صَحيفة وصُحُف . يقال قَصْبَةٌ وقَصِيبَةٌ وقُصَّابة . و « العُجْب » من الإعجاب والحُسْن ، و « العَجَبُ » من التعجُّبِ والإنكار . يقول : حزِنَتْ لشَيْبِ رأسى ، وصار عندها مُنْكرًا بعد ما كان أسْودَ تُعْجَب به .

٢ سِتٌّ وعِشْرُونَ تَدْعُونى فَأَتْبَعُها
إلى المَشِيبِ ولم تَظْلِمْ ولم تَحُبِ

يقول : تدعونى إلى المَشيب ستٌّ وعشْرونَ سنةً فأجيبُها ، ولم تَدْعُنى إلى الشَّيْبِ فى غير وَقْته فتكونَ ظالمةً لى جائرةً علىّ ، فإنى قاسيتُ من الدهر ما لو شبْتُ معه فى المَهْد لم ينْكَر . و « الحُوبُ » الإثم .

---

(١) م ، ل : وقال يمدحه (أى الحسن بن وهب) ، وقيل هى فى الحسن بن سهل . س : وقال يمدح الحسن بن رجاء بن الضحاك .

(٢) ما بين المعقفين لم يرد فى نسخ التبريزى وأثبتناه من ظ فيما نقله ابن المستوفى عنه .

٣ يَوْمِى مِنَ الدَّهْرِ مِثْلُ الدَّهْرِ مُشْتَهِرٌ
عَزْماً[١] وحَزْما وسَاعِى منه كالحِقَبِ

« سَاعى منه » أرادَ جَمْعَ ساعة كما قال القَطَامىّ :

وكُنّا كالحَرِيقِ أصابَ غاباً فيَخْبُو ساعةً ويَهُبّ سَاعَا[٢]

وحَكَى بعضهم أسْوَعْنا بالمكان إذا أقمنا ساعةً . يقول : شَيْبى قد تأخّر عن وقته لأنى قد جَرَّبتُ فى أقلِّ المُدَدِ ما كان يَوْمى فيه دَهْرًا وساعَتى فيه حِقْبة .

٤ فأَصْغِرى أَنَّ شَيْباً لَاحَ بِى حَدَثاً
وأَكْبِرِى أَنَّنى فى المَهْدِ لم أَشِبِ

« فأصْغِرى » أمْرٌ ، أىْ لِيَصْغُرْ عندكِ ، و « أكْبِرى » أى لِيَكْبُرْ . [ع] و « أنّ شَيْبًا » و « أننى فى المَهْدِ » « أنَّ » وما بَعْدها فى مَوْضع نَصْب بوقوع الفعْلِ عليه يقول : لا تَعجبى أنْ شِبْتُ حَدَثًا فإنّ ذلك صغيرٌ من الأمور ، واستَعْظِمى أنّى لم أشِبْ فى المَهْدِ ، إذْ كانت شَدائدُ الزّمن توجب شَيْبَ الطفل ، لا سيّما إذا لَقِىَ كما لَقِيتُ ، ولا يجوز أن يُحمَل على قولهم أكْرِمْ بزيد ، لأنّ الناس مُجمِعون على أنّ اللفظ فى ذلك يُقَرّ على حال واحدة ولا يُغَيَّر فى تأنيث ولا تثنية ولا جمع ، ويزيده ضَعْفًا حذفُ الْبَاء منه ، وذلك لا يُعرف فى مثل قولِه تعالى : « أَسْمِعْ بهم وأَبْصِرْ » .

٥ ولا يُؤَرِّقْكِ[٣] إِيمَاضُ القَتِيرِ بِهِ
فإِنَّ ذَاكِ ابتِسَامُ الرَّأْىِ والأَدَب

أى لا يمْنَعَنَّكِ النومَ لَمعانُ القَتير — وهو ابتداءُ الشّيب برأسى — فإنه دَليلُ تَمام رأيى وأدَبى ، وضرب الابتسامَ مثلاً لشَبَه الشيبِ بكَشْفِ الثَّغْرِ للتبسّم .

---

(١) س : « حزماً وعزماً » . (٢) الديوان ص ٣٩ . (٣) د : « يردّك » .

٦ رَأَتْ تَشَنُّنَهُ[١] فاهْتَاجَ هائِجُها
وقال لاعِجُها لِلعَبْرَةِ : انْسَكِبِي

« تَشَنُّنَه » من قولهم تَشَنَّن الجِلْدُ إذا خَلُق ، ويقال للقِربة والمِزادَة وكلِّ شيء من الإديم يَخْلُق : شَنٌّ ، قال الراجز :

قالتْ لتَعْيِيرِى بذاكَ مُعْلِنَهْ
بَرْذَنْتَ[٢] ياشَيْخُ وفَوْق البَرْذَنَهْ
لم يَبْقَ غيرُ جِلدَةٍ مُشَنَّنَهْ

أىْ أن جِلْدَه قد صار كأنه شَنٌّ . و « لا عِجُها » ما يؤثِّرُ فى القلب من الحب والحزن .

٧ لا تُنْكِرِى مِنه تَخْدِيدًا تَجَلَّلَهُ[٣]
فالسَّيْفُ لا يُزْدَرَى إنْ كانَ ذَا شُطَبِ

يقال « تَخَدَّدَ » لَحْمُ الرجلِ إذا هُزِل فصارتْ فيه طرائقُ ، وأصل ذلك من الخَدِّ ، وهو حفْرٌ مُسْتَطِيلٌ فى الأرض ، ويقال « ازدَرَيْتُ » الرجل إذا احتقرتَه ، و « شُطَب » السيف وشُطَبُه الطرائقُ التى فيه .

٨ لا يَطْرُدُ الهَمَّ إلاَّ الهَمُّ[٤] من رَجُلٍ
مُقَلْقِلٍ لِبَنَاتِ القَفْرَةِ النُّعُبِ[٥]

[ع] « الهمّ » الأوّل ما يَجِدُه الرجلُ فى صدره مما يوجب رحيلَه ، و « الهَمّ » الثانى الهِمَّةُ ، وأصلُهما واحد ، إلاّ أنّهم استعملوا الأول فيما يُكْرَه ،

---

(١) س : « تشته » – د ، هـ م : « تغيره » – وجاء فى ظ : فى نسخة إبراهيم بخطه : قرأت فى نسخة « رأت تبسمه » و « رأت نشنه » ، والتشنن بمعناه أشبه.

(٢) برْذن الرجل ثقل.

(٣) هـ م : « تخلله » – وهذا البيت مؤخر فى م ، ل ويقع بعد البيت : ماض إذا الهمم . . .

(٤) د : « إلا العزم » .

(٥) هـ م : « النجب » .

واستعملوا الثانى فيما يُحْمد ، فقالوا رجلٌ بَعيدُ الهمِّ أى الهمَّة * ، من ذلك قالوا للملك هُمَام يصفونه ببُعْد الهمَّة . و « مُقَلْقِل » من القَلْقَلة وهى الحركةُ العنيفة ، و « بَنَاتُ القَفْرَة » الإبل ، جعلها بَنَات للقَفْرة لأنَّها تُقطَع بها . و « النعُب » جمع نَعُوب ، والنَّعَبَانُ تحريكُ النَّاقة رأسَها فى السَّيْرِ وذلك من النَّشاط .

٩ ماضٍ إذَا الهمَمُ[1] التَفَّتْ رَأَيْتَ لَهُ
بِوَخْدِهِنَّ اسْتِطالاتٍ على النُّوَبِ

« الوَخْد » مِن سَيْرِ الإبِل ، وقلَّما يُستعمل فى غيرها ، وقال بعضهم قد يستعمل فى الخَيْل . يقول : لا يَطْرُد الهَمَّ إلا ماض مِن الرِّجال نافذٌ ، إذا أحاطَتْ به النوائبُ استعمل الإبل فاستطال على النوَب بِوَخْدِهِنَّ ، وهو سَيْرٌ سريع .

١٠ سَتُصْبِحُ العِيسُ بى واللَّيْلُ عِنْدَ فَتًى
كثيرِ ذِكْرِ الرِّضَا فى ساعةِ الغَضَبِ

« العيسُ » جمع أعْيَس وعَيْساء ، وهى الإبلُ التى يَعْلو بياضَها شُقْرَة ، وقلما يخرجونها إلى غير ذلك ، وقد جاء فى الشعر الفصيح ظَبْيَةٌ عَيْساء ، وقالوا فى صفة الشعر الشائب عيسٌ ، قال الراجز :

لمَّا رأيْنَ لِحْيَةً خَلِيسَا
رأيْنَ سُودًا ورأيْنَ عِيسَا

وقوله : « كَثير ذِكْرِ الرِّضا » أى يَحْلُم و يَرْضَى عن المُسِيء فى ساعة يَغْضَب فيها غيرُه .

---

(١) س ، د : « إذا الكربُ . . . . على الكربِ » .

١١ صَدَفْتُ عنهُ فلم تَصْدِفْ مَوَدَّتُهُ[١]
عنِّى وعَـاوَدَهُ ظَنِّى فلم يَخِبِ

أى عَدَلتُ عنه راحلاً فلم تَعْدِل مودَّتُه عنى ، وتكرَّر عليه ظنِّى فلم يَخبْ فى معروفه .

١٢ كالغَيْثِ إنْ جِئتَهُ وافَاكَ رَيِّقُهُ
وإنْ تَحَمَّلْتَ[٢] عنهُ كان[٣] فى الطَّلَبِ

« رَيِّقُه » أى أوَّله ، وهو « فَيْعَل » من رَاقَ يَرُوق . يقول : هو جَوَادٌ كالغَيث ، إن قَصَدْتَ ناحيتَه وافاكَ أوَّلُ مائه ، وإنْ رحلتَ عنه تَبِعَك وجَدَّ فى طَلَبك ، أىْ يَجُود عليك حَيْث كنتَ .

١٣ خَلَائِقَ الحَسَنِ استَوْفى البَقَاءَ فَقَدْ
أَصبَحْتِ قُرَّةَ عَيْنِ المَجْدِ[٤] والحَسَبِ

قولهم « قُرَّة العين » يَجْرِى مَجْرَى الأمثال التى لها أصولٌ تُنْقَل عنها إلى غيرها ، وقد اختُلِفَ فى أصل ذلك ، فقيل أصْلُه من القُرِّ وهو البَرْدُ ، لأنَّ الفَرَحَ يَحْدُثُ عنه دُموعٌ بارِدَةٌ ، وقد يجوز ألاَّ يُرادَ به دموع الفرح إذْ كان ليس كلّ مَن فَرِحَ بشىء تَدْمَعُ عينه ، ولكن لمَّا كان البُكاءُ يجىء بالدموع ولا تكون إلاّ حارَّةً قيل أقرَّ اللهُ عَيْنَه ، أى أذهب عنه ما يوجب بُكاءَه . وقيل معنى ذلك : أنْ يرزقه اللهُ رِزْقًا واسعًا فلا يَتشوَّف نَظَرُه إلى شىء ، كأنّ عَيْنَه تَقَرّ . وقيل يُرَادُ بـ « أقرَّ اللهُ عَيْنَه » أى أنامَها ، لأنّ النوم قَرارٌ للعَيْن ، إذْ كان السَّهَرُ لا يكون إلاّ فى الأشياءِ المذمُومَة ، وإذا

(١) م : « مواهبه » ، وبهامشها رواية الأصل .
(٢) هـ م : « وإن ترحلت » .
(٣) هـ م : « لج » – هـ ب : « جد » .
(٤) هـ س : « العلم والأدب » .

وصَفُوا الإنسانَ أنه لا يَنامُ فإنما ذلك لخَطْب جليل . دَعَا لخلائقه أنْ تُعَمَّرَ وتَسْتَوْفى أقْصَى البقاء لأنها قوامُ المَجْدِ والحَسَب .

١٤ كأَنَّمَا هُو مِنْ[1] أَخْلَاقِهِ أَبَدًا
وإِنْ ثَوَى وَحْدَهُ فى جَحْفلٍ لَجِبِ

جَعَله من سَعَة خُلُقه وصَبْرِه على النوائب وتَحمُّله لها فى مثل العَسْكرِ اللَّجِب وإنْ كان وحدَه .

١٥ صِيغَتْ لَهُ شَيمَةٌ غرّاءُ مِن ذَهَبٍ
لكنَّها أَهْلَكُ الأَشياءِ للذَّهَبِ

يقول : شيمته لخُلوصها من اللؤم ولكرمها كأنّها مَصُوغَةٌ من ذهب ، إلاّ أنها تُهْلِك الذهبَ بالبَذْل وتُفْنيه . [ع] وأصل همزة التعجب أن تدخلَ على الأفعال الثُلاثية التى لا زيادةَ فيها ، مثْل ضَرَبَ وعَلِمَ وكَرُمَ ، ودخولُها على ما فى أوّله الهمزة قليل ، إلاّ أنّه قد جاءَ وكَثُر ، وقد حكَى بعض أهل اللغة أنه يقال هَلَكْتُ الشيءَ وأهلكْتُه بمعنًى ، فإنْ صَحَّ ذلك فقوله : « أَهْلَكُ الأشياءِ » على هذا الوجه ، وإن أُخذَ بالقولِ الآخر فهو مثل قولهم ما أعْطَاهُ للدّراهم ، وإنما يقولون أعْطَيتُه بالهمزة ولا يستعملون عَطَوْتُ إلاّ فى معنى تَناولتُ . و « أفْعَلُ » التى للتعجُّب تَجرى مَجْرَى « أفْعَل » التى للتفضيل * ومثل قوله : أهْلَكُ الأشياءِ » قول الآخر :

بأَضْيَعَ من عَيْنَيْكَ للدمع كلُّما تَوَهَّمْتَ رَسْمًا أو تذكَّرْتَ مَنْزِلا[2]

١٦ لمَّا رَأَى أَدَباً فى غَيْرِ ذى كَرَمٍ
قَدْ ضَاعَ أَوْ كَرَماً فى غير ذِى أَدَبِ

---

(١) م : « فى أخلاقه » وبهامشها رواية الأصل .

(٢) البيت لذى الرمة فيما نسب إليه من الأبيات المفردة (ملحق الديوان ص ٦٩) وروايته فيه :
بأنبع من عينيك للدمع كلما تعرفت داراً أو توهمت منزلا

١٧ سَمَا إلى السُّورَةِ العَلْيَاءِ فاجْتَمَعا
فى فِعْلِهِ كاجْتِماعِ النَّوْرِ والعُشُبِ

١٦ و١٧ – [ع] « السُّورَة » المَنْزِلةُ الرَّفيعة ، وإنما أخذت من قولهم سار يَسُور إذا وَثَب . وقد حُكى بفتح السين – وهذان البيتان يحتمل معناهما أن يكون للممدوح ، أنّه لمّا رَأى الناس لا يَجْتمع فيهم الكرمُ والأدَبُ جمعَ بينهما فهو أديبٌ كَرِيم ، ويجوز أن يعنى بذلك المادحُ نفسَه ، كأنّه قال : لمّا رآنى هذا الممدوحُ أديبًا ولا مالَ لى أكونُ به كَرِيمًا أعطانى مالاً أتكرّم به ، فاجتمع الأمرانِ فى فعله كما يجتمع النَّوْر – أى الزَّهَرُ – والعُشْب فى الرَّبيع فيَحْسُن كلّ واحد منهما مع الآخر [١].

١٨ بَلَوْتُ مِنْكَ وأَيَّامِى [٢] مُذَمَّمَـةٌ
مَوَدَّةً وُجِدَتْ أَحْلَى مِنَ [٣] النَّشَبِ

١٩ مِن غَيْرِ مَا سَبَبٍ مَاض ، كَفَى سَبَباً
لِلحُرِّ أَنْ يَعْتَفِى حُرًّا بِلا سَبَبِ

١٩ – يُقال عَفَاه واعْتَفاه إذا طَلَب معروفَه ، وسكّن الياءَ فى « يَعتَفى » للضرورة .

---

(١) قال ابن المستوفى : المعنى الأول لا يحتمل غير .
(٢) ظ : ويروى : « وأخلاق مذمة » .
(٣) ظ : ويروى : « من الضرب » ، ويروى : « أدنى من النسب » . ورواية « الضرب » فى هـ م .

٨

وقال يمدح سُلَيمانَ بنَ وَهْب :

١ أَيُّ مَرْعَى عَيْنٍ[1] ووَادِى نَسِيبِ
لَحَبَتْهُ الأَيَّامُ فى مَلْحُوب ؟ !

الأوّلُ من الخفيف والقافيةُ مُتَواتر .

ويُروَى : « مِن مَلْحُوب »، وجعل نَظَرَها إلى الحسَانِ رَعْيًا لها . [ع] وقوله : « وادى نَسيب » أى كان هذا الوادى فيه أهلٌ يَستحقون أن يقال فيهم النسيبُ ، وهو مِثْلُ الغَزَال فى الشِّعْر . و « مَلْحُوب » اسمُ موضع ، وتَردّده فى الشعر كثير . و « لَحَبَتْه » مَنْ شَدَّد الحاءَ فهو من قولهم لحبتُ القَتيلَ إذا صَرَعْتَه ، وقال قوم لَحَبَه إذا قَطَعه بالسَّيْف ، وقيل معنى لَحَبَه أى ألقاه على الطريق الواضح وهو اللاحب . ومن روى « لحَبَتْه » بالتخفيف فهو من القَشْر ، يقال لَحَبَ اللحمَ إذا قَشَرَه ، ومعنى « لَحَبَ » و « لَحَبَ » يرجع إلى شىء واحد . ومن روى : « من مَلْحُوب » جعل مَلْحُوبًا نفسَه مَرْعَى عَيْن ووَادِىَ نَسيب ، كما يقال أىّ رجُلٍ نَزَلنا به من فُلان . ومن روى « فى مَلْحُوب » جعل المَرْعَى والوادىَ فيه .

٢ مَلَّكَتْه[2] الصَّبَا الوَلوع فَأَلْ
فَتْهُ[3] قَعُودَ البِلَى وسُؤْرَ الخُطُوبِ

[ع] يُروى « مُلِّكَتْه الصَّبَا » على أنّ « الصَّبا » اسمُ ما لم يُسَمَّ فاعلُه ،

---

(١) قال الصولى : ويروويه قوم « أى مرعى عين » (بكسر العين) وهو تصحيف ، إنما يريد أى مرعى عين ، جعل نظرها إلى الحسان رعياً لها .
وفى ظ : فى بعض حواشيه « عين » جمع عيناء .
(٢) س : « ألفته الصبا . . . فأبقته » .
(٣) فى ظ : وروى « فأبقته » بالباء وهو أجود من قوله « فألفته » بالفاء .

ويروى « مَلَكَتْه » على أنها فاعلة ، والمعنى واحد وأصل « القَعُود » فى الفَتِىّ من الإبل، وأصله أن يكون قد صَلَح للركوب وأن يُقعَدَ على ظهره * وربما قالوا هو البَكْر أو الفصيلُ أو الحِق أو نحوُ ذلك ، وكلُّه راجعٌ إلى فَتاء السِّنّ . [ع] و « سُؤْر الخُطوب » بقيتُها ، ومن عرف مذهب الطائىّ لم يَعدِلْ عن هذه الرواية ، ومن روى « سُودَ الخُطوب » فله وجه ، إلا أنه جديرٌ بأن يكون تصحيفًا ، وإذا رُوِى بالدال احتمل أن يخفض فيعطف على « البلَى » ، وأن يرفع فيعطف على « الصَّبَا » * .

يقول : مَلَكَتِ الأيامُ هذا المحلَّ رِيحَ الصَّبَا حتى عفتْه وتركتْه مركبًا للبلى * وقيل خَصَّ الصَّبَا لأنها تأتى بالمطر كثيرًا فتعفّى الآثار .

٣ نَدَّ عنْكَ (١) العَزَاءُ فيهِ وقادَ ... لدَّمْعَ مِنْ مُقْلَتَيْكَ قَوْدَ الجَنِيبِ

[ع] استعار « نَدَّ » للعزاء ، وإنما هوَ للإبل ونحوِها ، يقال نَدَّ البعيرُ إذا ذَهَب على وجهه فى الأرض . وجاء بـ « الجَنِيب » فى القافية لأن الذى يُقاد جنيبًا ضدُّ النادّ * و « العزاء » الصَّبر . والفعلُ فى « قادَ » للعزاء ، أى ذهب معه بالدَّمع من العَيْن .

٤ صَحِبَتْ وَجْدَكَ المَدَامِعُ فيه ... بِنَجِيعٍ بِعَبْرَةٍ مَصْحُوبِ

[ص] أى ساعدتِ المدامعُ وَجْدَكَ فَجَرَتْ بدمع مُخالطه الدَّمُ * .

٥ بِمُلِثٍّ على الفِرَاقِ مُرِبٍّ ... ولِشَأْوِ الهَوَى البَعِيدِ طَلُوبِ

« المُلِثّ » و « المُرِبّ » اللازم للشىء ، يقال ألَثَّ بالمكان وأرَبَّ ، ويقال كذلك فى المَطَرِ إذا دام أيّامًا . أى صحبتْه بدمع مُلِثٍّ دائم على الفراق لا ينقطع ما دام الفراق ، ولا يزال طالبًا لشأوِ الهوَى جاريًا فى إثْرِه .

---

(١) قال ابن المستوفى : وروى الخارزنجى أيضاً « ند حسن العزاء » وقال : « ند » : غلب ، والمعنى يقول : غلب هذا المحل صبرك حتى جزعت وبكيت ، وامتاح دمع عينيك فانقاد له كما ينقاد الجنيب لمن يجنبه .

وقال : ويروى « فعاد » و « الدمع » مفعول العزاء .

٦ أَخْلَبَتْ بَعْدَهُ بُرُوقٌ مِنَ اللَّـ
ـهِ ووجَفَّتْ غُدْرٌ مِنَ التَّشْبِيبِ

[ع] : ويروى « أخلفتْ بعده بُروقٌ »(١) جاء بها على ما يعرف من الاستعارة ، أى صارتْ إلى الخُلْف . ومن روى « أخلبتْ » أى صارتْ إلى الخلابة وهى الخديعة * وأخلب البرقُ غيرُ مستعمل فى الكلام القديم .

يقول : لمَّا أقفرَ هذا المنزلُ وخلا من الأحبَّة لم يكنْ لى لهوٌ صادِقُ البرقِ بعدَه ، ولا غزَلٌ إلى غير أهله .

٧ وبِمَا(٢) قَدْ أَرَاهُ رَيَّانَ مَكْسُوًّا لَ مَغَانِى مِنْ كلِّ حُسْنٍ وطِيبِ

(ع) « وبما قد أراه » هذا كلامٌ معروفٌ من كلام العرب . يقول : أقفرتِ الدارُ بما قد أراهـا وهى آنسة ، أى هذا بذاك ، كأنهم يذهبون إلى أن الدهر يومٌ ويوم . وقال قومٌ : الباءُ ها هنا تؤدّى معنى « ربَّ » ، وهذا القول ليس بشىء ، وإنما الباء لمعنى الجزاء والمكافأة ، كما تقول للرجلِ خُذْ هذا الدرهم بما خدَمْتنى ، أى من أجل خدمتكَ إياى ، ومنه قول الشاعر يَصِف الدّار :

إنْ تكنْ نالتِ المواطنُ منهـا وعَـرتْها نَوائبٌ وخُطوبُ
فبما قد يَحُلُّهـا الأنُفُ الشَّرْ بُ ويجرى عليه كأسٌ وكُوبُ

يقول : إن خلَتْ هذه الدّارُ فقد يكون بها شَرْبٌ ، فهذا بذاك .

٨ بِسَقِيمِ(٣) الجُفُونِ غَيْرِ سَقِيمٍ ومُرِيبِ الأَلْحَاظِ غَيْرِ مُرِيبِ
٩ فى أَوَانٍ مِنَ الرَّبِيعِ كريم وزَمانٍ مِنَ الخَرِيفِ حَسِيبِ(٤)

٩ – [ص] جعل الربيعَ كريمًا لأنه يُطْعِم الماشيةَ ، وفيه يَكثُر النَّبْتُ والزّهر ، وجعل الخَريفَ حَسيبًا لطيب أيامه * ، وقيل إنما قال « حَسيب »

(١) هى رواية س ، وقال الصولى : ويروى : « كذبت » وهذه الرواية فى هـ س .
(٢) م : « ربما » وبهامشها رواية الأصل – وقال ابن المستوفى : وجدته (أبا العلاء) يروى « ربما قد أراه » بالراء ، وهو فى طرة كتاب الخارزنجى .
(٣) فى الأصول : « بسقيم الجفون » وانفردت نسخة ش برواية « بسقيم الألحاظ » .
(٤) قال الصولى : وروى قوم « خصيب » وليس بشىء .

لمُطابقة الكلام ، و « الحَسيبُ » بالخريف أشْبَهَ ، لأنه من « أحْسَبَ » ، فبه يَتِمّ ما جاد به الرّبيع ويكفى ، فكان كمن طال عُمْرُه وكثُرتْ مآثرُه .

١٠ فَعَلَيْهِ السَّلَامُ لا أُشْرِكُ الأَطْـ ـلالَ فى لَوْعَتِى ولا فى نَحِيبِى

« فعَلَيه » أىْ على السَّقيم الجُفُون . [ص] يقول : على السَّقيم الجُفُونِ أبْكى لا على طَلَل[1] .

١١ فَسَواءٌ إِجَابَتِى [2] غَيْرَ دَاعٍ ودُعَائِى بالقَفْرِ [3] غَيْرَ مُجِيبِ

(ق) : يقول : لستُ ممن يقفُ على الأطلال يُخاطبها ويُباثُّها ويُشْرِكُها – فى زعمه – فى لَوْعته ، ويَسْتحملُها – على تقديره – بعضَ جزعه ، فسواءٌ عندى فى الاستحالة أن أجيبَ من غيرِ أن أدْعَى ، وأن أدعُوَ[4] مالا يُجيب .

١٢ رُبَّ خَفْضٍ تَحْتَ السُّرَى وغَنَاءٍ
مِنْ عَنَاءٍ ونَضْرَةٍ مِنْ شُحُوبِ

أى رُبَّ دَعَةٍ تحتَ التَّعَب . و « غَناء » أى نَفْع . و « الشّحُوب » ضدّ النَّضْرة .

١٣ فاسْأَلِ [5] العِيسَ ما لَدَيْها وأَلِّفْ
بَيْنَ أَشْخَاصِهَا وبَيْنَ السُّهُوبِ

ويروى : « بينَ أشباحها[6] » . و « أشخاصٌ » جمع شَخْص ، وليس باب

---

(١) فى ظ : وفى الحاشية يقول : أخصه بسلامى دون الأطلال فلا أشركها فى وجدى وبكائى ونحيبى . والصحيح إعادة الهاء فى قوله « فعليه السلام » إلى الطلل الذى ذكره ، ويدل عليه قوله : « لا أشرك الأطلال فى لوعتى » أى لا أبكيه ولا أبكى غيره .

(٢) م « : أجابنى » . (٣) ق ، ل ، ظ ، هـ ب ، هـ ن : « بالقاع » .

(٤) فى ظ قال الآمدى : وقوله : « فسواء أجابنى غير داع » معنى لطيف قد ذكرته فى باب استعجام الديار عن الجواب ، وبيت البحترى الذى حذاه حذوه :

وسألت من لا يستجيب فكنت فى اسـ ـتخباره كمجيب من لا يسأل

وبيت أبى تمام أجود . (ولم أجده فى هذا الباب من كتابه الموازنة) .

(٥) س ، م ، ل : « فسل » ورويتها ظ . (٦) وهى رواية س ، ورواها الصولى .

« فَعْل » أن يُجمع « أفعال » وربّما جاء كالنادر ، كما قالوا فرْخٌ وأفراخ ، وزَنْدٌ وأزناد ، و « السُّهوب » جمع سَهْب ، وهو الأرض الواسعة البعيدة . وقوله : « ما لَدَيْها » أى من السَّيْر .

١٤ لا تُذِيلَنْ[1] صَغِيرَ هَمِّكَ وانظُرْ
كَمْ بِذِى الأَثْلِ دَوْحةً مِن قَضِيبِ

[ع] « الهَمُّ » ها هنا يحتمل أن يكون الهمّة ، ويحتمل أن يكون واحدَ الهُمُوم التى هى أحزان ، و « الأثْل » شَجَرٌ معروف يعظُم ، ثم كثُر حتى سُمِّيتْ كلّ شجرة عظيمة أثْلة ، و « الدَّوْحَة » الشَّجَرَةُ العظيمة . والمعنى : لا تُذِيلَنْ صَغيرَ همِّك ، أى لا تُهمِلْ نظرَكَ فيه ، فإن كان خيرًا فإنه يتثمّر[2] وتعظم المنفعةُ به ، وإن كان مما يحذَر فإنه لا يؤمَن أن يغلبَ ويتفاقَم . وهذا المعنى قَصَده نَهْشَلُ ابنُ حَرّىّ فى قوله :

قال الأقاربُ لا يغرُرك كَثْرتُنا ... وأغْنِ شأنَك عنّا أيُّها الرَّجلُ
عَلَىَّ بِىَ يَشْدُدّ اللهُ[3] أزرهُمُ ... والنَّبْعُ يَنبُتُ قُضْبانًا ويَكْتَهِل

فهذا مثلُ قوْله « كم بذِى الأثْل دوْحَةً من قَضِيب »[4].

١٥ ما عَلَى الوُسَّجِ الرَّواتِكِ من عَتْ
بٍ إذَا ما أتَتْ أبَا أيُّوبِ

« الوُسَّج » جَمْعُ واسِج ، والوسيجُ ضَرْب من السَّيرِ يُستعمل للإبل والنَّعام[5]. و « الرَّواتك » التى تسير الرَّتْكَ ، وهو أيضًا من سَيْر الإبل ،

---

(١) فى ظ : ويروى « لا تنكر » .
(٢) فى ظ : « يستمر » .
(٣) وروايته فى ب ، ن : « يسد الله فقرهم » .
(٤) فى ظ قال الخارزنجى : يقول لا تهن من همك فتنوطه بالصغير من الناس ، ولكن صنه حتى تصله بالكبير منهم ، وانظر كم تشبعت من دوحة واحدة من القضبان .
(٥) أتى الصولى بشاهد لذى الرمة وهو قوله :

والعيس من واسج أو عاسج خَبَبًا ... ينحرْن من جانبيها وهى تنسلُبُ

وقال « ينحرن » أى يركلن بالأرجل .

يقال رَتَكٌ ورَتَكٌ ، ويقال إنّ أصلَه التسكين وحرّكه زُهيرٌ للضّرورة فى قوله : « يُزجى أوائلها التَّبغيلُ والرَّتَكُ »(١).

١٦ حُوَّلٌ لا فَعَالُهُ مَرْتَعُ الذَّ مِّ ولا عِرْضُهُ مُرَاحُ العُيُوبِ(٢)

١٧ سُرُحٌ قَوْلُهُ إذا ما استَمَرَّتْ عُقْدَةُ العِىِّ فى لسانِ الخَطيبِ

١٧ – « سُرُحٌ » أى سَهْل ، أى هو خَطيبٌ بَسيطُ اللسان ، ومنه ناقةٌ سُرُح أى سهلةُ السَّيْر .

١٨ ومُصِيبٌ شواكِلَ الأَمْرِ فيهِ مُشْكِلاتٌ يَلُكْنَ(٣) لُبَّ لَبِيبِ(٤)

هذا مثل ، وأصله فى الرَّمْى ، يقال أصاب الرَّامى شاكِلةَ المَرْمىّ إذا أصاب خاصرَته ، فكأنّه إذا فعل ذلك فقد ظفر وبلغ حاجتَه ، ثم نقلوا ذلك إلى غير الحيوان ، وهذا يجرى مجرى قولهم ، هو يأتيك بالأمر من فَصِّه ، فى رأى مَن يأخُذه من الفصِّ الذى هو رأسُ المَفْصِل الذى يجتمع فيه العَظمان . [ص] و « الشاكلة » أيضًا الطَّريقة ، ومنه « كلٌّ يَعمل على شاكلته » .

١٩ لا مُعَنًّى بِكُلِّ شَىءٍ ولا كلُّ م عَجِيبٍ فى عَيْنِهِ بعَجِيبِ

أى يُعَنِّى غيرَه فيما يريد ولا يُعنِّى نفسه ، والعجيب فى أعيُن الناس لا يَرَاه عجيبًا لأنه قد ذَلَّلَ الأمُورَ وعَرَفها .

---

(١) الديوان : ص ١٦٨ ، والبيت :

هل تلحقنى وأصحابى بهم قُلُص يزجى أوائلها التبغيلُ والرتكُ

وقال فى شرحه : التبغيل حسن سير الدابة فى سرعة . وقال الأعلم : التبغيل ضرب من السير ، كأنه مشتق من مشى البغال .

(٢) ليس لهذا البيت شرح فى ش ، وفى ن شرحه بقوله : « أى حسن التصرف عالم بالأمور » وهذا الشرح بهامش ب .

(٣) فى ظ : وفى بعض النسخ « يلكن » (بضم أوله) أى يجعلنه ألكن . ويروى « يأكلن » – قال : « واللوك » مضغ الشىء اليابس .

(٤) س ، ب ، ن ، ل ، ظ : « لب اللبيب » .

٢٠ سَدِكُ الكفِّ بالنَّدَى عائرُ السَّمْـ
ـعِ إلى حَيْثُ صَرْخَةُ المَكْرُوب

يقول : كفُّه مُولعةٌ بالندَى ، وسمعُه مبعدٌ فى المَسْمَع مُنتاه إلى موضع الصارخ المستغيث به ، وأصل « السَّدَكِ » لزُوم الشىء . و « عائرُ السمْع » أخذه من عارَ الفَرَس إذا ذهب فى الأرض ، وعار السهمُ إذا أبعد .

٢١ لَيْسَ يَعْرَى مِن حُلَّةٍ من طِرازِ الـ
ـمَدْحِ مِنْ تاجِرٍ بِها مُسْتَثِيب

أىْ ليسَ يخلومن مادحٍ طالبٍ ثوابَه ، وأراد بـ « تاجر » شاعرًا يقصِده .

٢٢ فإذا مَرَّ لابِسُ[1] الحَمْدِ قال الـ
ـقَوْمُ[2] : مَنْ صاحِبُ الرِّداءِ القَشِيبِ

٢٣ وإذا كَفٌّ رَاغِبٍ[3] سَلَبَتْهُ[4] راحَ طَلْقاً كالكَوْكَبِ المَشْبُوبِ

« طَلْقًا » أى مستبشرًا ، من قولهم فلانٌ طلْقُ الوجه وطليقُ الوجهِ إذا كان حسنَ اللِّقاء . و « المشبوب » المضىء المتَّقد .

٢٤ مامَهَاةُ الحِجَالِ مَسْلُوبَةً أَظـ
ـرَفَ[5] حُسْناً مِن مَاجِدٍ مَسْلُوبِ

« مَهَاةُ الحِجَال » يعنى امرأةً تكون مُخدَّرةً فى الحِجال ، وهى جمع حَجَلَة ، والحَجَلَةُ بَيتٌ صغيرٌ يكون فى البيت الكبير من بيوت الأعراب ، وربما قالوا هو الخِدْرُ .

---

(١) س : « لابس » بفتح السين على أنها حال .
(٢) ب ، ن : « الناس » .
(٣) هـ س : « آمل » .
(٤) م : « سألته » .
(٥) س ، ل : « أطرف » .

٢٥ واجدٌ بالخَلِيلِ مِن بُرَحَاءِ الشَّـ ـوْقِ وِجْدَانَ غَيْرِهِ بالحَبِيبِ

(ع) يجب أن يكون الطائى أراد هاهنا : « الخليل » الصديقَ ، وعَنَى بـ « الحبيب » المعشوقَ ا، لأنه كان يَمُتّ إلى هذا الرجل بصداقة . وإنْ عَنَى بـ « الخليل » الفقيرَ فهو أبلغ فى المدح ، ولكنى أظنُّه أراد الأوّل ، وكلا المعنيين حسن[١] .

٢٦ آمِنُ الجيْبِ والضُّلُوعِ إذَا مَـا
أَصْبَحَ الغِشُّ وهْوَ دِرْعُ القلُوبِ

أى هو مأمونُ الظاهر والباطن ، يقول : هو نقىّ الصدر من الغشّ لا يحتمله بين أضلاعه كما يحتمله غيرهُ . وقال المرزوقى : « دِرْعُ القلوب » تصحيف ، والرواية « رَدْعُ القلوب »[٢] ، يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون « الرَّدْع » النُّكْس ، فيكون المعنى : أصبح الغشّ وهو داءُ القلوب ومَرَضُها ، وقيل شَرّ الدّاء الرُّداع وهو النُّكْس ، وهذا كما كُنِىَ بالمرض عن النِّفاق، قال الله تعالى: « فى قُلوبهم مَرَض » ويُقال رُدِعَ الرجلُ فهو مَرْدُوع . والآخرُ « الرَّدْع » التَّلطُّخ بالزَّعْفرانِ والخَلُوق ، فيكون المعنى : أصبحَ الغشُّ وهو خَلوقُ القلُوب وطيبُها ، و « آمن » أى ذو أمْن[٣] .

---

(١) ذكر المرزوقى فى كتابه الوجهين .

وقال ابن المستوفى : المعنى على الأول ، وذلك أنى وجدت فى حاشية ديوان من شعره « قال سليمان بن وهب : ما كان أحد أخص بأبى تمام منى ، ولا كان يأنس بأحد أنسه بى ، فعاتبته على كثرة ما أخذ من الأموال وإنفاقها حتى بقى محتاجاً ، فعرفنى من إجرائه على أُمَيِّل له بالشام ما لم أستحل معه لومه ، وشرح لى خبره ، ومدحنى بهذه القصيدة ، وذكر عتابى له ، فكتبت له إلى وكلاء . . .(كلمة غامضة فى الأصل) بقنسرين ونواحيها بثلاثة آلاف دينار فأخذها .

وروى الخارزنجى بعد هذا البيت بيتاً آخر له وهو :

فهو يؤوى خلانه فى حواشى خلق حين يجدبون خصيب

(٢) قال الصولى : روى « رَدْع القلوب » وليس بشىء ، والأول أجود .

وجاءت هذه الرواية فى ه ب ، ه ن .

(٣) كلام المرزوقى هذا لم يرد فى نسخة ش وأثبتناه من نسختى ب ، ن – وذكر ابن المستوفى أنه من كتاب الانتصار .

٢٧ لا كَمُصْفِيهِمُ إذا حَضَرُوا الوُدَّ
م وَلَاحٍ قُضْبَانَهمْ بِالمَغِيبِ

ويروى « ولاحي قضبانهم بالمَغيبِ » . وأصلُ اللَّحْي القَشْر ، لَحَوْتُ العُودَ ولَحَيْتُه ، ومنه أخذ لحيتُ الرجل إذا لُمْتَه ، كأنَّ اللَّوْم قَشْرٌ له ، وقيل لا يقال فى اللَّوْم إلاَّ لَحَيْتُ بالياء ، وقال آخرون بل يقال فيه كما يقال فى العُود والعصا لَحَوْتُ ولَحَيْتُ . يقول : ليس كمَنْ يُصْفى إخوانَه الوُدَّ إذا حضروا ويَلْحَى عيدانَهم إذا غابوا .

٢٨ يَتغطَّى عنهمْ ولكنَّهُ تَنْـ ـصُلُ أَخْلَاقُهُ نُصُولَ المَشيبِ

يقول : هذا اللَّاحى لقُضْبانهم يَتوارَى عنهم بفعله ، لكنه لا يَنكتم ويظهر ظُهورَ الشَّيب بعد ذهاب الخضاب .

٢٩ كلِّ شِعْبٍ كنْتُمُ بِهِ آلَ وَهْبٍ فهو شِعْبِى وشِعْبُ كلِّ أَدِيبِ

يقول : كلُّ مَوْضع كنتم به من الأرض ومنزل فهو منزلى ومنزل كلِّ أديب .

٣٠ لمْ أَزَلْ بارِدَ الجوانح مُذْ خَضْـ
ـخَضْتُ دَلْوِى فى ماءِ ذاكَ القَلِيبِ

« بارِدَ الجَوانح » أى ساكن العَطَش . و « خَضْخَضْتُ » حرَّكتُ ، وجعل الدَّلْوَ مثلاً للرَّجاء ، وأراد : « ماء القليب » جود الممدوح .

٣١ بِنْتُمُ[1] بالمكْرُوه دونى وأَصْبَحْـ
ـتُ الشَّريكَ المُخْتَارَ فى المحْبُوبِ

أى احتملتم ما ينالكم من المكروه فلم تُحَمِّلُونى منه إشفاقًا ، وأشركتمونى فى المحبوب .

---

(١) هـ س : « بؤتم » .

٣٢ ثُم لَمْ أُدْعَ مِن بَعِيدٍ لدَى الإِذْ
نِ ولَمْ أُثْنِ عنكمُ مِن قَرِيبِ

أى كنتُ أوّلَ داخلٍ وأقربَهم . و « أثْنَ » أصرَفْ وأحْجَب .

٣٣ كُلَّ يَوْمٍ تُزَخْرفُونَ فِنَائِى[1]
بِحِبـــاءٍ فَرْد وبِرٍّ غَرِيبِ

« تُزَخْرِفون » تُجدّدون وتزيّنون .

٣٤ إنَّ قَلْبِى لكُمْ لكالكَبِدِ الحَرَّ ى وقَلْبِى لِغيْرِكُمْ كالقُلُوبِ

(خ) يقول : قلبي لكم لشدة محبتكم وشوقى إليكم ككبد العاشق ، و « الحرّى » الصبّة ، وقلبي لغيركم كقلوب سائر الناس .

٣٥ لَسْتُ أُدْلِى بِحُرْمَةٍ مُسْتَزِيدًا
فى وِدَاد منكمْ ولا فى نَصِيبِ

« لستُ أدْلى » أى لستُ أتقرّبُ ، من قولهم فلان يُدلى إلى فلان بكذا وكذا أى يتوسّلُ إليه ، وهو من إدلاءِ الدّلْو[2] .

٣٦ لا تُصِيبُ الصَّدِيقَ قارِعةُ التـأْ
نِيبِ إلَّا مِنَ الصَّدِيقِ الرَّغِيبِ

[خ] « الرَّغيب » الكثيرُ الطّمَع . يقول : لا يوبّخُ الصديقَ على تقصير

---

(١) س : « ثنائى » .

(٢) فى ظ : قال الخارزنجى : ليس ثنائى عليكم ونشرى عنكم ما أوليتمونى طمعاً فى أن تزيدونى برًّا ووداداً ، فإنكم قد سبقتم إلى كل بر .

منه فى أمرٍ إلاّ من كان كثيرَ الطّمع لا يُصادِقُه لمودته* . [ص] يعذرُ نفسه فى سؤالهم وادّكارِهم بأمره(١).

٣٧ غَيْرَ أَنَّ العَلِيلَ لَيْسَ بِمَذْمو
مٍ على شَرْحِ ما بهِ للطَّبيبِ

يقول : لم أذكُرْ ما أذكُره استزادةً لكم ، لكن أذكرُ معتقَدِى لكم ، توكيداً وزيادةَ بيان، فلا لومَ علىّ فى ذلك ، كما أن العليلَ لا يُلام على أنْ يَشرح للطبيب العالمِ بعلّتِه ما يجده لما فى ذلك من توكيد البيان .

٣٨ لو رَأَيْنا التَّوكِيدَ خُطَّةَ عَجْزٍ
مـا شَفعْنَا الآذانَ بالتَّثْوِيبِ

[ع] « التّثويب » الدّعاءُ الثانى ، من قولهم ثَوَّبَ الرَّجلُ بأصحابه إذا دَعاهم مرَّةً بعد مرَّة ، وأصلُه من ثابَ يَثُوب إذا رَجَع . وقال قومٌ أصلُ التّثويب من الثّوْب ، وذلك أنّ الرّجل كان إذا ألَمَّ به خَطبٌ أشار إلى أصحابه بثوْبِه يدعُوهم بذلك ، ثم كثُر حتى سُمّى كلّ دعاء تَثْوِيباً .

---

(١) قال ابن المستوفى : هذا البيت يدل على ما قاله له سليمان بن وهب ولامه عليه ، لأن القارعة التى أصابته من صديقه سليمان هى من صديق مرغوب فيه وهو سليمان ، على أن يكون المعنى مخصوصاً بمعين ، فأما إذا كان من غير تعيين فإنه يريد أنه لا يعتب الصديق إلا صديق راغب فيه ، فيكون « فعيل » بمعنى « فاعل » ، كعليم بمعنى عالم ، وسليم بمعنى سالم ، ويريد أبو تمام بذلك نفسه أو سليمان بن وهب .

٩

وقال يمدح الحسن بن وهب ويذكر غلاماً أهداه له :

١ لَمَكاسِرُ الحَسَنِ بنِ وَهْبٍ أَطْيَبُ
وأَمَرُّ فى حَنَكِ الحَسُودِ وأَعْذَبُ[1]

الأول من الكامل والقافية مُتدارِك .

« المكاسر » جمع مَكسِر وهو الأصل مثل العُنصر [ص] تقول العرب فلان طيِّبُ المَكْسِر إذا كان ليِّنَ الجانب حَسَنَ الخُلُق ، وخَبيثُ المكسر إذا كان سيِّءَ الخُلُق ردىءَ النِّيَّة * وأصل ذلك فيما يُكسر من الأشياء التى ليست بالحيوان إذا كُسِرَتْ فوُجدتْ طَيِّبَةَ الرائحة وطيِّبَةَ الطَّعْم [ع] ويقولون هو هَشّ المكسر إذا وَصفوا الرجل بأنه جَوَادٌ لا يُتعب السائل ، ويُقال ذلك أيضًا لمن هو ذميمٌ عندهم لا يَصْلُب فى أيدى الأعداء . * وقوله : « أعذَبُ » يحتملُ وَجهين : أحدهما أن يكون معطوفًا على « أطيب » كأنه قال أطيب وأعذب ، ويجوز أن يكون معطوفًا على « أمرّ » ، ولكن يكون « أعذب » من قولهم ماءٌ عَذَبٌ إذا وقَعتْ فيه الأقمشةُ والقَذَى[2]، فيكون كقولك أمَرّ وأبْشَع ، وهذا حسنٌ غير منكر .

٢ ولَهُ إِذَا خَلُقَ التَّخَلُّقُ أَو نَبَا
خُلُقٌ كَرَوْضِ الحَزْنِ أَوْ هُوَ أَخْصَبُ[3]

« خَلُقَ » من الخُلوقة . [ع] و « الحَزْن » هاهنا مَوْضعٌ بعينه فى

---

(١) هـ م : « وأصعب » .

(٢) فى ظ : قال الجوهرى : المعذبة القذاة ، وماء ذوعَذَب أى كثير القذى . وفى اللسان العذبة القذاة ، وماء ذو عَذَب كثير القذَى والطحلب .

(٣) س ، هـ ب : « أطيب » .

نواحى نجد[١] ، وقيل بل كلّ حزْن كذلك ، لأن الرّوضة إذا كانت فى موضعٍ عالٍ كانت أحسن . وقيل إنما ذكَرَ روض الحزْن لأنه أبعدُ من وَطْءِ الرّاعية إذْ كان السَّهْلُ أيسرَ عليها . قال كُثيِّر :

فما رَوْضَةٌ بالحزْنِ طيَّبةُ الثَّرَى يَمُجُّ النَّدَى جَثْجاثُها وعَرارُها[٢]

وقال القَطامى :

فما ريحُ رَوْضٍ ذِى أقاحٍ وحَنْوةٍ وذِى نَفَلٍ من قُلَّةِ الحزْنِ عازب[٣] *

يقول : إذا بُلِيَتْ أخلاقُ المتخلّقين بما ليس فى طَبعهم ، وتَغيَّرتْ ونَبَتْ — أى قَلَّ خيرُها ، من قولهم نَبَا السيفُ يَنبو إذا لم يقطع — فخلُقُه كروض الحزْنِ ، أو هو أطيبُ من رَوْض الحزْن .

٣ ضَرَبَتْ بِهِ أُفُقَ[٤] الثَّناءِ ضَرائِبٌ
كالمِسْكِ يُفْتَقُ[٧] بالنَّدَى ويُطَيَّب

أى أوصلته إلى غاية الثناء والمدح خلائقُه . « الضَّرائبُ » جمع ضَريبة وهى الخَليقة والطبيعة . و « يُفْتَق » من قولهم فتَقْتُ المسْكَ بغيره ، وهو مأخوذٌ من فَتْق الثَّوب ، كأنه يراد أنّ رائحتَه وُسِّعَتْ بما فُعل بها ، وهى كلمة معروفة قديمة ، قال الرّاعى :

لها فأرَةٌ ذَفْراءُ كلَّ عَشيَّةٍ كما فَتَقَ الكافُورَ بالمسكِ فاتِقُه

---

(١) قال ابن المستوفى : قوله : « الحزن هنا موضع بعينه » لا معنى له ، إذ ليس روض هذا الموضع بعينه أحسن من روض غيره ، وإنما أراد بالحزن هنا ما غلظ من الأرض ، وروضه أحسن الرياض لقلة إمساكه الماء . وقوله : « إنما وصف روض الحزن لأنه أبعد من وطء الراعية إذ كان السهل أيسر عليها » ليس بمستقيم ، إنما الروض إذا بعد عن الوطء كان أحسن سواءٌ كان فى حزن أو سهل . . .

(٢) الأغانى ١٤ : ٥٩ . والبيت التالى له المكمل لمعناه هو :

بأطيبَ من أردان عزة موْهناً وقد أوقدتْ بالمندل الرطب نارها

(٣) الديوان ص ٥٠ . وقال « الحنوة » عشبة وضيئة صفراء الثمرة ، و « النفل » بقلة طيبة . والبيت التالى له المكمل لمعناه :

سقته سماء ذات طل فنقّمت نطافا ولما يأت سيل المذانب

(٤) قال الصولى : ويروى « ضربت به خيم الثناء » .

٤ يَسْتَنْبِطُ الرُّوحَ اللَّطِيفَ نَسِيمُها
أَرَجاً وتُؤْكَلُ بالضَّمِيرِ وتُشْرَبُ

[ص] هذا مثَل ، كما يقال فلانٌ يُشرَب مع الماء ، وكدتُ آكلُه شغَفًا به ، لِمَنْ يُستحلَى خَلْقًا وخُلْقا وظَرْفًا . و« نَسيمُها » أى نسيمُ هذه الضرائب يُحرِّك الرُّوحَ اللطيف . ويروى : « يَسْتنبطُ الروحُ اللطيفُ نسيمَها[1] » .

٥ ذَهَبَتْ بِمَذْهَبِهِ السَّماحَةُ فالتَوَتْ
فيه الظُّنُونُ : أَمَذْهَبٌ أَمْ مُذْهَبُ

(ع) « ذهبَتْ بمذْهَبه » يحتمل وجهين : فتح الميم وضمَّها ، فإذا فتحت فالمعنى : ذهبَتْ بمذهبه – أى طريقته – السماحةُ ، أى غلبتْ عليه ، كما يقال ذهَب فلانٌ بالمجد أى حازَه وصار له ، ومنه قول الأخطل :

ذهَبتْ قريشٌ بالسماحة والنَّدى واللؤْمُ تحتَ عمائم الأنصار[2]

وإذا ضُمَّت الميم فالمعنى : ذهبتْ بثيابه المُذْهبة . أى أنه يخلَعُها . وقد ادَّعى قومٌ أنَّ الذَّهَبَ يُسمَّى مُذْهَبًا ، وفسَّروا على ذلك قول الأخطل :

لَبَّاسُ أُردِيةِ المُلوكِ كأنَّما عُلِّتْ ترائبُه بماءِ المُذْهَب[3]

قالوا أراد الذهب ، والقياس يوجب أنَّ المراد بماءِ الشيءِ المُذْهَب . وقوله « التَوَتْ فيه الظنونُ » أى اختلفتْ ولم تُحقِّق شيئًا واحدًا . وقوله « أمَذْهَبٌ أمْ مُذْهَبُ » يقول : أطريقةٌ هو وخُلق أمْ مُذْهَب ، من قول العامة بفلان مُذْهَبٌ إذا كان يَلَجُّ فى الشيءِ ويُغْرَى به . وأكثرُ ما يُستعمل ذلك فى الطَّهارة ، يقال بفلان مُذْهَبٌ إذا كان يتطهَّر ثم يَظُنّ أن طهارته لم تكمُل فيُعيدها * وذلك يَعرِض للقُرَّاء والمتنسِّكين كثيرًا . ويجب أنْ تكون هذه الكلمةُ حَدَثَتْ فى الإسلام ، وذلك أنهم رَوَوْا حديثًا مرفوعًا فيه ذِكرُ أولادِ

---

(١) قوله « يستنبط الروح اللطيف نسيمها » لم يرد فى نسخة ش وأثبتناه من نسختى ب ، ن .
(٢) الديوان : ص ٣١٤ .
(٣) الديوان : ص ٢٧ .

سَبْعة ولَدَهم الشيطانُ : أحدُهم يُسمَّى المُذْهَب ، وهو الذى يَعرِض للمتطهِّرين فيُوهِمُهم أنّ طهارتَهم فاسدةٌ فيُعيدونها . وفى بعض الأخبارِ التى تُذكَر على معنى التَّعَجُّب منها : أنّ عدنانَ أبا مَعَدٍّ كان له ابنٌ يقال له الضحّاك ، وكانت أمُّه من الجنّ ، وأنه لَحِقَ بأخواله فصار شيطانًا وهو الذى يُسمَّى المُذهَب ، يَعرِض للناسِ فى الطهارة. بخط العَبْدى : « المَذْهَب » واحِد المذاهِب ، و « المُذهَبُ » هو اللَّوْحُ والسِّفْرُ من الكُتُب التى فيها السِّيَر . [خ] يقول : ذهَبت السّماحةُ بمُذْهَبه كل مَذْهَب ، فأخذَ مِن كلٍّ حَظًّا ، فلا يَدْرى أمَذهَبُه مَذْهَبٌ ، أم هو السِّفْرُ الذى تَتَشعَّبُ فيه المَذاهبُ لِسَعتها وافتنانِها فى كلِّ فَنّ[1] .

٦ وَرأَيْتُ غُرَّتَهُ صَبِيحَةَ نَكْبَةٍ
جَلَلٍ فَقُلْتُ : أَبارِقٌ أَمْ كَوْكَبُ ؟

« صَبيحةَ نَكْبَةٍ » أى أصابته نَكْبَةٌ فى ليلتها ، و « الجَلَلُ » هنا العظيم . « فقلتُ أبارِقٌ » : أى أهىَ شُعاعُ بَرْقٍ أم ضَوْءُ كوكب ؟

٧ مَتَعَتْ كمَا مَتَعَ الضُّحَى فى حَادِثٍ
دَاجٍ كأَنَّ الصُّبْحَ[2] فيهِ مَغْرِبُ[3]

« متَعَتْ » : ارتفعتْ . (ق) يقول : إنّ غُرَّته تُرَى عند النكبة العظيمة تُصيبه مُضِيئةٌ مشرِقةٌ كإشراق الضّحَى عند إلباسِ سَحاب شديدِ السَّواد . يقول : إسفارُ الصّبح عنده من إظلامه كأنّه مَغْرِب ، أى وقت غُروبِ الشمس وجُنوحِ الليل . قال : ويجوز أن يكونَ المرادُ بـ « العارِض » الحادثَ العظيمَ

---

(١) قال المرزوقى : المذهب (بضم الميم) الجنون ، يقال به مذهب . والمعنى أن السماحة قد غلبت عليه واستولت على شمائله وسجاياه ، فهو يفرط فيها ويسرف فى لزومها ، حتى قيل على طريق التشكك : أهذا خلق ومَذهب أم جنون ومُذهب ؟

(٢) قال الصولى : يروى « كأن الشرق » ، وقال ابن المستوفى : وهى رواية الخارزنجى .

(٣) هـ ظ : ويروى « غيهب » .

المُظلمَ الذى يَصِير الصبحُ معه مَغْرِبًا والظُّهْرُ له مَقْصِرًا * ، وعلى هذا الوجهِ تكون الروايةُ « كما مَتَع الضّحى فى عارضٍ داج »[1].

٨ يَفْديه قَوْمٌ أَحْضَرَتْ[2] أَعْراضُهم
سُوءَ المَعايبِ[3] والنَّوَالُ مُغَيَّب

[خ] أىّ قومٌ تَنُوبهم النَّوائبُ فلا يُقابِلونها بفَعالٍ حسنٍ يدفعونها عن أنفسهم كما يفعل هذا الممدوح .

٩ مِن كُلِّ مُهْراقِ الحَيَاءِ كَأَنَّما
غَطَّى غَدِيرَىْ وَجْنَتَيْهِ الطُّحْلُبُ

أى من كل رجل صَفِيق الوَجه ذى قحة ، كأنما غُطِّى على عينيه فلا حياءَ فيهما . [ع] وسَكَّن الهاء فى « مُهْراق » على لُغة مَن قال أَهْرَقتُ ، ومن قال هَرَقتُ يقول مُهَرَاق .

١٠ مُتَدَسِّمُ الثَّوبيْنِ يَنْظُرُ[4] زَادَهُ
نَظَرٌ يُحَدِّقُهُ وخَدٌّ صُلَّبُ

[ع] « مُتَدَسِّمُ الثَّوبين » أى دَنِسُهما ، وأصل ذلك أن يأكل الدَّسَمَ

---

(١) وهى رواية ق ، ظ . (٢) فى س ، ب ، ن : « أحضرت » بالبناء للمجهول .

(٣) س : « ريب الحوادث والفعال مغيب » . وفى ظ : أنشده الآمدى :

يفديك قوم أحضرت أعراضهم ريب الحوادث والفعال مغيب

وقال : هذا مما غيره من لم يعرف معناه فجعلوه « يفديك قوم . . . . » البيت ، وإنما أراد أبو تمام أنه إذا راب الزمان بحادثة تحدث لم يحضر ذلك الأمر إلا أعراضهم لأنها تنتهك بالذم وفعالهم مغيب . . . فليس تحضر هذه الحوادث إلا أعراضهم التى تذم ، فجعل ذكر الذاكر لها بالذم حضوراً . ويجوز أن يكون أراد بأعراضهم أجسادَهم ، وقد يقال للجسد عرض ، قال النبى عليه الصلاة والسلام « إن أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوَّطون ولكنه عرق يجرى من أعراضهم كالمسك » فيقول إنهم يحضرون الحوادث بأبدانهم والفعال الجميل منهم مغيب .

(٤) س : « ينصر زاده نظرٌ يحدده ووجه صُلب » . وقال الصولى فى م : ويروى : « ووجه صلب » ، وفى ظ : وروى الخارزنجى : « متبسم الثوبين ينصر زاده » أى أبيض اللباس ، يقول هو – يعنى المهجو – حسن اللباس . متنوق فيه ، إلا أنه شحيح يمنع زاده من أكيله نظر يحد به فى وجه من ينظر إليه لتحديده . . . يقول : إذا استغاث به زاده نصره بنظره وقحة وجهه .

فيُصيب ثوبه ولا يتعهّده بالغَسْل ، ثم قيل للغادر والبخيل إنّ ثيابه لدَسْمٌ يُضْرَب مثلاً وإن كانت ثيابُه الملبوسةُ نقية ، قال الراجز :

لاهُمَّ إنّ عامرَ بنَ جَهْمِ
أوذَمَ حَجًّا في ثيابٍ دُسْمِ (١)

وقوله « ينظُرُ زَادَه نَظَرٌ » هذا مأخوذٌ من الناظور وهو الذي تسميه العامّة الناطور . ويجوز أن يكون الطائي قال « ينطُر » بالطّاء لأنهم قد تكلموا بالناطور قديمًا ، والطّاء فيما رُوى من كلام النَّبط ، وإذا قيل بالظاء فهو من نظرت الشيء في معنى نظرت إليه ، وأكثرُ ما استُعملتْ « نظرت » مع « إلى » ، وقد تستعمل متعدّيةً بغير حرف خفض ، يقال نظرت الرجل في معنى نظرت إليه ، قال ابن قَيْس الرقيّات :

ظاهِراتُ الجمالِ والسَّرْوِ يَنظُرْ ن كما يَنظُرُ الأراكَ الظِّباءُ (٢)

ويقال « حَدَّق إليه » إذا نظر نظرًا شديدًا ، والمعنى أنه يجعل حدقتَه نَصْبًا له لا يُزيلُها عنه . و « خدٌّ صلَبٌ » أي صُلْب ، ويُقال لحجارة المِسَنّ صُلَبٌ لصلابتها .

١١ فإذَا طَلَبْتُ لدَيْهِمُ ما لَمْ أَنَلْ
أَدْرَكْتُ مِنْ جَدْواهُ ما لا أَطْلُبُ

١٢ ضَمَّ الفتاءَ إلى الفُتُوَّةِ بُرْدُهُ
وسَقَاهُ وَسْمِيُّ الشَّبابِ الصَّيِّبُ

١٢ — « الفَتَاء » طَراءةُ السِّنّ ، وقَلَّما يستعملون « الفتاء » في بني آدم ، لأنهم إنما يقولون دابّةٌ فتِيٌّ ، إلاّ أن البيت المرويّ للفزاريّ معروف :

إذا عاشَ الفتَى مائتين عامًا فقد ذَهَبَ اللَّذاذةُ والفَتاء (٣)

---

(١) أورد الصولي هذا الرجز في شرحه . وهو في اللسان مادة « وذم » . قال : وأوذم على نفسه حجًّا أو سفراً أوجبه . أراد ثياباً متلطخة بالذنوب ، يعني أحرم بالحج وهو مدنس بالذنوب .

(٢) الديوان ص ١٧١ . (٣) البيت للربيع بن ضبع الفزاري — اللسان مادة « فتى » .

يقول : هو ذو فتاء فى سنه ، وفتوة فى خلقه ، وماء الشباب محسن لوجهه كما يحسن وسمى المطر الأرض .

١٣ وصفا كما يصفو[١] الشهابُ وإنه
فى ذاكَ مِنْ صِبْغِ الحَياءِ لَمُشْرَبُ

١٤ تَلْقَى السعُودَ بِوَجْهِهِ وتُحِبُّهُ
وعليكَ مَسْحَةُ بِغْضَةٍ فَتُحَبِّبُ

١٤ – (ق) : يعنى أن هذا الممدوح حسن القبول ، إذا رأيته سعدت به وأحببته ، وإن كنت قبل مبغضا إلى الناس حببت إليهم لإقباله عليك واستسعادك به . (ع) : « مسحة بغضة » ، مستعار ، يقال عليها مسحة من الجمال أى هى جميلة جمالا ليس بمفرط ، لأن مسح الشىء لا يوجب كثرة تعلقه بالماسح ولا الممسوح ، وحق ذلك أن يستعمل فى المرئيات ، والبغضة لا ترى فى الحقيقة ، والجمال مرئى[٢] .

١٥ إنَّ الإِخَاءَ وِلادَةٌ وأَنا امْـرُؤٌ
مِمَّنْ أُوَاخِى حَيْثُ مِلْتُ فأُنْجِبُ

[خ] يقول : إخاء المتآخيين كأخوة الأخوة ، وأنا رجل مستقص فى اعتقاد الإخوان . * أى لا أواخى إلا كريما[٣] .

---

(١) م : « كما اعتدل الشهاب » وبهامشها رواية الأصل – س : « كما نصع الشهاب » – وفى ظ : وروى الخارزنجى : « وصفا كما اعتدل الشباب » وقال : ورواية « الشباب » أجود لقوله « وإنه مع ذاك من صبغ الحياء لمشرب » لأنه أتى بالإشراب مع الصفاء والخلوص فيكون على جهة الطباق .

(٢) أورد ابن المستوفى شرح أبى العلاء هذا بلفظه وفيه شاهد . قال : قال الشاعر :

على وجه مى مسحة من ملاحة وتحت الثياب الشين لو كان باديا

(٣) فى الأصول « فأنجب » بضم الهمزة ومعناها أوافى النجباء ، ويظهر أن الخارزنجى رواها بفتح الهمزة فبقية كلامه كما جاء فى ظ : وأنا رجل مستقص فى اعتقاد الإخوان ، فإذا اتخذت أخاً استكرمته أى اتخذته كريماً فأنجب ، من نجبت عن الشجر اللحاء وبلغت إلى خالص الشىء ، وهو مثل ضربه ، أى أبالغ فى المودة .

١٦ وإذَا الرِّجَالُ تَساجَلُوا فى مَشْهَدٍ
فَمُرِيحُ رَأْيٍ مِنْهُمُ أَوْ مُعْزِبُ (١)

أى رأىُ عاقلٍ ورأى جاهل ، أى منهم مَن له رأىٌ ومنهم من لا رأى له . يقول : إذا اختلفوا فى الرأى تأتى بالرأى المصيب ، واستعار للرأى الإراحةَ والإعزابَ وإنما ذلك للمال الراعى .

١٧ أَحرَزْتَ خَصْلَيْهِ إِلَيْكَ وأَقْبَلَتْ
آراءُ قَوْمٍ خَلْفَ رَأْيِكَ تُجْنَبُ

« الخَصْلُ » ما يُخرجُه المُناضِل أو المسابقُ لِيأخُذَه أحدُ المتناضلَيْن أو المتسابقَيْن إذا غَلَب .

١٨ وإذا رأَيْتُكَ (٢) والكلامُ لآلِئٌ
تُومٌ (٣) فبِكْرٌ فى النِّظامِ وثَيِّبُ

يقال لِما عَظُم مِن اللآلئ تُوم ، وهذا مَثَل ، يريد أنه يَجىء برأى يبتدعُه ورأى يختاره مما سُبِق إليه .

١٩ فَكأَنَّ قُسًّا فى عُكاظٍ يَخْطُبُ
وكأَنَّ لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةَ تَنْدُبُ

٢٠ وكثِيرَ عَزَّةَ يومَ بَيْنٍ (٤) يَنْسُبُ
وابْنَ المُقَفَّعِ فى اليَتِيمَةِ يُسْهِبُ

١٩ و ٢٠ — صرَّع هذين البيتين فى غيرِ أوّلِ القصيدة ، والغالبُ فى شِعْرِ

---

(١) س : « مُغرب » .

(٢) م ، ل ، س ، ظ : « ولقد رأيتك » — وفى ظ « ولقد سمعتك » .

(٣) قال ابن المستوفى فى نسخة ابن الليث بخطه : « تُوم » جمع تؤمة وهى الدرة ، أى من الكلام من له ماء وهو مثل الدرة ، ومنه من لا ماء له .

(٤) فى الأصول « وكثير » على الأصل من غير تصغير . وفى هـ ب . « وكثيرٌ فى يوم بين » .

العربِ وغيرهم أن يكون التصريعُ فى البيتِ الأول ، وربما جاء التصريعُ فى تضاعيفِ الأبيات ، وذلك قليل . وذكر أربعةً كلُّهم مُبرِّزٌ فى الطريقة التى سلَكها ، ذكرَ قُسَّ بنَ ساعدةَ الإيادى ، وهو أحدُ خطباء العرب وحكمائهم وزُهادهم ، وذكر لَيْلى الأخيليَّةَ وهى من بنى الأخْيَل من عُقَيل ، وكانتْ يُحكم لها بالتبريز فى مراثى تَوْبةَ بنِ الحُمَيِّر ، وذكر كُثَيِّرَ عَزَّة وهو من بنى مُلَيْح من خُزاعةَ ، وكان يقدَّم فى النَّسيب وفى مدح الملوك ، وأضاف إليه عبدَ الله ابن المقفّع الكاتب ، و « اليتيمة » لقبُ كتاب لابن المقفع يشتمل على ذكر آدابٍ نفسيَّةٍ يأمر بها الإنسانَ من حُسْن الأخلاق والسماحة وبَذْل الموجود ورفضِ التكبُّر ونحو ذلك ، ومعنى « اليتيمة » أنها مُنقطعة القرين مثلُ الدّرةِ اليتيمة التى لا شِبْه لها .

٢١ تَكْسُو الوَقارَ وتَسْتَخِفُّ مُوَقَّرًا
طَوْرًا وتُبْكِى سَامِعِينَ وتُطْرِبُ

[ع] أى يَتوقّر غيرُ الوَقورِ إذا أصغَى إليك ، وتَستخِفّ الوقورَ بحُسْنِ ما يسمع منك * وتُبْكِى إذا وعظْت ، وتُطْرِب ببدائعك .

٢٢ قَدْ جاءَنا الرَّشَأُ الَّذِى أَهْدَيْتَــهُ
خَرِقاً ولَوْ شِئْنا لَقُلْنا المَرْكَبُ

يعنى الغلامَ الذى أهداه إليه . و « الخَرْق » الذى قد دُهِش وتحيَّر كأنه رَشأٌ وهو مع ذلك يَصلُح للتمتع . [ص] وأصلُ « الخَرَق » الضَّعْفُ فى القوائم من النعَمة .

٢٣ لَدْنُ البَنانِ لهُ لِسَانٌ أَعْجَمٌ خُرْسٌ مَعانِيهِ ووَجْهٌ مُعْرِب

[خ] « لسانٌ أعْجَمُ » لا يُوقَف على مَعانيه ، و « وجهٌ مُعْرِب » يدعو إلى حُبِّه .

٢٤ يَرْنُو فَيَثْلِمُ فى القُلوبِ بطَرْفِهِ
ويَعِنُّ[١] للنَّظَرِ الحَرُون فَيُصْحِبُ

أى ينظُر فيَذهب بالقلبْ ، ويَتعرَّض لمن لا ينظر إليه فيستميله إليه حتى يَتْبَعه . و « عَنَّ » اعترض ، ومنه عِنانُ الفرس ، و « يُصْحِبُ » ينقاد . (ع) : أصلُ الحِرَان فى الخيل وذوات الحافر ، استعاره هنا للنظر ، ولعله لم يُوصَف قبل الطائى بهذا . وقوله « يُصحِبُ » من قولهم أصحَبَ إذا انقاد بعد امتناع . والمعنى : أنَّ هذا الرَّشأ يَعترض للنظر الذى لم يكنْ يُصرف إلى شىء يُستَحسن فينصرفُ إليه .

٢٥ قَدْ صَرَّف الرَّانُونَ خَمرَةَ خَدِّهِ
وأَظنُّهـا بالرِّيق مِنْهُ سَتُقْطَبُ[٢]

[ص] يقول : قد خَجِل من كثرة النظر إليه ، واحمرَّتْ وَجْنَتُه فكأنَّها خمرٌ لم تُمزَجْ ، ثم قال : « وأظنها بالرِّيق منه ستُقْطَبُ » يريد أنه يُقبِّله على خدّه ثم فى فمه ويَرَشَّفُ رِيقَه ، فذلك قوله « ستُقطَبُ » أى تُمزَج .

٢٦ حَمْدٌ حُبِيتَ به وأَجْرٌ حَلَّقَتْ
مِنْ دُونِهِ عَنْقَاءُ لَيْل مُغْـرِبُ

(ق) يعنى غلامًا كان وَهَبه له ، يقول : أنا أشكرك على صَنِيعك فى هِبَتك ، ولكن لا تُؤْجَر عليه ، إذْ كان الغلامُ يُنال منه مالا يُستَحقّ به الأَجْرُ إن سَلِم فى استخدامه من الوزر[٣] .

---

(١) فى ظ : وقال الخارزنجى : ويروى « ويَرِنّ » ، وقال ابن المستوفى : قال الجوهرى رنت المرأة ترن رنيناً أى صوتت ، كأنه أراد بقوله « يرن » يصوت للنظر الحرون ، أى يدعو النظر الحرون .

(٢) س : « تقطب » .

(٣) وقال الصولى : قد جلب إليك هذا الغلام حمداً وشكراً لمّا أهديته إلىّ ، ولكن ليس لك فى إهدائه أجر ، لأنك أهديته لأسومه الحرام ، فكأن أجره طارت به عنقاء مغرب .

٢٧ خُذْهُ وإنْ لَمْ يَرْتَجِعْ مَعْرُوفَهُ
مَحْضٌ إذا مُزِجَ[1] الرجالُ مُهذَّبُ

٢٨ وانفَحْ لَنا مِنْ طِيبِ خِيمِكَ نَفْحَةً
إنْ كانتِ الأَخلاقُ مِمَّا تُوهَبُ

٢٧ و ٢٨ – يقول خُذِ العبدَ إليك ، وأعطنى من أخلاقك ما هو أحسنُ منه ، وإن كان الكريم إذا رَفَدَ رِفْدًا لم يَرْتَجِعه .

(١) م : « إذا عد الرجال » – وقال الصولى فى شرحه : ويروى « إذا غلث الرجال » – وهى رواية ق ، ظ أيضاً – : أى خلط ، يقال غلثت البر بالشعير أغلثه بالكسر . وقال ابن المستوفى : ويروى « إذا مزج الرجال » وهو أحسن ، وقال : وفى نسخة « إذا عيب الرجال » وفيها « إذا خُلط » .

١٠

قال يمدح الحسنَ بنَ سَهْل[١] :

١ أَأَيَّامَنا ما كُنْتِ إلاَّ مَواهِبَا
وكُنْتِ بإسعافِ الحَبِيبِ حَبائبا[٢]

الثانى من الطويل ، والقافية متدارك .

وقوله « بإسعافِ الحبيب » أى بإسعافكِ بالحبيب . و « حَبائب » جمع حَبيبة ، كأنّه أيام حبيبة ، ثم تُجمع على حبائب[٣] .

٢ سنُغْرِبُ تَجْدِيداً لِعَهْدِكِ فى البُكا
فَما كُنْتِ فى الأَيَّامِ إلَّا غَرائبا

٣ ومُعْتَرَكٍ للشَّوْقِ أَهْدَى بهِ الهوَى
إلى ذِى الهَوَى نُجْلَ العُيُون رَبائبا

٣ — [ص] شبَّه موضع اجتماعه مع حبائبه ومُلاعبته إياهن بمُعترك ، وجعله مُعترَكَ شوق لامعترك حَرْب ، وأراد بـ « ذِى الهوى » نفسَه * . (ق) : الرواية : « أهدَى به الكَرَى إلى ذِى الهوى » ، ولو كان أبو تمّام ساعده الهوى وعاين المحبوبَ لم يكن يقول « ومُعترَكٍ للشوق » ، ولو كانت الرواية « أهدى به الهوى » لم يكن له فائدة ، لأن الزيارة إذا أمكنت لا تكون من فعل الهوى ، فيجعلَ الإهداءَ له ، ومع ذلك فتكرار الهوى يَشين البيت وهو بمعنًى واحد . وإذا رويتَ « أهدَى

---

(١) جاء فى س على رأس هذه القصيدة : وقال يمدح الحسن بن رجاء .

(٢) يلى هذا البيت فى س بيت لم يرد فى سائر الأصول هو :

تفرقن أيـــامٌ حمدت نعيمها كذا كل أيام بعـــدن ذواهبا

وأمامه بالهامش رواية « تولين » بدل قوله « تفرقن » وبالهامش المقابل له « ليس هذا البيت عند أبى على » يريد أبا على القالى .

(٣) قال ابن المستوفى فى شرح هذا البيت : أى لم تكونى كالأيام ، وإنما كنت من مواهب الله تعالى ونعمه ، وكنت محبوبة بوصال الحبيب ، أى لأجل وصاله .

به الكَرَى إلى ذِى الهوى » سلِم البيت من العيوب ، وجاد وحَسُن[1] * « ونُجْل العُيون » أى واسعة العيون ، يقال عَيْنٌ نَجْلاء ، وامرأة نجلاء ، ورجل أنْجَل . و « الربائب » جمع رَبيبة ، وهى التى تُرَبُّ أو يقام عليها ، من قولهم رَبَبْتُ الطِّفلَ ورَبَّيْتُه : إذا أحسنتَ مراعاته والقيامَ عليه .

٤ كواعِبُ زَارَتْ فى لَيالٍ قَصِيرةٍ
يُخَيَّلْنَ لِى مِنْ حُسْنهنَّ كَوَاعِبا

[ص] يقول : لِعشقى لهذه الليالى وعُجْبى بها ، خُيِّل إلىَّ أنها كواعِب .

٥ سَلَبْنا غِطاءَ الحُسْنِ عنْ حُرِّ أَوْجُهٍ
تَظَلُّ لِلُبِّ السَّالِبِيها سَوالِبا

٦ وُجُوهٌ لَوَ انَّ الأَرْضَ فيها كَوَاكِبٌ
تَوَقَّدُ للسَّارِى لَكُنَّ[2] كوَاكبا

---

(١) أورد ابن المستوفى للمرزوقى كلاماً كثيراً فى هذا البيت ، زيادة على ما جاء به التبريزى هنا ، ليخطئ رواية « أهدى به الهوى » ، وليؤيد روايته « أهدى به الكرى » . فبعد قوله « جاد وحسن . . . » يقول : وهذه الطريقة ليست بمخالفة لقوله :

نم فما زارك الخيال ولكـ ـنك بالفكر زرت طيف الخيال

وقد أخذ هذه اللفظة البحترى من أبى تمام فى موضع فقال :

إذا ما الكرى أهدى إلى خياله شفى قربه التبريح أو نقع الصدى

وعقب عليه ابن المستوفى بقوله : الرواية ما رواه الصولى ، وسياق اللفظ فى البيتين [هذا البيت والذى بعده] يدل على صحته . وقول المرزوقى « إن الزيارة إذا أمكنت لا تكون من فعل الهوى » غلط ، بل لا تكون إلا من فعل الهوى ، ألا ترى إلى قوله :

وما زرتكم عمداً ولكن ذا الهوى إلى حيث يهوى القلب تهوى به الرجل

فأراد أبو تمام أن الهوى حمل هؤلاء النجل العيون الربائب ، على أن زرته .

(٢) س ، ل ، د ، هـ ب : « لكانت » .

٧ سَلِي هَلْ عَمَرْتُ القَفْرَ وهْوَ سَباسِبٌ
وغادَرْتُ رَبْعِي مِن رِكابِي سَباسِبا

« الرِّكاب » الإبلُ المركوبة ، فأما الرِّكابُ فى قول زَيد الخيل :

وخيْبَــةَ مَن يُجيرِ على غَنِيٍّ وباهلَةَ بنِ أعصُرَ والرِّكابِ[1]

فقيل إنه أراد أنّ أسْرَى غنىً وباهلة كانوا يُقرنون إلى سَيْرِ ركاب السُّرُج ، كما قال الآخر :

وأنا الذى إنْ تأخذونى عَنْوةً أُقرَنْ إلى سَيْرِ الرِّكابِ وأجْنَبِ

وقيل إن الرِّكاب فى بيت زَيد الخيل إنما يُراد به الإبل المركوبة . و« سَباسب » وبَسابس : قَفْرٌ من الأرض[2] .

٨ وغَرَّبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ
وشَرَّقْتُ حَتَّى قَدْ نَسِيتُ المَغارِبا

٩ خُطُوبٌ إذا لاقَيْتُهنَّ رَدَدْنَنِى
جَرِيحاً كأَنِّى قَدْ لَقِيتُ الكَتائبا

٩ — ويروى « لقِيتُ كتائبا » . « الكَتِيبة » : القِطْعة من الخيل ، وهى من قولهم كتبتُ الشىءَ إلى الشىءِ إذا جمعتَه إليه .

١٠ ومَنْ لَمْ يُسَلِّمْ للنَّوائبِ أَصبَحتْ
خَلائقُــهُ طُرًّا[3] عليه نَوائِبا .

« طُرًّا » أى جميعًا ، وهو من قولهم طَرَرْتُ الإبلَ إذا مَرَرْتَ بها من

---

(١) فى الأصول « يجيب » والبيت فى الأغانى ١٦ : ٥١ ، وروايته فيه « وباهلة بن أعصر والكلاب » — والشعر والشعراء ص ٢٤٦ وروايته فيه « من يغير على غنى » .

(٢) قال الصولى فى شرح بيت أبى تمام : سلى هل عمرت . . . : يقول : عمرت القفر بسفرى ، وصار منزلى كالقفر لتركى له .

(٣) ل ، د ، هـ س : « جمعاً عليه » .

ناحيتها ، والطُّرُّ الجانب ، ويحتمل أن يكون قولهم « طُرًّا » جمعَ طُرَّة ، مثل بُرَّة وبُرّ . أى مررتُ بهم من جميع نواحيهم .

١١ وقَدْ يَكْهَمُ السَّيْفُ المسمَّى مَنِيَّةً
وقَدْ يَرْجعُ المرءُ المُظَفَّرُ خائبا

١٢ فآفَةُ ذَا أَلَّا يُصَادِفَ مِضْرَباً
وآفَةُ ذا أَلَّا يُصَادِفَ ضاربا

١٢ – ويُروَى « صارمًا » بدل « مِضْرَبًا »(١) . أى فآفَةُ السيف القاطع ألاّ يجدَ رجلا شجاعًا ، وهو المِضرَب ، وآفةُ الشجاع المِضْرَب ألاّ يجد سيفًا قاطعًا يضرب به .

١٣ ومَلْآنَ مِن ضِغْنٍ كوَاهُ تَوَقُّلى
إلى الهمَّـةِ العُلْيا سَناماً وغارِبا

[ع] : أى قد امتلأ من الحقد ، وهذا مستعار لأن الضّغن عَرَضٌ لا يَمتلىء به الجسدُ ، ولكنْ وصَفَه بالكثرة ، وهذا كما قال الراجز :

يا أيُّها ذا النـــابحى نَبْحَ القَبَلْ
يَدعُو علىّ كلما قامَ يُصَلْ
يُقْعِي بكفَّيْه كما يُقْعِي الجُعَلْ

(١) روى الصولى « مضربا » بفتح الميم وكسر الراء ، وقال فى شرحه : فآفة المظفر ألا يجد مضارب يمتحن فيها نفسه ، وآفة السيف ألا يكون له من يضرب به : وفى ظ : روى الآمدى : « فآفة ذا ألا يصادف ضاربا » وقال : وهذا ليس بالجيد ، لأن الشجاع المظفر قد يقطع السيف الكهام فى يده ، وكان الأجود أن يقال « فآفة ذا ألا يصادف مغنما » أو « مضربا » يعنى المظفر ، « وآفة ذا ألا يصادف ضاربا » يعنى السيف ، لأنه جعل آفته فى أن صار كهاما ، أنه لم يجد ضارباً يضرب به . وفى هـ س : ويروى « ألا يصادف ماجداً » .

وقد مَلأتُ بطنَـــه حتى أتَلْ
غَيظًا فأمسَى ضِغْنُه قد احتفَلْ[1]

« أتَل » إذا قارَب الخطوَ من الغضب ، ووجه آخر : « أتَل » أى صار بطنُه كالتلّ . وهذا مما سئل عنه أبو حاتم فلم يُفسِّره ، وهو فى نوادر أبى زيد ، وخفّف اللاّمَ ، و « التوقلُ » من قولهم توقّلتُ فى الجبل . و « السنام » أصله للبعير ، وكذلك الغارب وهو ما قُدّام السنام ، ثم استُعير لما ارتفع من شىء فقيل سَنام الجبل وغوارب البحر .

١٤ شَهدْتُ جَسيماتِ العُلَى وهْوَ غائبٌ
ولَوْ كانَ أَيْضاً شاهِدًا كانَ غائبا

« جَسيمات العُلى » : ضِخامُها ، يقال رجلٌ جَسِيم : إذا كان له جسمٌ ضَخم .

١٥ إلى الحَسَنِ اقتَدْنا رَكائبَ صَيَّرتْ
لها[2] الحَزْنَ مِن أَرْضِ الفَلَاةِ ركائبا

[ص] يقول : هذه الركائبُ قد ركِبَتِ الأرضَ ، فالأرضُ رُكائبُ لها .

١٦ نَبَذْتُ إليْه هِمَّتى فكأَنَّما
كَدَرْتُ بِه نَجْماً على الدَّهْرِ ثاقِبا

« كدَرْتُ » قَضَضْتَ ، من قوله تعالى : « وإذا النجُومُ انكدَرَتْ » . و « الثاقب » المُضىء ، وقد قيل المرتفع ، وهو بالضوء أشبه ، يقال ثَقَبَتِ النارُ ثُقوبًا إذا أضاءت .

---

(١) الرجز فى نوادر أبى زيد ص٤٩ . وقال : « القَبَل » ما أقبل عليك من الجبل . . . وقوله « أتل » أى امتلأ عليك سخطاً وغضباً . . . وقال الرياشى : لا أدرى « أتَل » .

(٢) م : « صيرت لنا » وبهامشها رواية الأصل . وقال الصولى : ويروى « لها اليد » وهذه الرواية فى هـ س .

١٧ وكُنْتُ امْرَءًا أَلقَى الزَّمانَ مُسَالِمًا
فآليْتُ لا أَلقــاهُ إلَّا مُحارِبا

١٨ لَوِ اقتُسِمَتْ أَخلاقُه الغُرُّ لَمْ تَجِدْ
مَعِيباً ولا خَلْقاً مِن النَّاس عائبا[١]

١٩ إذا شِئْتَ أَنْتُحْصِى فَواضِلَ كَفِّــه
فكُنْ كاتباً أَو فاتَّخِذْ[٢] لك كاتبا

٢٠ عَطايا هِيَ الأَنْوَاءُ إلَّا عَلامَــةً
دَعَتْ تِلكَ أَنواءً وتلك[٣] مَواهِبا

٢٠ – [ع] بعضُ المتأدّبين يُنشِد هذا البيت « دُعَتْ » على معنى دُعِيَتْ ، يَذهبُ إلى أنها لُغةٌ طائيَّة ، وما يجب أن يكون الشاعرُ قال إلاَّ « دَعَتْ » بفتح الدّال ، ويكون « دَعَتْ » فى موضع وصف للعلامَة ، أى سَمَّتْ ، من قولهم دعوتُ الرجلَ بكذا إذا سمَّيتَه ، ودعوْتُه إذا نادَيْتَه . وأما إذا أنشد هذا البيتُ على « دُعَتْ » فى اللغة الطائية ، فإن النِّصْفَ الثانى يكونُ منقطعاً من النصف الأوّل ، على أنه بيان له ، ولا يكون متعلِّقاً بقوله « علامة » ، ولكن يكون الكلام قد تَمَّ ، ثم يؤتى بالنصف الثانى على معنى التفسير .

٢١ هوَ الغَيْثُ[٤] لَوْ أَفرَطْتُ فى الوَصْفِ عامِدًا
لِأَكْذِبَ فى مَدْحِيهِ ما كُنْتُ[٥] كاذِبا

---

(١) قال ابن المستوفى : هذا من قول العباس بن الأحنف :
لو قسم الله جزءاً من محاسنها فى الخلق طرًّا لتمَّ الحسن فى الناس
(٢) هـ س : ويروى « أو فالتمس » وقال الصولى : وهذا البيت لم يقع له جيداً .
(٣) س ، ل ، هـ ب : « وهذى » . (٤) هـ س : « فأقسم » .
(٥) م : « لم أك » .

٢٢ ثَوَى مالُهُ نَهْبَ المعالِي[١] فأَوْجَبَتْ
عليه زَكاةَ الجُودِ ما لَيْسَ واجِبا

٢٢ — « ثَوَى » أقامَ ، وجعَل ماله نهْبًا ليَكسِب به المعالى ، فهو يُوجب على نفسه بجوده من الحقوق ما لا يجب عليه ، حتى يصلَ بذلك إلى المعالى .

٢٣ تُحَسَّنُ فى عَيْنَيْهِ إن كُنْتَ[٢] زائرًا
وتَزْدَادُ حُسْناً كُلَّما جئْتَ طالِبا

٢٤ خَدِينُ العُلَى أَبْقَى لَهُ البَذْلُ والتُّقَى[٣]
عَوَاقِبَ مِنْ عُرْفٍ كَفَتْهُ العَواقِبا

٢٤ — [ق] « عَواقبَ من عُرْف » أى ثناءً وحمْدًا ، وذُخْرًا وأجرًا ، يَبقيان له آخرَ الدَّهر ، ويَكفيانه محذورَ العواقب .

٢٥ يَطُولُ استشاراتِ التَّجارِبِ رأيُــهُ
إذا ما ذَوُو الرأىِ استَشارُوا التَّجارِبا

[ع] إذا رويتَ « استشاراتِ » بكسر التاء ، فـ « تطول » مُتعدّية ، وهى من الطَّوْل ، أى يَفضُل استشاراتِ التجارب رأيُه ، إذا كان ذوُو الحزم مفتقرين إلى أن يقيسوا الأمور بالتجارب . وإذا روى « يَطول استشاراتُ » بضم التاء فـ « يَطول » ها هنا من طال الأمدُ ، وهو غيرُ متعدٍّ ، وتكون « التجارِبُ » هى التى تَستشير رأيَه إذا استشارها ذوو الحزم[٤] .

---

(١) هـ س ، هـ ب : ويروى « نصب المعالى » .

(٢) فى الأصول كلها : « إن جئت زائرا » وانفردت ش برواية « إن كنت » .

(٣) م ، هـ س : « والنهى » — وقال الصولى : ويروى « أبقى له الدين والندى » .

(٤) قال ابن المستوفى عقب كلام أبى العلاء هذا : الذى عليه المعنى رفع « استشارات » ونصب « رأيه » ، والمعنى إذا استشار أصحاب الحزم التجارب طالت استشارات التجارب رأيه ، أى امتدت — من الطول — ويعضده قوله : « إذا ما ذوو الحزم استشاروا التجاربا » ، لأن رأيه أحزم وأغنى عن استشارات التجارب وفى ظ قال الخارزنجى : يطول بفضل رأيه التجارب ويسبقها ، من قولك طاولنى فلان فطلته . وفى م : « تطول » — وفى هـ س : « يطيل » .

٢٦ بَرِئتُ مِنَ الآمالِ وهْيَ كَثيرَةٌ
لَدَيْكَ[١] وإنْ جاءَتْكَ حُدْباً لواغِبا

[ق] مَن رَوى بالضَّم فالمعنى : وكلتُ أمرَ آمالى إليك ، وخرجتُ من عُهدتِها ، على كثرتِها ورَثاثة حالى فيها ، كما يقول البائعُ للبَيِّع لما يتعاقدان عليه : بَرِئتُ إليك من كذا ، أى تملستُ حتى ليس لك أن ترجع علىّ بشىء منه . ومَن روَى بفتح التاء فالمعنى : قَضَيْتَ حقَّ كلِّ أمر نِيطَ بك ، على كثرته وسوء حال أربابه وتعبِهم ، كما يَبرأ الرجلُ من دَيْنه إذا قضاه[٢] * (ع) : « بَرِئتُ من الآمال » يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون بَرِئَ من آماله التى كان يأمُل عند الناس ، إلاّ أنّ أمَلَه متعلِّقٌ بهذا الممدوح ، ويُقوّى ذلك قوله « وهى كثيرةٌ » والآخر أن يريد : أنك بلَّغتنى الآمال ، فلم يبق لى أملٌ لم أبلغه عندك[٣] ، ويكون قوله « وهى كثيرةٌ » يعنى بها آمال الناس التى تعرض للمادح وللممدوح . وقوله « وإنْ جاءتك حدْبًا لواغِبا » : أصل الحُدْب اللواغب » أن يُستعمل فى النُّوق المهزولة المُعْيِيَة ، لأنهم يَصِفون المهزولَ من الإبل بالحَدَب ، قال الأنصارى :

وراحتْ حَدابيرَ حُدْبَ الظُّهو رِ مُجتلَمًا لَحْمُ أصلابِها

ويحتمل أن يكون قوله « جاءتْك حُدْبًا » يعنى به إبلاً ، وأضمر لدلالة المعنى على المراد ، وذلك كثير فى الشعر ولا سيما فى الخيل والإبل ، قال الشاعر :

أتتكَ كأنها عِقْبانُ دَجْنٍ تَجاوبُ عن حناجرها اليَراعُ

يعنى الخيل ، ويجوز أن يعنى بـ « الحُدْب اللواغِب » الآمال .

٢٧ وهَلْ كنتُ إلّا مُذْنِباً يومَ أنتحى
سواكَ بآمالٍ فأقبلتُ تائبا !؟

---

(١) ق : « إليك » .
(٢) ذكر الصولى فى شرحه الوجهين .
(٣) ب ، ن ، ظ : لم أبلغه عندك ولا عند غيرك .

١١

وقال يمدح عيَّاشَ بنَ لَهِيعَةَ الحَضْرَمِيَّ[١] :

١ تَقِي جَمَحاتِي لَسْتُ طَوْعَ مُؤَنِّبِي
وليس جَنِيبِي إنْ عَذَلْتِ بِمُصْحِبِي

الثانى من الطويل ، والقافية متدارك .

« تَقِي » : أمرٌ من تَقَاه يَتْقِيه مُخفَّفاً ، و « جَمَحاتِي » من جَمَحَ الفرسُ إذا عَزَّ فارسَه . وقوله « لستُ طَوْعَ مُؤَنِّبِي » : أى لست مُطِيعَه ، فجعَل مصدر « طَاع يَطوع » قائمًا مَقامَ اسم الفاعل ، كما يقال رجلٌ زَوْرٌ أى زائر . و « الجَنِيب » المَجْنُوب ، وهو هواه ونَفْسُه ، وإنما يَجنُبُهما غَيْرُه ، ولكنْ أضافَهُما إلى نفسه لِتَعلُّقهما به . يخاطب عاذِلتَه ، يقول : عَذْلُكِ لا يُجدى نَفْعًا[٢] . ويقال أصحب الرجلُ : إذا تابع وانقاد . والمعنى :

---

(١) قال الصولى فى كتابه أخبار أبى تمام ص ١٢١ : حدثنا عبد الله بن الحسين ، قال حدثنى البحترى ، قال : سمعت أبا تمام يقول : أول شعر قلته « تقى جمحاتى لست طوع مؤنبى » ومدحت بها عياش بن لهيعة ، فأعطانى خمسة آلاف درهم . وهذه الرواية على رأس القصيدة فى نسخة ل من شرح الصولى .

(٢) معظم كلام الخطيب التبريزى فى شرح هذا البيت من كلام المرزوقى كما جاء فى كتابه ، وقد نبه على ذلك ابن المستوفى ، فقال : الذى ذكره أبو زكريا كلام المرزوقى ووضع موضع « قلبه » نفسه ، فغيره بما لو نقله على وجهه كان أجود .

وقال الصولى فى شرحه : هذا مثل قول ذى الرمة :

لعمرك إنى يوم جرعاء مالك لشوق لمنقاد الجنيبة تابع

والمعنى يقول : جنيبى لا يتبعنى إذا قبلت عذلك . ويروويه الناس « حبيبى » وهو تصحيف .

وفى ظ نقد المرزوقى على كلام الصولى هذا . قال أبو على : إن بيت ذى الرمة معناه أنى تابع لشوق فى هذا اليوم ، منقاد النفس والقلب له ، غير متأب ولا ممتنع و « الجنيبة » فى الأصل : فعيل فى معنى مفعول ، لكنه ألحق به الهاء لينتقل من الصفات إلى الأسماء ، وجعله مثلا لقلبه ونفسه ، و بيت أبى تمام على العكس منه ، وذلك أنه توعد لائمته ، فقال : احذرى منعاتى عليك ، واتقى جمحاتى فيما تجذبيننى إليه ، وهذا القدر من البيت يلاحظه قول المتنبى :

كثيباً توقانى العواذل فى الهوى كما يتوقى ريِّض الخيل حازمه

اتّقينى فيما أتَصعَّبُ فيه ، فإنى لا أطاوِعُ المؤنّب إذا أنّب ، وليس قلبى بِمُنقادٍ لى إذا لُمْت [١] .

٢ فلَمْ تُوفدِى سُخْطاً إلَى مُتَنَصِّلٍ
ولَمْ تُنْزِلى عَتْباً بساحَةِ مُعْتِبِ

« تُوفِدى » من قولهم وَفَد عليه إذا وَرَد ، وأوفَده غيره . و « المُعْتِب » الذى يُزيل العَتْبَ فى هذا الموضع ، وهو يستعمل على وجهين : يقال أعتَبه إذا أزال عَتْبَه ، وأعْتَبه إذا أحوجه إلى أن يَعْتِب [ص] يقول : لست أتَنصَّلُ من سُخْطك ولا أعتِبُك .

٣ رَضِيتُ الهوى والشَّوْقَ خِدْناً وصاحِباً
فإن أنتِ [٢] لَمْ تَرْضَىْ بِذٰلكِ فاغْضَبى

٤ تُصَرِّفُ حالاتُ الفِرَاقِ مُصَرَّفِى
على صَعْبِ حَالاتِ الأَسَى ومُقَلَّبى

٥ ولِى بَدَنٌ يـأْوِى إذا الحُبُّ ضافَهُ
إلى كَبِدٍ حَرَّى وقَلْبٍ مُعَذَّبِ

٦ وخُوطِـيَّة شَمْسِيَّةٍ رَشَئِيَّـةٍ
مُهَفْهَفَةِ الأَعْلَى رَدَاحِ المُحَقَّبِ

٦ – « خُوطِيَّة » تُشْبِه الخُوط ، وهو الغُصْن ، و « شَمْسِيَّة » تُشْبِه الشمس ، و « رشَئِيَّة » تُشْبِه الرَّشَأ ، وهو ولَدُ الظَّبْى ، و « مُهَفْهَفَة الأعْلَى » يعنى أنها ضامِرَةُ البَطْن ، ولا يُوصَف بالمُهَفْهَف إلاّ الخَصْر

(١) من قوله « لا يجدى نفعا » إلى آخر الشرح لم يرد فى ش وأثبتناه من نسختى ب ، ن .
(٢) س : « فإن كنت » .

وما وَالاَه ، ولا يُوصَف الصَّدْرُ بذلك ، و « الرَّدَاح » الثَّقيلةُ العَجيزة ، و « المُحَقَّب » مَوْضع الحَقيبة ، وكُنِّى به عن العَجُز وإن لم تَكُنْ ثَمَّ حَقيبة ، لأنَّ الحَقيبةَ هى ما يَجْعله الراكبُ وَراءَه .

٧ تُصَدِّعُ شَمْلَ القَلْبِ مِن كلِّ وِجْهةٍ[1]
وتَشْعَبُهُ بالبَثِّ مِنْ كلِّ مَشْعَبِ

« تُصَدِّع شَمْلَ القَلْب » أى تُفَرِّقُه . وأصل « الصَّدْع » الشَّقّ ، و « تَشعَبُه بالبَثّ » أى تُفَرِّقه ، و « الشَّعْبُ » من الأضداد ، يقال شَعَبْتُه إذا فَرَّقتَه ، وشَعَبْتُه إذا لَأَمْتَه ، وفى الحديث : ما هَذِه الفُتْيا التى قد شَعَبَتِ النَّاس[2] ؟

٨ بِمُخْتَبِلٍ ساجٍ مِنَ الطَّرْفِ أَحْوَرٍ
ومُقْتَبَلٍ صافٍ مِنَ الثَّغْرِ أَشْنَبِ

[ع] يُختار فتح الباءِ من « مُخْتَبَل » ليكون موازيًا لفتحها فى « مُقْتَبَل » ويكون قد جعل فَتْحَ العَيْن من الاختبال . ولو كسرتَ الباءَ فى « مُقْتَبِل » لكان كسرها فى « مُخْتَبِل » واجبًا . والكسر أوجه من الفتح لو كانت الكلمة مفردةً ، لأن كون الفعلِ للظَّرْف فى هذا المكان أمكَن . وإذا رويتَ « مُقْتَبَل » فهو مِن التَّقْبيل ، وإن كسرتَ الباءَ فالأغلبُ عليه أن يكون من المُقابَلة ، والاقتبالُ مِن التَّقْبيل معدوم فى الشعر القديم[3] .

---

(١) س ، د : « بعد التمامه » .

(٢) جاء فى ظ : قال الآمدى : قوله « تصدع شمل القلب » و « تشعبه بالبث » معنى واحد ، ولولا قوله « بالبث » لصلح أن يكون « تشعبه » تضم أجزاءه وتلائم بينها ، لأن « شعبت » من الأضداد ، وكان المعنى حينئذ : تصدع شمل القلب أى تفرقه إذا شاءت ، وتشعبه أى تضمه وتجمعه إذا شاءت ، كما قال فى موضع آخر :

وعهدى بها تُحيى الهوى وتميته وتشعب أعشار القلوب وتصدع

أى تحيى الهوى بهجرها ، وتميته بوصلها .

(٣) وقال الآمدى فى ظ : وقوله « بمختبل ساج » أى يختل بنظر ، « ومقتبل صاف » يريد قتله الحب واقتتله الحب ، كأنه اعتمد ازدواج اللفظتين بقوله مختبل ومقتبل .

٩ مِنَ المُعْطَياتِ الحُسْنَ والمُؤْتَياتِه
مُجَلْبَبَةً أَوْ فاضِلاً لَمْ تُجَلْبَبِ (١)

[ع] إذا رُويتْ « فاضِلاً » فهو فاعل من الفُضُل ، يقال امرأةٌ فُضُل إذا كانت فى ثَوْبٍ واحِد ، وقد يقال ثوب فُضُل إذا لم يكن على اللابِس غيره ، فإنْ ثبت أنّه قال « فاضِلاً » وهو يريد « الفُضُل » فهى كلمةٌ لا تُعرَف فى كلام المتقدّمين ، وإنما المعروف تَفضَّلت المرأةُ إذا كانت فُضُلاً ، كما قال :

* لَدَى الخِدْرِ إلاّ لِبْسَةَ المُتَفَضِّلِ (٢) *

ولو رُويتْ « ناصلاً » (٣) لكان المعنى صحيحًا واللفظُ مستعملاً ، كأنّها نَصَلَتْ من اللّباس ، أى خَرَجَتْ منه .

١٠ لَوَ انَّ امْرَأَ القَيْسِ بنَ حُجْرٍ بَدَتْ لَهُ (٤)
لَمَا قال مُرَّا بى على أُم جُنْدُب

١١ فَتلكَ شُقُورِى لا ارْتِيادُكِ بالأَذَى
مَحَلِّىَ إلَّا تَبْكُرِى تَتَأَوَّبِى

١١ – [ع] قيل « شَقُور » واحِد وجَمْعُه شُقُور ، وهو من قولهم

= وقال الخارزنجى « مختتل » خديعة ، و « مقتبل » موضع القبلة . وفى الحاشية « مقتبل » حديث السن . وروى أبو زكريا « محتبل » بالحاء المهملة وكسر الباء من قولهم اصطاده بالحبالة .

(١) بعد هذا البيت جاء فى نسخة م بين السطور بيت كأنه من كلام أبى تمام وهو :
تريك هلالاً أو يقال لها اسفرى فتسفر شمساً أو يقال تنقبى
ورواه ابن المستوفى وقال : ولم أر هذا فى عدة نسخ .

(٢) بيت امرئ القيس فى معلقته :
فجئت وقد نضَت لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبسة المتفضل

(٣) قال ابن المستوفى هذه الرواية التى تكلفها أبو العلاء نافرة . وقال وقد رويت « مجلببة أو حاسرا » ، أو « عاطلا » .

(٤) : هـ م : « انبرت له » وقد ذكرها ابن المستوفى وقال : أى عرضت ، والأول أجود لعدم الضرورة ، وأراد : يصرف وصف أم جندب الذى وصفها به إلى هذه المرأة .

حدّثته شُقُورى أى ما أُخفيه وأكتمه، وربّما قالوا شَقُورى فى معنى حاجتى ، والبيت يحتمل وجهين ، قال الرّاجز :

* وكَثْرَةَ الحديث عن شَقُورِى[1] *

و « ارتيادُكِ » افتعال ، من رَاد الكلأ إذا ذهب ليراه ويعرف موضعه * و « تَتأوَّبى » تجيئى مع الليل ، يقال تأوَّبنا الطارِقُ والهمّ ونحوه إذا جاء بليلٍ . [ص] أى تلك حاجتى لاقصدُكِ إيّاىَ بالأذَى فى العَذْل .

١٢ أحاوَلتِ إرْشادى ؟ فَعَقْلِى مُرْشِدِى
أَمِ استَمْتِ تأْديبى ؟ فَدَهْرِى مُؤَدِّبى

١٣ هُمَا أَظْلَما حَالَىَّ ثُمَّتَ أَجلَيَا
ظَلامَيْهما عن وَجْهِ أَمْرَدَ أَشْيَبِ

أى أنا صَغِيرُ السِّن وقد شَيَّبَنى عقلى وَدَهْرى . (ع) جعل « أظلَمَ » هاهنا مُتعدّيا ، وذلك قليل فى الاستعمال ، وهو فى القياس جائز ، وهو على قياس من قال ظَلِمَ اللّيْلُ فى معنى أظلَم[2] ، فإن ادّعِىَ أنّ « أظلَم » هاهنا غيرُ مُتَعدّ ، وأنّ « حالىَّ » منصوبٌ كانتصاب الظرف ، فإن قوله « أجْلَيا ظَلامَيْهما » يَدْفَع ذلك ، لأنه عَدّى « أجلَيا » إلى الظَّلامَيْن .

---

(١) فى نوادر أبى زيد ص : ٨٢ قال العجاج :

وكثرة التحديث عن شقورى
مع الجلاء ولائح القتير

(٢) بعد أن أورد ابن المستوفى هذا الشرح لأبى العلاء قال : قال الجوهرى : ظلم الليل بالكسر وأظلم بمعنى ، عن الفراء ، وقولهم ما أظلمه وما أضوأه شاذ، فاستعماله « أظلما حالى » مع « ظلم الليل » صحيح الاستعمال قياسا ، وعلى « ما أظلمه » جائز شذوذاً ، وقوله « إن حالى منصوب كانتصاب الظرف » كلام غير مستقيم .

وقال : وفى بعض روايته « هما » بمعنى العقل والدهر ، و « أظلما » لازم ومتعد ، و « حالى » : الفقر والغنى . وقال : يجوز أن يريد بقوله « هما أظلما حالى » الإرشاد والتأديب ، لأن من يكون بهذه الصفة لا تستقيم حاله ، وإنما تستقيم حال من هو بضدهما . وثنى « حالى » على عادتهم فى تثنية بعض ما يخبرون عنه .

وقوله « عن وجْهِ أمْرَدَ أشْيَبَ » يعنى نفسَه ، وهو يحتمل معنيين : أحدهما أن يكون قد شاب فى حال المُرْدَة لعظَمِ مالاقاه من الشدائد ، والآخر أن يكون أراد أنه فتِىٌّ فى السِّن وهو فى العَقْل والرَّأى كأنه أشْيَب .

١٤ شَجًى فى حُلُوقِ الحادِثاتِ مُشَرِّقٍ
بِهِ عَزْمُهُ فى التُّرَّهاتِ مُغَرِّبِ

[ص] « شَجًى » فى موضع خفْض بَدَلٌ من « أشْيَب » . قال الآمدى : « شَجًى فى حُلُوق الحادثات » لصبره وجَلَده عليها ، وقلّة استكانته لها . « مُشرّق به عزْمُه » كأنه أخَذَه من قول المُنجِّمين شَرَّق النَّجْمُ إذا استقام . أى عزمُه مُشرّق به ، أى مُستقيم ، أى يَسْلُك نَهْجَ الاستقامة ، وهو فى التّرّهات مُغرّب . أى : أجدّ فى الأمور بصحّة رأيى وعزيمتى ، وألعَبُ لصباى وصغرِ سنّى[1] . (ع) : أصلُ الشَّجَى الغَصَص ، والتُّرّهاتُ الأمُور المُشْكِلَة ، وأصلُه فى الطُّرُق المُتشعّبة عن الطريق الأعظم ، ولم يستعملوا من التُّرهات فعْلاً فى معروف كلامهم .

١٥ كأنَّ لَهُ دَيْناً على كلِّ مَشْرِقٍ
من الأرْضِ أوْثاراً لَدَى كلِّ مَغْرِبِ

---

(١) قال ابن المستوفى : وفى الحاشية بخط يحيى بن محمد الأرزنى : الظاهر من الكلام أنه أراد بقوله « مشرق به عزمه » أى تارة يرى به عزمه مشرق الأرض وطورا مغربها ، و « الترهات » الفلوات التى لا شىء فيها ، ومنه قولهم الترهات البسابس ، يريدون القفار الخالية ، والدليل على أنه أراد هذا المعنى لا غير ، قوله بعد هذا البيت :

كأن له دينا على كل مشرقٍ من الأرض أوثاراً لدى كل مغرب

فالبيت الثانى تفسير للأول .

ثم قال : والذى ذكره الآمدى قول مثله من أرباب المعانى . أراد أنه غصة فى حلوق الحادثات ، وهذا إنما يكون غالباً لمن علت سنه وجرب ، مع أنه مشرق به عزمه فى الترهات ، وهى الطرق الصغار غير الجادة ، تتشعب عن الواحدة ، ثم استعير فى الباطل ، قاله الجوهرى . وأراد أبو تمام لذاته .

١٦ رَأَيتُ لِعَيَّاشٍ خَلائِقَ لَمْ تَكُنْ
لِتَكْمُلَ إِلَّا فى اللُّبابِ المُهَذَّب

١٧ لَهُ كَرَمٌ لَوْ كانَ فى الماءِ لَمْ يَغِضْ
وفى البَرْقِ ما شامَ امْرُؤٌ بَرْقَ خُلَّبِ

١٨ أَخُو أَزَمات بَذْلُه بَذْلُ مُحسِنٍ
إلينا ولكِنْ عُذْرُهُ عُذْرُ مُذْنِبِ

١٨ — « الأَزَمَات » الشّدائد . أى يقوم فيها ويَبْذُل المعروف ، كما يقال أخو الحرب لمن يُكثر الحُروب[1] .

١٩ إذا أَمَّهُ العافُونَ أَلفَوْا حِياضَهُ
مِلاءً وأَلفَوْا رَوْضَهُ غَيْرَ مُجْدِبِ

٢٠ إذاقالَ أَهْلاً مَرْحَباً نَبَعَتْ لَهُمْ
مِياهُ النَّدَى مِن تَحْتِ أَهْلٍ ومَرْحَبِ

٢١ يَهُولُكَ أَنْ تَلْقاهُ صَدْرًا لِمَحْفِلٍ
ونَحْرًا لأَعداءٍ وقَلْباً لِمَوْكِبِ

٢٢ مَصَادٌ تَلاقَتْ لُوَّذًا[2] بِرُيُودِهِ
قَبائِلُ حَيَّىْ حَضْرَمَوْتَ لِيَعْرُبِ[3]

« مَصَادٌ » أعلَى جبلٍ ، وجَمْعُه مُصْدان . و « الرُّيُود » جمع رَيْد ،

---

(١) قال الصولى فى شرحه : ويروى « عزمات » وقال : « أخو أزمات » لقيامه بها وبذله عرفه فيها ، كما يقال أخو حروب للذى تكثر محاربته . (٢) فى ظ : وروى الآمدى « رُودا بريوده » جمع رائد ، أى منتجع . (٣) د ، هـ ب : « ويعرب » .

وهو الحَرْفُ النَّاتِئُ فى الجَبَل . و « حَضْرَموت » قَبيلة من اليَمَن ، والمعروف بين العامّة أنّ حضرموتَ اسم بلد ، ويَجُوز أنْ يكونَ سُمّى باسم الرّجُل ، قال رؤبة .

* أحضرتَ أهْلَ حَضْرَمَوتِ مَوْتَا *

وقد اختُلف فى نسب حَضْرَمَوْت ، فذكر قومٌ أنّه ليس من ولد يَعْرُبَ إلا أنّ نسَبه يُقارِبه ، وقيل بل هو حضرموتُ بنُ يَشْجُبَ بن يَعْرُبَ أخو سَبَأ ابنِ يَشْجُب ، وكان اسمُه عبدَ النُّور ، فَنَزل بين يَدَىْ أخيه فى حَرب وقال : حَضَرَمَوْت ، فسُمّى بذلك . وبعضُ النحويين يَحكى أنّ من العرب من يقول حَضْرَمُوت ليجعلوا بناءَه كبناء عَضْرَفُوط وحَذْرَفوت .

٢٣ بأَرْوَعَ مَضَّاءٍ[1] على كلِّ أَرْوَعٍ
وأَغْلَبَ مِقْدَامٍ على كلِّ أَغْلَبِ

٢٤ كَلَوْذِهِمُ فِيما مَضَى مِنْ جُدُودِهِ
بِذِى العُرْفِ والإِحْمادِ[2] قَيْلٍ ومَرْحَبِ

(١) م : « بأروع مشّاء » وبهامشها رواية الأصل . وفى س : « بأروع مفضال » و « أغلب مضّاء » . وشرحه ابن المستوفى قال : قال الخارزنجى : أى على كل فرس أروع وأغلب ، رجل ماض أغلب . قال أبو العلاء : قالوا ناقة روعاء أى حديدة القلب ، ولم يقولوا جمل أروع . و « أغلب » غليظ العنق . و « رجل أروع » يفسرونه بأنه الذى يروعك بجماله ، ولم يقولوا امرأة روعاء . قال ابن المستوفى : قال الجوهرى : « الروعاء » من النوق الحديدة الفؤاد ، وكذلك الفرس ، ولا يوصف به المذكر ، والأروع من الرجال الذى يعجبك حسنه ، وامرأة روعاء بينة الروع .

(٢) س : « بذى العرف والأجداد قَيْل وأرحب » وجاء فى ظ : فى حاشية : أبو يحيى : أنا أروى « بذى العرف والإفضال » ، و « الإحماد » ههنا ليس بحسن عندى إلا أن يضاف « الإحماد » إلى غيره ، فيقال يحمده كل من يعاشره وبهذا بُعد . وفى نسخة « قيل ومرحب » . وقال ابن المستوفى : لم أر فى ديوان من دواوين شعره إلا « بذى العرف والاحماد » ، يقال أحمد الرجل : إذا أتى ما يحمد عليه ، وقوله « يحمده كل من يعاشره » مدحٌ له أيضاً ، فلا وجه لإنكاره . وقال : وفى نسخة « بكل طويل الباع أروع منجب » ، وفى نسخة « بذى العرف والإحماد منهم ومرحب » وهى أسماء جدوده .

٢٥ – بُدُورٌ[١] قُيُولٌ لَمْ تَزَلْ كلُّ حَلْبَةٍ
تمزّقُ مِنهمْ عن أَغَـرَّ مُجَبَّبِ

٢٥ – (ع) ويُروى « ذَوُونَ قَيُولٌ » وهو جمع قولك ذُو مَرْحَب ، وذُو جَدَن ، وذُو يَزَن ، وذلك فى حِمْيَرَ كثير ، وهم الأذْوَاء ، وقَلَّما يقولون الذَّوُون ، وإنما تَبِع الطائى فى ذلك الكُمَيت لأنه قال :

وما أعْنِى بذلك أسْفَلِيكُمْ ولكنِّى عَنَيْتُ به الذَّوِينَـا

و « الحَلْبَة » الجماعَةُ من الخَيْل تُدفَع فى الرِّهان . و « المُجبَّبُ » من الخَيْل الذى قد بَلَغ تَحجيلُه رُكبَتَيْه أو جاوَزَهما[٢] .

٢٦ هُمَامٌ كنَصْلِ السَّيْفِ كَيْفَ هَزَزْتَهُ
وَجَدْتَ المَنايا مِنْهُ فى كلِّ مَضْرِبِ

٢٧ تَرَكْتَ حُطاماً مَنكِبَ الدَّهْرِ إِذْ نَوَى
زِحَامِى لَمَّا أَنْ جَعَلْتُكَ مَنْكِبِى

٢٧ – « المَنْكِبُ » رَأْسُ الكَتِف . والمعنى لمَّا أنْ جَعلتُك رُكْنى ومَلْجَئى . ومن ذلك قيل لعَوْن العَرِيفِ مَنْكِب .

٢٨ وما ضِيقُ أَقْطارِ البِلادِ أَضافَنى
إليكَ ولكِنْ مَذْهَبِى فِيكَ مَذْهَبِى

يقول : لم يُلجِئْنى ضِيقُ البلادِ علىّ ، وكسَادُ بِضاعَتى عندَ الناس ،

---

(١) ظ : « ملوك قيول » ، ويروى « بدور قيول » .

(٢) رواية الصولى « محنّب » ، وقال « المحنب » أن تكون القوائم بيضاً إلى الركبة ، وقال : وروى الناس « عن أغر محبب » وهو خطأ .

وفى ظ : ويروى « محنب » بالحاء المهملة ، أى الذى فى يديه انحناء وفى صلبه توتير ، وقال أبو عبيد : المحنب البعيد ما بين الرجلين من غير فحج وهو مدح ، واستعار ذلك كله ، أى أنهم سباقون .

ولكنْ مَذْهبي ألاّ أسألَ إلا لكريم[١] .

٢٩ وأَنْتَ بِمِصْرٍ غايَتي وقَرابَتي
بِها وبَنُو الآباءِ[٢] فيها بَنُو أَبِي

٣٠ ولاغَرْوَ أَنْ وَطَّأْتَ أَكْنافَ مرْتَعِي
لِمُهْمَلِ أَخْفاضِي ورَفَّهْتَ مَشْرَبِي

٣٠ – [ع] « لا غَرْوَ » أيْ لا عَجَب ، و « الأَكْنَاف » النَّوَاحي ، و « المُهمَل » الذى قد أهْمِل فى المَرْعى ، و « أخفاضِي » جَمْعُ خَفَض ويَجِب أنْ يكونَ ها هنا الفَتِيِّ من الإبل ، كما قال رُؤْبَة :

* يا بنَ قُرُوم لَسْنَ بالأَخَفَاضِ *

وأصحاب اللغة يَذكرون الأخفاضَ فى الأضداد ، فيقولون : الأخفاضُ جمع خَفْض وهو مَتَاع البَيْت ، والخَفْض الجَمَلُ الذى يُحمَل عليه ذلك المَتَاع ، ولعلهم كانوا يحملون أمتعتَهم على البكارة من الإبل والأفْتَاء ، لأنهم يُودّعون القرُومَ ويُعدّون ما قَوِىَ من الجمال والنُّوق لِمَراكب النساء .

---

(١) وقال المرزوقى فى كتابه : لم يلجئنى ضيق البلاد على ، وكساد بضاعتى عند الناس ، لأن فى الأرض فسحة ، وفى أهل الفضل والإفضال كثرة ، ولكن قضاء حقك والقصد إليك ، والثناء عليك لفضلك وكرمك ، هو مذهب أعتقده ، ودين أتدين به ، وكأنه ألم فى هذا بقول الآخر :

وقولا لها ليس الضلال أجارنا ولكننا جرنا لنلقـاكم عمدا

وقد أتى أبو تمام فيما يقارب هذا بأحسن منه وهو :

إن قلبي لكم لكالكبد الحرى وقلـبي لغـيركم كالقلوب

ويجوز أن يكون المعنى : أنى لا أسأل إلا الكرام وأنت كريم . وقال الخارزنجى فى ظ : مذهبى فيك خلاف مذهبى فى غيرك فى الانبساط إليك والاختصاص بك .

(٢) س ، م ، ل ، د : « وبنو أبيك فيها » .

وشرحه فى ظ : قال الخارزنجى : يقول أنت غاية منائى بمصر وأنت قرابتى لأنى أمتّ إليك بحرمة الأدب ووسيلته وإن لم يكن بيننا قرابة النسب بها ، يعنى بمصر ، وإنما يخاطب الممدوح . وروى الصولى « وبنو أبيك فيها بنو أبى » .

وقال ابن المستوفى : فى طرة كتاب الخارزنجى يقول : أنت غايتى من بين قرابتى ومن بين إخوتك الذين هم أعمامى . وفى أثنائه : أنت غايتى بمصر مع قرابتى بها .

[ع] و« ورفَّهتَ مَشْرَبِى » أى جعلْتَه رِفْهًا ، والرِّفْهُ أنْ تَشْرَبَ الإبلُ متَى شاءَتْ .

٣١ فَقَوَّمْتَ لى مَا اعْوَجَّ مِنْ قَصْدِ هِمَّتى
وبَيَّضْتَ لى ما اسْوَدَّ منْ وَجْهِ مَطْلَبِى

٣٢ وهاتَا ثِيابُ المَدْحِ فاجْرُرْ ذُيُولها
عليكَ وهذا مَرْكَبُ الْحَمْدِ فاركَبِ

١٢

وقال يمدحُ أبا سَعيد محمدَ بنَ يوسُفَ الثَّغْرِى .

١ مِنْ سَجايَا الطُّلُولِ أَلاَّ تُجيبَا
فَصَوابٌ مِن مُقْلَةٍ[١] أَنْ تَصُوبَا

الأول من الخفيف والقافيةُ متواتر .

« تصوبُ » من صاب السحابُ إذا جاء بالمطر .

٢ فاسأَلَنْها واجعَلْ بُكَاكَ جَوَاباً
تَجِدِ[٢] الشَّوْقَ[٣] سَائِلاً ومُجيبَا

[ويُرْوَى « تخدع الشَّوق »[٤] يقول : هذا السؤال والجواب خديعةٌ للشَّوْق لا تجدى شيئًا ، ونَصَب « سائلاً » و « مجيبًا » على الحال][٥] ، أى لا تنتظر ما يكون من جوابها وابْكِ فإنها لا تُجيب ، لأن الشوق هو الذى يَحمِل على السُّؤال وعلى البُكاء[٦] .

---

(١) م ، ل ، س ، د : « من مقلتى » .

(٢) س ، د : « تخدم » ، ورواية الأصل بهامش س .

(٣) م : « تجد الدمع » .

(٤) رواها الصولى .

(٥) ما بين المعقفين لم يرد فى ش وأثبته من ب ، ن .

(٦) جاء فى ظ : قال الآمدى : وقد صحف الناس فى هذا البيت ، فرواه قوم « تخدم الشوق » ، ورواه آخرون « تحذم » بالحاء غير المعجمة ، ورواه قوم « تخدع الشوق » ، وذلك كله غلط ، وما قال الرجل إلا « تجد الشوق » لأنه قال "فاسألنها واجعل بكاك جواباً" ، لأنه قد علم أنها لا تجيب ، وأنه سيبكى ، فلذلك قال « تجد الشوق سائلا ومجيباً » لأن الشوق هو الذى حداه على السؤال وهو الذى أبكاه ، لأنها لو أجابت أجابت بما يبكيك ، أو لأنها لما تجب علمت أن من كان يجيب قد رحل عنها فأوجب ذلك بكاك .... وهذه فلسفة حسنة ومذهب من مذاهب أبى تمام ليس على مذاهب الشعراء ولا طريقتهم ، ومثله قوله :

تجرع أسى قد أقفر الجزع الفرد ... ودع حسى عين يحتلب ماءه الوجد
إذا انصرف المحزون قد فل صبره ... سؤال المغانى فالبكاء له رد =

٣ قَدْ عَهِدْنَا[١] الرُّسُومَ وهىَ عُكَاظٌ
لِلصِّبَى تَزْدَهِيكَ حُسْناً وطِيبَا

[ع] « وهى عُكاظ » أىْ وهى كثيرة الأهل يجتمع الناسُ إليها ، لأنّ عكاظ سُوقٌ للعرب كانوا يجتمعون فيه ويتَناشدون الأشعار ويتفاخرون ، وقيل إنما سُمِّى عُكاظَ لأنهم كانوا يتعاكظون فيه بالحُجج أى يعرُك بعضُهم بعضًا ، يقال عكظتُ الشىءَ أعكظُه عَكْظًا إذا غمزتَه غمزًا شديدًا أو عركته . وقد بيَّن الطائى غرضه فى زعمه أن الرسومَ عكاظٌ بقوله :

٤ أَكْثَرَ الأَرضِ[٢] زَائِرًا ومَزُورًا
وصَعُودًا مِن الهَوَى وصَبُوبَا

« الصَّعود » الأكَمَة يَشقّ الصعودُ فيها ، و« الصَّبوب » مثل الحَدور ، وأصل الصَّعودِ من صَعِد ، والصَّبوب مِن صَبَّ ، إلاّ أنهم صاروا يكْنون بالصُّعُود عما يشُقّ عليهم لأن الصَّعودَ أصعبُ مِن الانحدار[٣] .

٥ وكِعَاباً كأَنَّمَا أَلبَسَتْهَا غَفَلاتُ الشَّبَابِ بُرْدًا قَشِيبَا
٦ بَيَّنَ البَيْنُ فَقْدَها قَلَّمَا تَعْـ رِفُ فَقْدًا للشَّمْسِ حَتَّى تَغِيبَا
٧ لَعِبَ الشَّيْبُ بالمَفَارِقِ بلْ جَدَّ فأَبْكَى تُمَاضِرًا ولَعُوبَا

« تُماضر » و « لَعُوب » من أسماء النساء ، واشتقاقُ تُماضرَ من قولهم عَيْشٌ مَضِر ، أى حسن ناعم ، وأكثرُ ما يُستَعمل فى الإتباع ، يُقال خُذْه

= وقال الخارزنجى — وروى « تخدم الشوق » — : أى لا تنتظر ما سيكون من جوابها فإنها لا تجيب ، وتكون أنت فى حالتى السؤال والإجابة خادماً للشوق ، لأن الشوق يحمل على السؤال وعلى البكاء فأنت مطيع له تخدمه كيف أمرك . وقال : ويروى « تحدم الشوق » أى تهيج ، من الاحتذام . وقال ابن المستوفى : أراد أنه إذا سألها وجعل بكاء جوابها فقد ألهب الشوق فى حالتى سؤاله وإجابته .

(١) س : « قد شهدنا » وفوقها بين السطور « وعهدنا » — ل : « عهدت » ورويتها ظ .
(٢) ل ، ظ : « أكثر الناس » .
(٣) فى ظ قال الخارزنجى : أراد بالصعود الكؤود من الهوى ، وبالصبوب اللين المطاوع .

خَضِرًا مَضِرًا ، أى بحُسنه ونضارته ، وقد يجوز أن يكون « تُماضِر » من مَضَرَ اللبَنُ ، يقال لَبَنٌ ماضِرٌ أى حامض ، وقيل الماضرُ الأبيض . [ع] والأجود أن يكون « تُماضر » و « لعُوب » معرفتَيْن صرَفهما للضرورة ، ولو جعلهما نكرتين لم يبعُد ذلك ، إلاّ أنّ كونَهما معرفتين أحسن .

٨ خَضَبَتْ خَدَّهَا إلى لُؤلُؤ العِقْـ
ـدِ دمًا أَنْ رَأَتْ شَوَاتِى خَضِيبَا

٨ – « خَضَبَتْ » أى بالدمع الذى فيه الدَّمُ . و « الشَّواة » جلْدةُ الرأس ، ويقال للجلد كلُّه شواة ، لأنه يَعلو الجَسَد ، وكذلك قالوا فى قَوْل أبى ذُؤيب :

إذا هى قامَتْ تَقْشَعِرّ شَوَاتُها ويُشْرِقُ بين اللِّيْتِ منها إلى الصَّقْلِ (١)

ويُروى « سَراتى » أى أعْلاه ، والمعنى الذى أراد الطائى : أنه قد شاب فخضَب الشيْبَ . [ص] و « الشوَى » أيضا الأطراف ، « والشَّوى » إخطاءُ المقْتَل ، ومنه قولهم : كلّ مصيبة ما أخطأتك شوًى .

٩ كلُّ دَاءٍ يُرْجَى الدَّوَاءُ لَهُ إلا
(م) الفَظِيعَيْنِ (٢) : مِيتَةً ومَشِيبَا

١٠ يا نَسِيبَ الثَّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى
حَسَنَاتِى عِنْدَ الحِسَانِ (٣) ذُنُوبَا

[ص] « يا نَسِيبَ الثَّغام » يعنى أنّ الشيْبَ يُشبه الثغامَ فى البياض ،

---

(١) ديوان الهذليين ١ : ٣٥ .
(٢) م ، ل : « القطيعين » .
(٣) هـ م : « عند الغوانى » .

و « الثغام » نَبْتٌ أبيض (١) .

١١ ولَئِنْ عِبْنَ مَارَأَيْنَ لَقَدْ أَنْ كَرْنَ مُسْتَنْكَرًا وعِبْنَ مَعِيبَا

١٢ أَوتَصَدَّعْنَ عَنْ قِلًى لَكَفَى بالشَّـ ـيب بَيْنِى وبَيْنَهُنَّ حَسِيبَا

[ص] « تَصَدَّعْنَ » أى تفرقن عنى لِشيبى فكفى به كافياً ، يقال

---

(١) أورد ابن المستوفى الأبيات الأربعة : ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، وقال فى شرحها : قال الآمدى : ومما يسأل عنه من معانيه قوله (وأنشد الأبيات الأربعة) فيقال كيف يقول إنها بكت و إنها خضبت نحرها دماً ثم يقول إن حسناته صرن ذنوباً وإنهن عبن ما رأين ، وكيف تكون باكية على شبابه وعائبة له فى حال واحدة ؟ الجواب : أنها إنما بكت أسفاً على الشباب وهرباً من الشيب ، فقد تبكى الغانية إذا عرضت على الأشيب وتقول لا أريده ؛ وقد يجوز أن يكون أضرب عن هذه الباكية وعن معنى البيت الأول إلى حبائب أخر عبنه وزرين عليه ، وقد يجوز أن تكون الباكية عليه هى العائبة لأنها تبكى عليه فى حال وتضحك منه فى حال أخرى ، كما قال الوليد بن عبيد البحترى :

رأت طالعاً للشيب فابتسمت له وقالت : نجوم لوطلعن بأسعد

أراد أنها هزئت منه ، فالمعنيان صحيحان لا يتناقضان ، وقد قال أبو تمام فى موضع آخر :

يضحكن من أسف الشباب المدبر يبكين من ضحكات شيب مقمر

فقوله « يضحكن من أسف الشباب » فى غاية الرداءة لأنه غير معروف فى كلامهم الضحك من الأسف بل الضحك يكون منهن استهزاء وسخراً والبكاء قليل منهن فى مثل هذا ، وإنما يبكى على الشباب صاحبه ، فأما المرأة فليس عندها إلا الصدود والإعراض والمقت والانحراف ، هكذا طريقة القوم فى هذا المعنى ، فأما قول الأخطل :

لما رأت بدل الشباب بكت لـه إن المشيب لأرذل الأبـدال

فإنما أراد بكت للشباب وذهابه لا غير .

وقال ابن المستوفى بعد ذلك : وفى حاشية الكتاب الذى نقلته بخط يحيى بن محمد بن عبد الله الأرزنى : يجوز أن يكون أراد أنهن ضحكن من شدة الأسف والحزن ، وهذا قد يعترى من يهجم عليه أمر عظيم من الحزن فيضحك وهو على نهاية الحزن والهم ، كما قيل شر النوائب ما أضحك ، وإذا كان هذا سائغاً خرج أبو تمام من قبح ما نسبه إليه . ثم قال ابن المستوفى بعد هذا أيضاً : قوله « شر النوائب ما أضحك » هو من قوله :

ولما تولوا بأخراجهم وظلت بهم عيسهم ترتك

ضحكت من البين مستهزئاً وشر المصائب ما يضحك

وأورد بعد ذلك رد المرتضى أبى القاسم على بن الحسين بن موسى (الشريف المرتضى) على الآمدى ، قال فيه : وليس يحتاج لأبى تمام إلى ما تكلفه الآمدى ، بل المناقضة زائلة عنه على كل حال ، وأن كل من قد بكى شبابه وتلهف عليه من النساء هن اللواتى أنكرن شيبه وعبنه به ، وما المنكر من ذلك ؟ وكيف يتناقض أن يبكى على شبابه ونزول شيبه منهن من رأين الشيب ذنباً وعيباً منكراً ؟ وفى هذا غاية المطابقة ، لأنه لا يبكى للشيب ويجزع من حلوله وفراق الشباب إلا من رآه منكراً معيباً .

أحسَبَنى هذا الشيءُ أى كَفانى .

١٣ لَوْرَأَى اللهُ أَنَّ لِلشَّيْبِ فَضْلاً جاوَرَتْهُ الأَبْرَارُ فِى الخُلْدِ شِيبَا

١٤ كُلَّ يَوْمٍ تُبْدِى صُرُوفُ اللَّيَالِى خُلُقاً مِن أَبِى سَعِيدٍ رَغِيبَا[1]

١٥ طابَ فِيهِ المَدِيحُ والتَذَّ حَتَّى فاقَ وَصْفَ الدِّيارِ والتَّشْبِيبَا

١٥ – لأن أطيبَ الشعرِ ما كان تَشبيبًا ، وقد صار مدحُه ألذَّ وأطيب .

١٦ – لويُفَاجَا رُكْنُ النَّسِيبِ كَثِيرٌ بِمَعَانِيهِ خَالَهُنَّ نَسِيبَا

أصل « يُفاجَا » الهمزُ وتخفيفه جائزٌ على كلِّ مَذهب . (ع) ويجوز أن يُروَى « يُفاجا رُكنُ النَّسيب » على ما لم يُسمَّ فاعله ، ويكون « كثيرٌ » بدلاً من « الركن » ، لأنَّ الطائى قد حَكم لِكُثيِّر بالتقدّم فى النَّسيب . والهاءُ فى « مَعانيه » راجعةٌ على الممدوح . ويجوز أن يُروَى « يُفاجِى رُكنَ النسيب » على أن تجعل « رُكنَ النَّسيب » مفعولاً لِكُثيِّر ، ويكون المعنى : أنَّ كُثَيِّرًا لو فاجأ رُكنَ النَّسيبِ بمعانى هذا الممدوح لَخالهن ركنُ النَّسيبِ نسيبًا من حُسنهن[2] .

---

(١) م ، د : « عجيباً » .

(٢) قال الصولى فى شرحه : هذه القصيدة لما قرأتها على أبى مالك سألته عن هذا البيت ؟ فقال : أراد كثيراً فرده إلى أصل الاسم ولم يصغره ، قلت : وكيف خص كثيراً ؟ قال : سمعته يقول غير مرة : أمدح الناس زهير والأعشى ، ثم الأخطل وكثير . يقول : لو بلغ كثيراً هذا المديح على كثرة مدحه لخاله من حسنه نسيباً .

وقد أتى ابن المستوفى بكلام الصولى هذا فى كتابه وعقب عليه بقوله : إنما اعتمد على كثير من دون الثلاثة لأنه أحسنهم نسيباً ، وهو كذلك ، ولو أراد المدح لقال « زهير » ولم يتغير الوزن ، اللهم إلا أن يكون كثير أمدح الناس الثلاثة عنده أيضاً ، والعلماء يقدمون زهيراً فى المديح ، فيقولون : وزهير إذا رغب ، ومع الرغبة يجود المدح لأنه يوصل إلى المطلوب ، وتوصل الراغب مشهورة جودته ، وعلى أن أبا تمام وصف كثيراً بجودة النسيب فى قوله فى موضع آخر * وكثير عزة يوم بين ينسب * فيقول لو فاجأ هذا المديح كثيراً لخاله من رقته وجودته نسيباً ، ففضله عليهما فى طريقة النسب . وهو لعمر الله ألطفهما نسيباً لفظاً ومعنى ، ولولا ذلك لوقع موقعه « جرير » و « جميل » لكن كثيراً أحسنهما نسيباً .

١٧ غَرَّبَتْهُ العُلَى على كثرةِ النَّـــا
سِ[١] فَأَضْحَى فى الأَقْرَبينَ جَنِيبَا

[خ] يقول : جعلتِ العُلَى والمكارمُ هذا الممدوحَ غريبًا فى الناس فلا يُوجد له نظيرٌ فيهم .

١٨ فليَطُلْ عُمْرُهُ فَلَوْمَاتَ فى مَرْ وَ مُقِيماً بِهَا لَمَاتَ غَرِيبَا

تفسير لقوله « فأضْحَى فى الأقربينَ جَنِيبا » . [ص] خصّ مَرْوَ لأنه من أهلها ، وهو طائىٌّ كان من قوّاد حُمَيد الطُّوسى . يقول : فلومات بِمرْوَ وهى بَلَدُه لماتَ غريبًا ليس أحدٌ يُشابهه فى الجود .

١٩ سَبَقَ الدَّهْرَ بالتِّلادِ ولم يَنْ تَظِرِ النَّائِبَاتِ حَتَّى تَنُوبَا

[خ] أى لا ينتظر بمالِه نائباتِ الدّهرِ فيَبْذُلَه فيها إذا نابتَه ، ولكنه يسبِق النائباتِ فيه فيجود به عفوًا .

٢٠ فإِذَامَاالخُطُوبُ أَعفَتْهُ كَانَتْ رَاحَتَاهُ حَوَادِثاً وخُطُوبَا

[ص] يقول : الحوادثُ والخُطوبُ تَذهب بمالِه ، فإذا لم يكن خُطوبٌ وحوادث فراحتاه بتفريق مالِه من أعظم الحوادث والخطوب[٢] .

٢١ وصَلِيبُ القَنَاةِ والرأْيِ والإِسْ
لامِ ، سَائِلْ بِذَاكَ عَنْـهُ الصَّلِيبَا[٣]

---

(١) س ، م ، د : « الأهل » وبهامش م الرواية .

(٢) وقال ابن المستوفى فى الرد على الصولى : ناقض بقوله « الحوادث والخطوب تذهب بماله » قوله « سبق الدهر بالتلاد » البيت .

(٣) فى ظ قال الآمدى : قوله « صليب القناة » يريد رمحه وليس يريد صلبه وظهره ، ولو أراد ذلك ما كان مدحاً ، وصليب الرأى جائز سائغ ، « وصليب الإسلام » فيه قبح لأنه غير مستعمل ، ولكن المنسوق قد يحمل على معنى ما نسق عليه إذا كان مقارباً له كثيراً ، يقولون : فلان صلب فى دينه : أى قوى شديد ، أما إذا لم يستعمل مع لفظة « الإسلام » فنعم ، وفيه نظر ، وإن كان « الدين » هو « الإسلام » كما قال تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » .

٢٢ وَعَرَّ الدِّينَ بالجِلادِ وَلكِـ ـنَّ وُعُورَ العَدُوِّ صَارَتْ سُهُوبا

٢٢ – « الجِلادُ » المضاربة بالسيوف . [ع] وقوله « وَعَرَّ الدّينَ » أىْ جَعَلَه وَعْرًا على العَدُوّ ، ويَدُلّ على أنّه أراد ذلك قوله « ولكنّ وُعُورَ العَدوّ صارَتْ سُهوبًا » و « السَّهْبُ » المستوى من الأرض . ويَحتمل معنًى آخر : وهو أنه لما نُدِب إلى الجهاد وذُكِرَ أنه لا يَتمّ الدّينُ إلاّ به ، وَعَرَه على مَن يتدين به . أى جَعَلَه صَعْب المسلك ، لأن الجِلادَ يؤدّى إلى القتل .

٢٣ فَدُرُوبُ الإِشرَاكِ صَارتْ[1] فَضَاءً
وفَضَاءُ الإِسلَام يُدْعَى[2] دُرُوبَا

٢٤ قَدْ رَأَوْهُ وهُوَالقَرِيبُ بَعِيدًا ورَأَوْهُ وهُوَ البَعِيدُ قَرِيبَا

٢٤ – « بعيدًا » لأنهم لا يقدرون عليه لامتناعه ، و « قريبًا » لسهولته عليهم وتمكنهم منه[3] .

٢٥ سَكَّنَ[4] الكَيْدَ فِيهِمْ إِنَّ من أَعْـ
ظَمِ إِرْبٍ أَلاَّ يُسَمَّى[5] أَرِيبَا

[ع] « الكَيْد » المكر . أى مكر بهم مكرًا فى سكون ، وتسمّى الحرب كيدًا لأنها تكون بالخديعة والمكر . و « الإِرْب » الدّهاءُ والعقل . وبقية البيت شرحٌ لقوله « سَكَّنَ الكيد فيهم » : أى إذا كان الرجل يُظَنّ أنّه غير داهٍ

(١) م ، ل ، س ، د : « تدعى » . (٢) ظ « صار » .
(٣) فى ظ قال الخارزنجى : يقول إذا كان منهم قريباً لم يجترئوا على أن يتعرضوا للثغر البعيد منه ، علماً بأنه لا يستبعد ذلك ، فهم يرونه بعيد الغزوة وهو منهم قريب ، وإذا بعد لم يأمنوه ورأوه قريب الغزوة . وفى الحاشية من كتابه : التبست عليهم حالاته فى القرب منهم والبعد عنهم كيداً منه إياهم ، فبينا يظنونه بعيداً وهم له آمنون إذا هو قريب ، وبينا يظنونه قريباً إذا هو بعيد .
(٤) قال الصولى : ويروى « ساكن الكيد » .
(٥) ب ، ن ، د ، ظ : « يسمى » .

وهو بخلاف ما يُظنّ كان أبلَغ لفعله فى العدوّ * وكان يقال فى صدر الإسلام : إذا عُلِم أن الرجل داهٍ فليس بداه . ومن ذلك قولُ العامة فى الذين ينصبهم السلطان لرفع الأخبار إليه من حيث لا يعلم بهم الناس : إذا عُلم أنك صاحبُ خبر فلستَ بصاحبِ خبر .

٢٦ مَكْرُهُمْ عِنْدَهُ فَصِيحٌ وإِنْ هُمْ
خَاطَبُوا مَكْرَهُ رَأَوْهُ جَلِيبَا

[ع] عَنَى « بالجَلِيب » الأعجميَّ الذى يُجْلَبُ من بلده على معنى السَّبْي ، فلذلك استجاز أن يقابل به الفصيح[١] .

٢٧ ولَعَمْرُ القَنَا الشَّوَارِعِ تَمْرِى
مِنْ تِلاَعِ الطُّلَى[٢] نَجِيعاً صَبِيبَا

« الشَّوارعُ » المُنْحاةُ نحوَ الأقران ، و « تَمْرِى » تستخرج ، و « التِّلاع » ها هنا مستعارة ، وأهل اللغة يذكرون التَّلْعةَ فى الأضداد ، يقولون لأعْلَى الوادى تَلْعة ولأسفلِه تَلْعة ، ويُكنَى بذلك عن المرتفع والهابط من الأرض ، و « الطُّلَى » الأعناق .

٢٨ فى مَكَرٍّ للرَّوْعِ كُنْتَ أَكِيلاً
لِلمَنَايَا فِى ظِلِّهِ وشَرِيبَا[٣]

[ع] « الأكِيلُ » و « الشَّرِيبُ » هاهنا « فَعِيل » بمعنى « فاعل » ، كما تقول فلانٌ جليسُ فلان ومُجالِسُه وصديقُه ومُصادِقه . أى كنتَ مواكلاً

---

(١) قال الصولى فى شرحه : هذا مثل ، يقول مكرهم ظاهر عنده بين كبيان كلام الفصيح ، ومكره عندهم كالجليب الذى لا يفهم ولا يبين .

وشرحه الآمدى بمثل هذا فى ظ وقال : فجعل المكر يخاطب وجعله أعجمياً ، ودل على عجمته بالجلب ! وما أظن أبا العبر لو تعمل للسخف كان ينتهى إلى هذا الحد !

(٢) س ، ظ ، د : « الكلى » .

(٣) ظ : ويروى : « المنايا به وكنت شريبا » .

للمنايا ومُشاربًا * وعلى هذا يحمل قوله تعالى: « عن اليمين وعن الشمال قَعِيد » أى مُقاعِد .

٢٩ لَقَدِ انصَعْتَ والشِّتَاءُ لهوَجْـ ـهٌ يَرَاهُ الكُماةُ جَهْماً قَطُوبَا

« انصاعَ » أخذ فى شِقّ وهو « انفعل » من قولهم صاع الشىء إذا فرّقه . أى مضيْتَ إلى الرّوم فى وقت من الشّتاء شديدِ البرد .

٣٠ طَاعِناً مَنْحَرَ الشَّمَالِ مُتِيحاً لبلاَدِ العَدُوِّ مَوْتاً جَنُوبَا

[ع] يدل على أنه « مَنْحَر » بالحاء غيرَ معجمة قولُه « طاعنًا » ، والمعنى أنه يغزو بلاد العدوّ وهم فى ناحية الشمال فيجيئهم بموت من ناحية الجنوب . ولو رويتَ « مَنخِرَ الشَّمال » لكان ذلك وجهًا ، لأن المنخِرَ يجىء منه النَّفَس ، والرّيح تسمى نَفَسًا ويجعل لها أنفاس[1] .

٣١ فِى لَيَالٍ تَكَادُ تُبْقِى[2] بِخَدِّ الشَّمْـ ـسِ مِنْ رِيحها البَلِيلِ شُحوبَا

أكثر ما يفسّرون « البَلِيل » إذا كان من صفة الريح بالباردة ، والاشتقاقُ يدل على أن البَلِيل التى فيها شىء من المطر .

٣٢ سَبرَاتٍ إذا الحرُوبُ أُبِيحَتْ[3] هَـاجَ صِنَّبْرُها فَكانَتْ حُروبَا

[ع] « السَّبَرات » الغَدَواتُ الباردات ، الواحدة سَبْرَة . و « الصِّنَّبْر »

---

(١) قال ابن المستوفى فى الرد على أبى العلاء : لو أن أبا العلاء سكت عند قوله « ولو رويت منخر الشمال » لكان فيه بعض الأمر ، أما أن يعلله بما علله فلا يصح .
وقال الصولى خص الجنوب بنعت الموت ، أراد أنها تجىء بالمطر كما تسيل أنت الدم .

(٢) ن ، ب « تبدى » وبهامشهما رواية الأصل .

(٣) س : « إذا الحتوف أتيحت » وبهامشها رواية الأصل – ل ، د ، هـ م : « إذا الحروب أتيحت » .

واحدُ صَنابرِ الشتاء وهو شدة البرد ، و « أبيختْ » من باخَتِ النارُ تبوخ إذا سكنَ لهبُها . والمعنى : أنّ هذه الأوقاتَ إذا سكنَتْ فيها الحربُ الكائنةُ بينَ الإنس يَهيج صِنَّبرُها فتكون كالمحاربة لمن سلك فيها .

٣٣ فَضَرَبْتَ الشِّتَاءَ فِى أَخْدَعَيْهِ
ضَرْبَةً غَادَرَتْهُ عَوْدًا رَكُوبَا

« الأخْدَعان » عرقان فى العُنق ، يقال للرجل إذا كان أبيًّا صعباً إنه لشديد الأخْدَع ، وقد استقام أخدعُه ، قال الشاعر :

قد كنتُ أشْوَسَ فى المقامة سادرًا فنظرتُ قصدى واستقامَ الأخدَعُ[1]

٣٤ لَوْ أَصَخْنَا مِن بَعْدِها لَسَمِعْنَا
لِقُلُوبِ الأَيَّامِ مِنكَ وَجِيبَا

« من بعدها » أى من بعد الضَّرْبة ، أو هذه الحرب . و « الإصاخة » إمالة الأذُن للسَّمْع ، وقد حُكيتْ بالسين وهى رديئة . و « الوَجِيب » صوتُ حركة القلْب ، فرّقوا بين وَجَبَ القلبُ ووَجَبَ الحائطُ بالمصدر .

٣٥ كُلُّ حِصْنٍ مِن ذِى الكَلاعِ وأَكْشُو
ثَاءَ[2] أَطلقْتَ[3] فيه يَوْماً عَصِيبَا

[ع] « الكُلاَع » يُضم ويُفتح . و « ذو الكَلاع » ها هنا اسم حصن ،

---

(١) قال الصولى فى شرحه : يقول مضيت على هوله ولم تباله ، وضرب لذلك مثلا فقال « فضربت الشتاء فى أخدعيه » ، وغادرته أى تركته ، و « عَوْدا » . أى جملا مسناً حمل طويلا ، و « ركوباً » مذللا ، يريد فصيرت الشتاء سهلا .

وقال الخارزنجى فى ظ : يعنى ضربت الشتاء بعدد أعددتها له من الدفء حتى هان عليك ولم يصعب ، فصار ذلولا منقاداً لا يلتوى عليك .

وقال ابن المستوفى ، هذا من قبيح استعاراته وشنيع عباراته .

(٢) « وأكشوثاء » حصن ببلاد الروم .

(٣) م ، ل ، س ، ظ : « أطلعت » ورواية الأصل بهامش س .

وكأنه فى الأصل منسوب إلى رجل من ذى الكَلاَع ، لأن فى حِميرَ بُطونًا يُعْرفون بهذا الاسم ، وفى الإسلام رجل يقال له ذو الكَلاع وهو سُمَيْفَع بن ياكُور . ويقال يوم عصيب أى شديد، وكذلك عاصب، كأنه يُراد أنه يَعصِب القوم أى يجمعهم بعصاب كما تُعصَب الشجرةُ لتُخبَط . وكأن الطائىّ جاء بـ « عصيب » مع « أطلقْتَ » لأن الإطلاق عنده ضدّ العصْب ، ولأنهم يقولون عصبتُ الأسيرَ إذا شددته بالقَدّ أو غيره ، ويقال للأسير مُعَصَّب .

٣٦ وصَلِيلاً مِنَ السُّيوفِ مُرِنًّا وشِهَاباً مِنَ الحَرِيق ذَنُوبَا

أى أطلقتَ فيه يومًا عصيبًا ، وسيوفًا تَصِلّ – تقطع أعناقهم – ونارًا تُحرقُهم . [ع] « الصَّلِيل » صوت الحديد بعضِه على بعض ، وقوله : « ذَنوبًا » أى له ذَنَبٌ طويل ، ومَن روى « دَبوبًا[1] » فمعناه صحيح ، ولكنه تصحيف ، ويشهد لـ « ذَنُوب » بالذال قوله فى الأخرى :

* إذا بَدَا الكَوْكَبُ الغربىّ ذُو الذَّنَبِ *

٣٧ وأَرَادُوكَ بالبَيَاتِ ومَنْ هَـ ـذا يُرَادِى مُتالِعاً وعَسِيبَا ؟

[ص] « المُرَاداةُ » المُراماة . يقول : من أرادك بالبيات مع حزمك وتيقّظك فكأنه يُرامى هذين الجبلين * (ع) « البَيَاتُ » أن يغرّ القومَ العدوُّ فيطرقهم وهم بايتون . وقوله : «ومَن هذا يُرادِى» «هذا» هاهنا فى معنى «الذى» وهو كلام معروف وقد حكاه جماعة ، وعلى هذا قد حملوا قول يزيد بن مفرِّغ :

عَدَسْ ما لِعَبَّادٍ عليكِ إمارةٌ أمِنْتِ وهذا تحْمِلينَ طَلِيقُ[2]

أى الذى تحملين ، ومَن جعل « ذا » زائدة فى قوله : « ماذا فعلْت » لم يبعد أن يجعل « هذا » زائدة فى بيت الطائى . ولم يُرد إلا أن يجعل « هذا » فى معنى « الذى » . وقد يحتمل أن يجعل « مَنْ » مبتدأ على معنى الاستفهام ، و « هذا » خبرُه ، ويكون فى الكلام معنى الإنكار ، كما تقول إذا وقف بحذائك رجل فرُمِىَ بحجر : مَنْ هذا يُرمَى بالأحجار ؟ فيكون قولك « يُرْمَى » فى موضع نصب

(١) وهى رواية س ، د : وفى ظ : عن ابن الليث أى يدب ، وبخطه ويروى « رتوبا » أى راتبا ، وبخطه أيضاً ويروى « دؤوباً » . (٢) الأغانى ١٧ : ٦٠ .

على الحال . و « يُرادِى » يُرامِي ، وأصله الرمىُ بالحجارة ، ويقال للحجر العظيم مِرْداة ، ومن أمثالهم كلّ ضَبّ معه مِرْداته[١] .

٣٨ فَرَأَوْا قَشْعَمَ السِّيَاسَةِ قد ثَقَّـ
ـفَ مِنْ جُنْدِه القَنَا والقُلُوبَا

أصل « القَشْعم » المُسِنّ من النُّسور ، ثم استعير ذلك لغير النسر ، ويقال لربيعةَ بن نزار : ربيعةُ القشعم ، وقيل أرادوا أنه أقدم الربايع التى فى العرب ، وقيل بل كان أكبر إخوته سنًّا [ع] و « قشعم السياسة » يحتمل أن يكون معرفةً ونَكِرة ، فإذا كان معرفة فكأنه قال : فرأوْ شيخ السياسة وصاحبَ التجربة ، ويكون الممدوح هو الموصوف بالقشعم ، وإذا جعلت « قشعم السياسة » نكرة فعناه قشعمًا سياسته ، أى سياسته قديمة .

٣٩ حَيَّةُ اللَّيْلِ يُشْمِسُ الحَزْمُ مِنهُ[٢]
إنْ أَرَادَتْ[٣] شَمْسُ النَّهارِ الغُروبَا

[ع] يعنى أنه يسرى فى الظُّلَم ، وكثير من الحيّات يَرتقب الليل فتخرج فيه لابتلاع فراخ الطائر الذى تقرب منه ، تقول العرب حيَّة الوادى وحية الجبل ، فأما حية الليل فيجوز ألا يكون أحد استعملها قبل الطائى[٤] * معناه أنه يستعد لأعدائه فلا ينام ، وحزمه يضىء بالليل فيصير كاليوم الشَّامِس .

---

(١) مجمع الأمثال ٢ : ٥٢ .

(٢) ل : « فيه » ، وروتها ظ .

(٣) ل : « حين فاءت شمس النهار غروباً » . وقال الصولى و « فاءت » رجعت . ويروى : « إن أرادت شمس النهار الغروبا » : ولا معنى له لأنه لا بد من غروبها . وفى ظ : روى الآمدى « فاءت » ، وهى رواية الخارزنجى أيضاً .

(٤) قال ابن المستوفى : قوله « حية الليل » كلام صحيح لأن الحيات توصف بالكمون فى النهار وفى القمر ، وبالدبيب فى الظلمة ، قال خلف الأحمر :

* تنساب فى النحس وتعشى فى القمر *

— قال ابن دريد « النحس » الغبار فى أقطار السماء — فجعله أبو تمام حية الليل ليكون أدهى ، ثم قال « يشمس الحزم فيه » فجمع بين الشمس والليل وهذا غريب .

٤٠ لَوْ تَقَصَّوْا أَمْرَ الأَزَارِقِ خَالُوا
قَطَرِيًّا سَمَا لَهُمْ أَوْ شَبِيبَا

[ع] « لو تَقَصَّوْا » من قولك تَقَصَّيتُ عن الخبر إذا طلبت أقصاه لتعلم حقيقته . و « الأزارِق » من الخوارج الذين يُعرفون بالأزارقة ، نُسِبوا إلى نافع بن الأزْرَق . « وقَطَرِيّ بن الفُجاءة » التميمي من بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، تَفاقم أمرُه فى أيام الحجاج وبنى مرْوان حتى سُيِّرت إليه البعوث العظيمة . وشَبِيب ابن نُعيم بن مَزْيد الشيبانى رئيسُ الخوارج أيضًا . أى هذا الممدوح فى شدته ونجدته أحد هذين .

٤١ ثُمَّ وَجَّهْتَ فَارِسَ الأَزْدِ وَالأَوْ
حَدَ فى النُّصْحِ مَشْهَدًا ومَغِيبَا

٤٢ فَتَصَلَّى مُحمَّدُ بنُ مَعَاذٍ
جَمْرَةَ الحرْبِ وامتَرَى الشُّؤْبُوبَا

٤٢ — « محمد بن مُعاذ » هو فارس الأزْد الذى وجَّهه إليهم . و« الشُّؤبُوب» سحابة دقيقة العرض شديدة الوقع ثم استعير ذلك فى الحرب ، وليس فى كلامهم الشَّأْب لأن الشؤبوب يحتمل أن يُشتقّ من ثلاثة أشياء : من الشأب وهو مُماتٌ ، ومن شبَّ النارَ والحرب ، وتكون الهمزة زائدةً فيكون وزنه « فُؤْعُولاً » وهذا هو الوجه فيه ، زِيدتْ فيه الهمزةُ كما زِيدت فى « شَأْمَل » ، ويحتمل أن يكون فُعْلُولاً ، من شابَ يَشُوب أى خلط ، وهُمِزَت الواوُ لمجاورتها الضمَّة ، كما حكوا مُؤْسَى فى مُوسَى ، وأُخذ من الشَّوْب لأن غَيْمة ليس بالمُلْبِس جميعَ السماء فكأنه شابَ الصَّحْوَ بالغَيْم ، وقولهم شآبيب يَدُل على أن الهمزة قوية ، فإما أن تكون كهمزة شأمل ، وإما أن يكون إبدالها من الواو فصار كالأصل[1] .

---

(١) قال الصولى فى شرحه : « امترى » مسح الضرع للحلب ، فيريد أنه قتل المشركين فكأنه احتلب دماءهم بالرماح ، لأنه ذكرها فى البيت الثانى .

٤٣ بالعَوالِي يَهتِكْنَ عَنْ كُلِّ قَلْبٍ
صَـــدْرَهُ أَوْ حِجَـابَهُ المَحْجُوبَا

٤٤ طَلَبَتْ أَنْفُسَ الكُمَاةِ فَشَقَّتْ
مِن وَرَاءِ الجُيُوبِ مِنهُمْ[1] جُيُوبَا

٤٤ – أى طلبت هذه الرماحُ أنفسَ الكُمَاةِ فشقت جيُوب دُروعهم ، ونفذَت إلى القُلوب فقتلتهم وحَمَلت نِساءهم على شق جيُوبهن .

٤٥ غَزْوَةٌ مُتْبِعٌ ولَوْ كَانَ رَأْىٌ لَمْ تَفَرَّدْ بِهِ لَكَانَتْ سَلُوبَا

[ع] « المُتْبِع » التى يتبعها ولدُها ، وكأنه غزا ثم عقَّب ، فكانت التعقيبة للغزاة الكبرى كالولد التابع ، وكان ذلك الفعل من رأى الممدوح لم يُشارك فيه ، ولو كان شاور أصحابه لأشاروا عليه بأن لا يُعقِّب فكانت الغزاةُ سلوبًا لا ولدَ يَتبَعُها ، يقال ناقةٌ سَلُوب إذا سُلب منها ولَدُها بموت أو ذبح . ويجوز رفع « رأى » على أن يكون « كان » فى معنى وقع ، ونصبه على أن يكون فى « كان » ضمير[2] .

٤٦ يَوْمَ فَتْحٍ سَقَى أُسُودَ الضَّوَاحِى
كُثَبَ المَوْتِ رَائِباً وحَلِيبا

[ص] « كُثَب » جمع كُثْبَة وهو القليل من اللبن المجتَمع ، وكلُّ قليل مجتمع كُثْبَة ، ومنه الحديث : « يعمدُ أحدكم إلى المرأة المُغيبة فيخدعها بالكُثبة لا أونَى بأحد فَعل ذلك إلا نَكَّلْتُ به »[3] .

---

(١) ب : منها .

(٢) قال ابن المستوفى : النصب أجود لأنه إذا رفع جاز أن يقع رأى من غيره يتفرد هو بعمله ويحتاج إلى محذوف تقديره لو وقع رأى منك ، وأما إذا كانت ناقصة فيكون المعنى لو كان الذى رأيت رأياً لم تتفرد به ، فيكون الرأى منه والعمل له معاً . وهى رواية د .

(٣) امرأة مغيب ومغيبة ومغيب كمحسن غاب زوجها (قاموس) .

٤٧ فإذَا مَا الأَيَّامُ أَصْبَحْنَ خُرْساً
كُظَّماً فِى الفَخَارِ قَامَ خَطِيبَا

يقال للسَّاكت كاظمٌ وكَظُوم ، وكَظَمَ البعيرُ على جِرّته إذا أمسكها فى فيه ، وكَظَمَ غيظَه إذا سَكَتَ ، فكأنه خنقه ، ويقال أخذ بكَظَمِه أى مُخنَقِه .

٤٨ كَانَ دَاءَ الإِشْرَاكِ سَيْفُكَ واشـ
ـتَدَّتْ شَكَاةُ الهُدَى فكنْتَ طَبِيبَا

٤٩ أَنْضَرَتْ أَيْكَتِى عَطَايَاكَ حَتَّى
صَار سَاقاً عُودِى[1] وكانَ قَضِيبَا

٤٩ – أى جَعَلْتها نَضِيرةً ، و « النَّضارةُ » الخُضْرَة ، وأصْلُ « الأيكة » الشجرُ المُلتَفّ .

٥٠ مُمْطِرًا لى بِالجاهِ والمَالِ لاَ أَلـ
ـقَاكَ إلاَّ مُسْتَوْهِباً أَوْ وَهُوبَا

يقول : بَذَلْتَ لى المالَ والجاه ، فلا أراكَ إلاّ وأنت تَهَبُ لى وتَستوهِب غيرَك لى .

٥١ فإذا ما أَرَدْتُ كُنْتَ رِشَاءً وإذا ما أَرَدْتُ كُنْتَ قَلِيبَا

[ص] يقول : مرّةً تُعطِينى ومَرّةً تُعرّضنى لمن يُعطِينى .

٥٢ بَاسِطاً بالنَّدَى سَحَائِبَ كَفٍّ بِنَدَاهَا أَمْسَى حَبِيبٌ حَبِيبَا

[ع] : « حَبِيبٌ » الأوّل اسم الشاعر ، و « حَبِيبٌ » الثانى فى مَعْنَى

(١) س ، د : « صار عودى ساقاً » .

مَحبوب ، والمعنى أنك مَوّلتنى فأحبّنى النّاسُ لأنى صِرتُ أعطيهم مِن عَطاياك ، والغَنِىّ يُحَبّ لِوجْهين : إعطائِه النـــاسَ وكفّه المسألةَ عنهم ، قال أُحَيْحةُ بنُ الجُلاَح :

إنّى مُقيمٌ على الزَّوْراء أعمُرها إنّ الحبيبَ إلى الأهلينَ ذو المالِ (١)

وقال آخر :

كأنّ فقيرًا حينَ يَطْلُبُ حاجَةً إلى كلّ مَنْ يَلْقَى من النّاسِ مُذْنِب

ويَجوز أنْ يكون « حَبيبٌ » الثانى هو « حَبيبٌ » الأوّل كما تقول : بِك صار فلانٌ فُلانًا ، أى عُرِف واشتُهِرَ وصار له مَوْضع ، ويكون مِن نحو قولهم : أنتَ أنتَ وعَمْرٌو عمْرو .

٥٣ فإذا نِعْمَةُ امْرِئٍ فَرِكَتْهُ فاهتَصِرْها إليْكَ وَلْهى عَرُوبَا

[ع] فرِكَتْهُ مِن فِرْك النساء وهو بُغْضُهن لأزواجهن . وما أخرَج الفِرْكَ مِن الحيوان إلى غيره من الشعراء أحَدٌ قبلَ الطائى . وقولُه « فاهتَصِرْها » أى اعْطِفها إليك ، من قولهم هَصرتُ الغُصْن . و « وَلْهَى » أى أنها من شوقها إليك قد ذَهَب عَقْلُها . و « عَروبًا » أىْ مُتَحبّبةً إلى الزوج » . وقيل فى قوله « فاهتَصِرْها » فاجتَذِبْ نِعْمتَه إليك ، وقيل معناه إذا أبغَضَت امرءًا نِعْمتُه لأنه يَضَعُها فى غير مَوْضعها فاجتذِبْ إليكَ نِعْمتَك التى تُحبِك وتَجِدُ بكَ وَجْدَ العَروبِ لإلْفِها لأنك تَضَعُها فى مَوْضِعها ، وهو الوَجْه .

---

(١) الأغانى ١٣ : ١١٩ . والرواية فيه : « إن الكريم على الإخوان » .

وقال ابن المستوفى فى الرد على أبى العلاء فى قوله « والغنى يُحب لوجهين ... » . الغنى مطلقاً يحب ، لا لإعطائه الناس ، ولا لكفه السؤال عنهم ، بل لما فى الأنفس من الميل إلى الغنى والميل عن الفقير وإن لم يسألهم ، وهذا مشهور مذكور فى أبوابه ، وقد أوضح هذا المعنى الذى ذكرته أبو بكر محمد بن الحسن فقال :

عبيد ذى المال وإن لم يطمعوا من غمرة فى جرعة تشفى الصدى
وهم لمن أملق أعداء وإن شاركهم فيما أفاد وحوى

وقال آخر :

وكان بنو عمى يقولون مرحباً فلما رأونى مملقاً مات « مرحب »

٥٤ وإذَا الصُّنْعُ كانَ وَحْشاً فَمُلِّ
يتَ بِرَغْمِ الزَّمانِ صُنْعًا رَبِيبَا[1]

٥٥ وَبقَاءً حَتى يَفُوتَ أَبو يَع
قُوبَ فِى سِنِّهِ أَبَا يَعقُوبَا

٥٥ – [ع] « أبو يَعْقوب » وَلَدُ المَمْدُوح ، واسمُ الممدوح محمد بنُ يوسفَ ، واسمُ ولده يُوسُف باسم جدّه . فيجوز أن يعنى : حتى يعيشَ ولَدُكَ أكثرَ مما عاش أبوك ، وهذا أشبهُ ما يُقال فيه ، وقد ذَهَب قومٌ إلى أنه يَعنى بأبى يعقوبَ إسحاقَ بنَ إبراهيم أبا يعقوبَ النبىِّ صلَّى الله عليه وسلّم .

(١) شرحه فى ظ : كأنه أراد بذلك من قولهم رجل صنع اليدين إذا كان حاذقاً ماهراً ، وأنشدوا لأبى ذؤيب :

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تُبَّعُ

و « الصُّنع » مصدر صنع الله معروف ، أى إذا كان صنع الله عند قوم وحشاً ينفر منهم فلاك الله صنعاً مربوباً عندك ، يعنى كما يربّ الوالد ولده ، كأنه متتابع عندك .

١٣

وقال يَمْدحُه : [أبَا سعيد الثغرى] .

١ إنِّى أَتَتْنى مِنْ لَدُنْكَ صَحِيفة
غَلَبَتْ هُمومَ الصَّدْر[١] وهْىَ غَوَالِبُ

٢ وطَلَبْتَ وُدى والتَّنَائِفُ بَيْنَنَا
فَنَدَاكَ مَطْلُوبٌ ومَجْدُكَ طَالِب

« التنائف » جمعُ تَنُوفَة وهى القَفْرُ مِن الأرْض . ولم يَستعملوها إلاّ بالزّيادة ، ولم يقولوا التَّنْف .

٣ فَلَتَلقَيَنَّكَ[٢] حَيْثُ كنْتَ قَصَائِدٌ
فِيهَا لِأَهْلِ المَكْرُمَاتِ مَآرِبُ

٤ فكأَنَّما هِىَ فى السَّماعِ جَنَادلٌ
وكأَنَّما هىَ فى العُيون[٣] كَوَاكِبُ

٥ وغَرَائِبٌ تَأْتِيكَ إلاَّ أَنَّهَا
لِصَنِيعِكَ الحَسَنِ الجَمِيل أَقَارِبُ[٤]

---

(١) ظ ، د : « هموم النفس » .

(٢) ظ : ويروى « فلتلفينك » .

(٣) س : « فى القلوب » — د : « فى القلوب كواعب » . وفى ظ : ويروى « فى القلوب كواعب » ، ويروى « فى القلوب كواكب » .

(٤) س : « ترائب » — ظ : « قرائب » وبهامشها رواية الأصل .

٦ نِعَمٌ إذَا رُعِيتْ بشُكْرٍ[١] لم تَزَلْ
نِعَماً وإنْ لم تُرْعَ فهْىَ مَصَائبُ

٦ – قياسُ النَّحويين البَصْريين يُوجِب ألاّ تُهمز « المصايب » وأنْ يُقال « مصاوِب » بالواو ، لأنها مِن صَاب يَصُوب ، وقد حكى بعضُ العلماء « مَصَاوِب » و « مَصَايب » بالواو والياء . وقال قَوْم يُقال صاب السَّهمُ يَصيب ، وإذا أخِذ مِن ذلك جازَ أنْ يكونَ مِن قَوْلهم مَصايب بالياء ، ويكون مِن باب « مَعايش » ، إلاّ أنّ الكوفيين يُسهِّلون الهمزَ فى مِثْل هذا الموْضِع على التَّشبيه ويجعلون الأصلىَّ كالزائد ، ويُشَبِّهونه « بصَحَايِف » ، وقد قالوا مَزادة ومزَايد ، والمزادَة الغالِبُ عليها أنْ تكونَ مِن الزَّاد ، والزَّادُ مِن ذَوَاتِ الوَاو لِقوْلهم زَوَّدتُ الرجلَ ، وقالوا مِزْوَد لأنه يكون فيه الزّاد ، فإن كانت المزادةُ من الزَّاد فهى مِن ذَوَات الواو وقد جُمِعَتْ بالياء ، وقد يمكن أنْ يُدَّعى لها أنها مِن زاد يزيد ، كأنها زِيادةٌ على الزَّاد الذى يؤكل لأنَّ أكثرَ ما يُستَعمل الزَّادُ فى المأكول .

٧ كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فىّ وقد يُرَى[٢]
بنَدَاكَ وهْوَ إلىّ مِنها تَائِبُ

٨ وتَتَابَعَتْ أيَّامُــه وشُهورُهُ
عُصَباً يُغِرْنَ كأَنَّهُنَّ مَقَانِبُ

---

(١) د : « بشكرك » .

(٢) فى ظ : روى الصولى :

كثرت خطايا الدهر فىّ وإنما بنداك أضحى وهو منها تائب

وقال : والأول أجود . والذى عندى فى م ، ل من نسخ شرحه رواية الأصل .

٩ مِنْ نَكْبَةٍ مَحْفُوفَةٍ بِمُصِيبَةٍ
جُذَّ السَّنَامُ لَها وجُذَّ[1] الغَارِبُ

١٠ أَوْ لَوْعَةٍ مَنْتُوجَةٍ مِنْ فُرْقَةٍ
حَقَّ الدُّمُوعَ عَلَيَّ فِيهَا وَاجِبُ

١١ ووَلِهْتُ مُذْ زُمَّتْ رِكابُكَ للنَّوَى
فكأَنَّنِى مُذ غِبْتَ عَنِّى غَائبُ

---

(١) س : « وجُبَّ الغارب » – وقال الصولى « جذ » قطع و «جُذ» مثله ، و« جُبَّ » أيضاً وهو أصح . وفى ظ : وروى أبو العلاء : « وجب الغارب » – وقال ابن المستوفى : واستعمال « جب فى السنام أكثر من استعمال « جذ » ، وتعدّوه إلى الظهر فقال النابغة :

ونمسك بعده بسنام عيش أجبّ الظهر ليس له سنام

ولم يقولوا بعير أجذّ السنام .

١٤

وقال يمدحُ خالدَ بن يزيدَ بنَ مَزْيَدٍ الشيبانى :

١ لَقَدْ أَخَذَتْ مِن دَارِ مَاوِيَّةَ الْحُقَبُ
أَنُحْلُ المَغَانِى لِلْبِلَى هِىَ أَمْ نَهْبُ؟!

الأول من الطويل ، والقافية متواتر .

[ع] « ماويَّة » من أسماء النساء ، وإنما سُمّيت بالمرآة ، والماويَّة مأخوذة من الماء ، أى أنها ذاتُ حديد له ماء . و « الحُقْب » الدهر ، واختلفوا فى تفسيره ، فقالوا ثلاثون سنة ، وقالوا ثمانون ، وغير ذلك من الأقوال . والصَّحيح أن الحُقْب برهة طويلة لا حدَّ لها . وأنَّثَ على معنى البرهةِ والمدة ، لأن تذكيرَ الحُقْب غيرُ حقيقىّ ، وهذا أوجَه من أن يقال الحقب جمع حِقبة إذا أريد بها السَّنة ، لأن « فِعْلَة » قَلّما تجمع على « فُعْل » ، ولو قيل إن الحُقْب أراد بها الأزمان المتأخِّرَة ، شبَّه الواحدَ منها بحقيبة الرجل ، لأن شعره مَعدِنُ الاستعارة ، ثمّ جمعَ حقيبة على حُقُب ، مثل صحيفة ، وصُحُف ، لكان وَجْهًا . و « النُّحْل » العطيَّة . تقديرُه : أنحلٌ المغانى للبلى أم نَهْبٌ ؟ فحذف التنوين للضرورة * [ص] يقول : أصُيِّرتِ المغانى للبلى نُحْلاً أمْ نَهْبًا ؟

٢ وعَهْدِى بِهَا إِذْ نَاقِصُ العَهْدِ بَدْرُهَا
مُرَاحُ الهَوَى فِيها ومَسْرَحُهُ الخِصْبُ

(ق) يقول : عهدى بهذه الدارِ حين كان حَبيبى الناقضُ لعهدى فيها يُضيئها ويُنوّرها فكأنه بَدْرٌ لها ، وهى مَظِنَّةُ الهَوَى لأنها مأوى الحسان ومرتعه ، والمَرْتع الذى يغدو إليه ويَرُوح عنه ، يقال سرَحتُ الماشية وأرحتُها ، إذا أخرجتَها بالغداة إلى المَرْعى ورَددتَها بالعشيَّة . وقوله « ناقصُ العهد » مُبتدأ ، « وبدرُها » خَبَرُه ، وهما جملة أضيف « إذْ » إليها وشُرح بها ، و « إذْ » ظَرْفٌ لقوله « وعَهْدى » ، و « مُراح الهوى » مُبتَدَأ ، و « مَسْرَحُه »

عطف عليه ، و « الخِصْب » صفةٌ له ، و « فيها » خبرُ المُبتَدأ * ، وهذا معنى البيتِ لا ما ذَهَب إليه غيرُه(١).

٣ مُؤَزَّرَةً مِنْ صَنْعَةِ الوَبْلِ(٢) والنَّدَى
بِوَشْيٍ ولا وَشْيٌ ، وعصْب ولا عَصْبُ

[ع] أى لها إزارٌ من الروض وضُرُوبٌ من النَّبات ، وهو من صَنْعة الوَبْل

---

(١) يشير هنا الى الصولى الذى يقول فى شرحه : جمع هواى فى ليل ونهارى بدر هذه الدار الناقض العهد . صير لهواه مُراحاً ومسرحاً ، فالمراح ما يلقاه ليلا كقول النابغة :

* وصدر أراح الليل عازب همه *

ومسرحه ما كان نهاراً لأن السائمة تسرح بالنهار ، وقال « الخصب » أى هواه كثير ليس بالقليل .

وقد ذكر ابن المستوفى أن المرزوق أورد كلام الصولى هذا ثم قال : من تأمل هذا الكلام وتفكر فى إعراب البيت ولفظه بان له من تخليط هذا المفسر ما قضى العجب منه . والمعنى : عهدت هذه الدار حين بدرها ناقض العهد مراح الهوى ومسرحه الخصب فيها ، أى كانت الدار وهى مأهولة بسكانها مرتع الهوى الخصب فيها ، و « المسرح » و « المراح » الذى يقع فيه الفعل ، وهذا كما سماها فى موضع آخر ميدان الهوى فقال :

أميدان لهوى من أتاح لك البلى فأصبحت ميدان الصبا والجنائب

وفى طريقته قوله فى أخرى :

قد عهدت الرسوم وهى عكاظ للصبى تزدهيك حسناً وطيباً
أكثر الأرض زائراً ومزوراً وصعوداً من الهوى وصبوبا

فقوله (الصولى) « جمع هواى فى ليل ونهارى بدر هذه الدار » كلام لم يترتب على ما فى البيت ، وقوله فى « الخصب » : « أى هواه كثير » ذهاب عن الطريق وعدول عن الصواب .

وأورد ابن المستوفى كذلك نقداً للآمدى على هذا البيت ، قال : « البدر » ليس هذا موضعه ، وإنما يحسن ذكر البدر فى مثل هذا إذا كان فى الكلام ذكر لسماء أو نجوم أو ليل ، ولو قال « إذ ناقض العهد ريعها » ربما كان أشبه وأليق ، وقد قال البحترى مثل هذا ولكنه فيه أعذر من أبى تمام ، وذلك قوله :

ربع خلا من بدره مغناه ورعت به عين المها الأشباه

وأحسن من هذا وأجود لفظاً ومعنى قول البحترى :

وعهدى بها من قبل أن تحكم النوى على عينها ألا تدوم عهودها
بعيدة ما بين المحبين والجوى ومجموعة غيد الليالى وغيدها

وقوله « ومجموعة غيد الليالى وغيدها » لفظاً ومعنى ما لحسنهما نهاية . وإنما أخذ المعنى من قول أبى تمام :

كواعب زارت فى ليال قصيرة يخيلن لى من حسنهن كواعبا

وبيت البحترى أجود لفظاً وأحلى سبكاً .

(٢) هـ س : ويروى « من صنعة الطل » .

أى المطر الشديد الوقع[١].

٤ تَحَيَّر[٢] فى آرَامِها الحُسْنُ فاغتَدَتْ
قَرَارَةَ مَنْ يُصْبى ونُجْعَةَ مَنْ يَصْبُو

[ع] معنى « تَحيَّر » فى هذا الموضع أقام * (خ) وأراد بـ « آرامها » نساءَها ، أى فأصبحت مجمع المُصْبيات من النساء ، ونجعةَ الصابين من الفتيان وطُلاّبِ الغزَل .

٥ سَواكِنُ فى برٍّ كما سَكَنَ الدُّمَى
نَوافِرُ مِنْ سُوءٍ كما نَفَرَ السِرْبُ

يقول : هُنَّ سواكن عند البرّ والصلاح كسكون الدّمى والتصاوير ، لأنها لا تَتحرّك ، ونَوافِر من الرِّيبة كنُفور الظِّباء[٣]. قابلَ السّوءَ بالبِرّ ، والنَّوافرَ بالسَّواكن .

٦ كَوَاعِبُ أَتْرابٌ لِغَيْدَاءَ أَصْبحَتْ
وليسَ لَها فى الحُسْنِ شِكْلٌ ولا تِرْبُ

« أتْراب » أىّ فى السِّن والقَدْر ، وأصل « الغَيَدِ » النِّعمَةُ والتَّثنى ،

---

(١) قال ابن المستوفى فى الرد على كلام أبى العلاء : إذا أخذ « مؤزّرة » من قولهم تأزر النبت التف واشتد كان أولى ، ومنه قول الشاعر :

تأزر فيه النبت حتى تخايلت رباه وحتى ما ترى الشاء نوّما

أرض متخيلة ومتخايلة إذا بلغ نبتها الندى . قاله الجوهرى .

(٢) م : « تردد فى أترابها » وقال الصولى فى شرحه : ويروى « تحير » وهى « تردد » أيضاً ، وقول عمر بن أبى ربيعة :

وهى مكنونة تحير منها فى أديم الخدين ماء الشباب

فإنما يعنى أنه ترد د فى خدها تردداً غير متجاوز ، وقال ذو الرمة :

* والشمس حيرى لها بالجو تدويم *

ورواية د ، هـ ب : « تردد » ، وروتها ظ أيضاً .

(٣) قال المرزوقى :

ويريد به هذا المعنى فى بيت آخر :

* عواشق برٍّ تاركات التبرج *

يُقال عُنُق غَيْداء إذا كانتْ طَويلةً تميل ، ولذلك وُصفت الظِّباءُ بالغَيَد ، وقالوا نَبتٌ أغْيَد إذا كان مُتثَنِّياً ، وكذلك غادٍ أيضًا ، قال كُثيِّر :

وصَفْراءَ رُعْبوب كأنَّ وشاحَهـا على ناعم من غابِ دِجْلةَ غادِ

٧ لهَا مَنْظَرٌ قَيْدُ النَّواظِرِ لَمْ يَزَلْ
يَرُوحُ ويَغْدُو فى خُفَارَتِه الحُب

أىْ لا يُفارقُها الحبّ فكأنه فى خُفارَته وذمته (ع) : يقول : إذا نَظَر إليها الإنسانُ قَيَّدَ نظرَه فلم يَصرِفه إلى غيرها . و « قَيدُ النَّواظِر » ها هنا مُضافٌ على مَعنى الانفصال ، كأنه قال قَيدٌ للنواظر ، وهو كما يُقال قيدُ مائة ، أىْ إذا أُسِرَ فُدِى بمائة من الإبل ، قال الراعى :

وكانَ لها فى سالف الدّهرِ فارسٌ إذامارأى قَيْد المئـينَ يُعانِقُهْ

« وقَيد المئين » يُشابه الحَسَن الوَجْه فى أمر ويُخالفه فى آخر ، فأما المشابهة فمن قِبَل تأوّل التّنوين ، وأما المباينة فلأنه لا يجوز أن يقال مَرَرْتُ برجل قَيْد مِئَتُه كما يُقال حَسَن وَجْهه ، وبابُ « حَسَن الوجْه » كثير جدًّا ، وبابُ قَيْد المئين إنما يجىء فى أشياءَ مخصوصة[1] .

٨ يَظَلُّ سَرَاةُ القَوْمِ مَثْنَى ومَوْحَدًا
نَشَاوَى بعَيْنَيْها كأَنَّهُمُ شَرْبُ

[ع] « سَرَاة القَوْم » خِيارُهم وأماثلهم ، أخذ من سَرَاة الجبل والفرس

---

(١) قال الصولى فى شرحه : أول من نطق بهذا المعنى امرؤ القيس فى صفة الفرس ، فقال :

وقد أغتدى والطير فى وكناتهـا بمنجرد قيـد الأوابد هيكل

أى من ظفره بها ولحوقه إياها إذا رآها كأنه قيد لها ، فقال هذا « قيد النواظر » أى يقيد حسنها العيون ولا يتجاوزها ، وهو مثل قول الشاعر :

بهنافة تستعـير القوم أعينَهم حتى ترد على ذي النيقة البصرا

وقال ابن المستوفى فى كتابه : ومما وقع فيه ذكر القيد وقوعاً متمكناً ما أنشده الخالديان لأعرابى :

لا غـرو أنا معشرٌ حامـو الحقيقـة والذمارْ
نحمى الحـواصن إنهـا قيـد الكريم عن الفِـرارْ

وهى أعلاهما ، وهذا أوْجه من أنْ يُقال سراةٌ جمع سرىٍّ ، لأنَّ « فَعيلاً » لا يُجْمَع على « فَعَلَة » ، فيجبُ أنْ يُحمل على قَوْلهم ذؤابة قومه أى أعْلاهم ، شُبِّهوا بِذؤابةِ الرأس[1] . وصرَف « موْحَدًا » للضرورة ، وهو عند البصريّين لا ينصرف فى معرفةٍ ولا نكرَة . و « نَشاوَى » جمع نَشْوان ، مثلُ سَكْران وسَكارى ، ولا يمتنع أنْ يُقال نُشاوَى بضم النون ، والانتشاء أوّلُ السُّكْر ، « والشَّرْب » جمع « شارب » مثل ركب وراكب .

٩ إلى خَالِدٍ رَاحَتْ بِنَـا أَرْحَبِيَّةٌ
مَرَافِقُهَا مِن عَنْ كَرَاكِرِهَا نُكْبُ

« أرْحَبِيَّة » منسوبة إلى أرْحَب ، وهم قوم من هَمْدان يُنسب إليهم ضَرْب من الإبل نجائب . و « نُكْب » جمع أنكب أى مائل . [ص] ويُستحبّ أن تكون مرافق الإبل مفتولةً لئلا ينالها سَحْج ، فيقال بها حازٌّ وناكبٌ وضاغط ، فإذا عظم ذلك قيل بها ضَبٌّ[2] .

١٠ جَرَى النَّجَدُ الأَحْوَى عليها فأَصبَحتْ
مِنَ السَّيْرِ وُرْقاً وهى فى نَجْدِها صُهْبُ

« النَّجَدُ » العَرَق ، و « الأحْوَى » الأسود . يريد أن عَرَق الإبل يميل أو يضرب إلى السواد ، ولذلك شبّهوه بالقَطِران . و « الوُرْقُ » من صفات الإبل ، وأصلُ ذلك أن يكون اللون يشبه ورقَ الشجر ، وقد تُوصَف الوُرْق بالخضرة وبالسواد . و « الصُّهْب » من الإبل تُحسبُ من أكرمها ، و « الوُرْقُ » من

---

(١) قال ابن المستوفى فى هذا : قال الجوهرى : وجمع السرى سراة ، وهو جمع عزيز أن يجمع فعيل على فَعَلَة ، ولا يُعرف غيره . فمع ما ذكره الجوهرى يسقط تمحل أبى العلاء . وقال « السرو » سخاء فى مروءة ، وبيت أبى تمام يحمل على ذلك لأن من يكون بهذه الصفة يكون من الأماثل .

(٢) « الضب » داء فى مرفق البعير . و « الضاغط » انفتاق فى إبطه . وبعير سحّاج يسحج الأرض بخفه أى يقشرها . وإذا أصاب المرفق طرف كركرة البعير فقطعه وأدماه قيل به حاز ، فإن لم يدمه فاسح . (قاموس مادة حز) .

بِطائها ، ويزعمون أن لحمَ الوُرْقِ أطيبُ لحوم الإبل[١] .

١١ إلى مَلِكٍ لَوْلَا سِجَالُ[٢] نَوَالِهِ
لمَا كانَ للمَعْرُوفِ نِقْىٌ ولَا شُخْبُ

« النِّقْى » مُخّ السَّمين ، ويجوز أن يُسمَّى السَّمَن نِقْيًا . و « الشَّخْبُ » والشُّخْبُ صَوْت خروج اللبن من الضرع ، ويجوز أن يُسمَّى اللبن بعينه شُخْبًا[٣] .

١٢ مِن البِيضِ مَحْجُوبٌ عَن السُّوءِ والخَنَا
ولا تَحجُبُ الأَنواءَ مِن كَفِّهِ الحُجْبُ

١٣ مَصُونُ المَعالِي لا يَزيدُ أَذَالَهُ
ولَا مَزْيَدٌ ولا شَريكٌ ولاَ الصُّلْبُ

١٣ — « الصُّلْب » أحد أجداد الممدوح ، وقيل اسمه قَيْس ، ويقال بل عَمْرو[٤] .

١٤ ولا مُرَّتَا ذُهْل ولَا الحِصْنُ غَالَهُ
ولَا كَفَّ شَأْوَيْهِ عَلِىٌّ ولَا صَعْب[٥]

« مُرَّتا ذُهْل » تثنية مُرّة ، و « الحصن » يقال إنه لقب عُكابةَ بن

---

(١) قال الخارزنجى فى شرحه : يقول جرى عليها العرق الأحوى من التعب فصارت كأنها ورق ربد وهى فى نجارها صهب . وقال : ويروى « فى لونها صهب » ، وعكسه أبو عبد الله محمد بن يوسف النجرانى يصف الخيل :

فللـــه در السابقات ودهمها من النجد الجارى بأرفاغها نبط

وقال « الأرفاغ » المغابن ، وفرش « أنبط » له تحت إبطه بياض وفى بطنه .

(٢) قال الخارزنجى : ويروى « سجال يمينه » وهى رواية د .

(٣) وقال الخارزنجى فى شرحه : أى لولا جوده وعرفه لما كان للمعروف أثر فى الدنيا . والذى أراده لولا نواله لهلك المعروف ، لأن ما لا نقى فيه ولا شخب هالك .

(٤) فى ظ : « لا يزيد أذاله » أى لم يدخل عليه النقص فى شرفه ويروى « أذالها » وهى أحسن لفظاً ومعنى . يقول : معاليه مصونة لم يهنها أحد من ذوى قرابته ولا من ينتسب إليه .

(٥) م ، ل : « الصعب » .

صعب بن على بن بكر بن وائل ، وقيل لقب ابنه ثعلبة، ومنه قول المرقش الأكبر :

بأنّ بَنَى الحِصْن ساروا معًا بجيش كضوءِ نجومِ السَّحَرْ

و « شَأْوَيْه » تثنية شأو ، وأصل الشأو من شآه إذا سَبَقه ، ثم كَثُر حتى قالوا جَرَى شأوًا أى طلقًا ، وسموا الغاية شأوًا .

١٥ وأَشْبَاهُ بَكْرُ المجْدِ بَكْرُ بنُ وَائلٍ

وقَاسِطُ عَدْنَانٍ وأَنْجَبَهُ هِنْبُ

(ع) « أشْباهُ » أى كفاه ، ومنه قولُ ذى الإصْبع العَدْوانىّ :

وهم مَنَ وَلَدُوا أشْبَوْا بِسِرّ الحسَبِ المحضِ [١]

وقال ابنُ الزِّبَعْرى :

وذى الرّحمين أشبا كَ من القوّةِ والحزْمِ

وقال قوم : يقال أشْبَى الرجلُ إذا وُلد له أولادٌ أذكياء ، وهو مأخوذ من الشَّبا أى الحدّ ، وقد استعملوا أشبَى فى غير هذا المعنى ، قالوا أشبَى عليه إذا أشفق ، قال الرّاجز :

قد أتْعَبَتْنى والهوى ذو تعبِ
تُشْبِى علىّ والكريمُ يُشْبِى

و « قاسط عَدنان » يعنى جَدّ تغْلبَ وبَكْر ، لأنه يقال تغلب وبكر ابنا وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفْصَى ، و « هِنْب » مأخوذ من قولهم امرأة هَنْباء أى بلهاء وَرْهاء ، و « أفصى » يجوز أن يكون مُسمًّى بالفعل ، من قولهم أفصى عنك البردُ ، أى زال ، ويجوز أن يكون « أفصى » اسمًا مأخوذًا من الفضيةِ وهى الخروجُ من شىء إلى شىء ، وفى حديث الحُدَيْبِاء : « الفصيةَ لا يزال كعبُك عاليًا »[٢]، وفى حديث آخر يُؤمر فيه بتعهد القرآن وكثْرةِ درسه « فإن له تفَصِّيًا

---

(١) البيت فى اللسان مادة « شبا » ، والشعر والشعراء ص ٦٨٩ .

(٢) فى النهاية قالت الحديباء حين انتفجت الأرنب : الفصية ، والله لا يزال كعبك عالياً . أرادت بالفصية الخروج من الضيق إلى السعة ، أرادت أنها كانت فى مضيق وشدة من قبل بناتها فخرجت منه إلى السعة والرخاء . (وانظر اللسان مادة فصى) .

كتفصّى النَّعَمِ من عُقُلِها »[١].

١٦ مَضَوْا وهُمُ أَوْتَادُ نَجْدٍ وأَرْضِهَا
يُرَوْنَ عِظَاماً كُلَّمَا عَظُمَ الخَطْبُ

[ع] أىّ هم الذين يُثبِّتُونها وأهلَها كما يُثبَّت البيْتُ بالأوتاد ، ويجوز أن يعنى بالأوْتاد الجِبال .

١٧ وما كانَ بينَ الهَضْبِ فَرْقٌ وبينهمْ
سِوَى أَنهم زالوا ولَمْ يَزُلِ الهَضْبُ

يقال هَضْبٌ وهَضْبَة ، فيجوز أن يكونَ على مِثل قولهم تَمْرٌ وتَمْرة فيكون جمعًا لهضْبة ، ولا يَمتنع أنْ يكونَ مِن باب قولهم امرؤٌ وامرأة ، وتختلفُ العِبارَةُ مِن أهلِ اللغة فى الهَضْبة ، وهى مُتقاربة ، فيقول بعضهم الهَضْبة قِطْعة مُستَديرة فى أعْلى الجبل ، وقيل الهَضْبة جَبَل أحمر ، وقيل جَبَل مُنتَفَرِّش [ع] والمعنى : أنّ هؤلاء القَوْم كانوا مثلَ الجبال إلاّ أنهم زالوا والجبالُ ثابتة ، وهذا شبيه بقول الآخر :

أرَى الأثْلَ مَن بَطن العَقيق مُجاوِرِى مُقيمًا وقَدْ غالتْ يزيدَ غَوائلُه[٢]

١٨ لَهُمْ نَسَبٌ كالفَجْرِ مَا فِيهِ مَسْلَكٌ
خَفِيٌّ ولا وَاد عَنُودٌ ولاَ شِعْبُ

أصل « الوادِى » مِن قَوْلهم وَدَى إذا سالَ ، ثم أهملوا هذه الكلمةَ فلم يَستعمِلوها إلاّ فى وَدَى البائلُ ، ويختلفون فى العِبارة فيه ، فرّبما قالوا وَدَى إذا بال ، وقيل بل هو من الوَدْى الذى يستعمله الفُقَهاءُ ، وهو ما يَخرج بعد

---

(١) الذى فى النهاية « هو أشد تفصياً من قلوب الرجال من النعم من عُقُلها » أى أشد خروجاً .

(٢) البيت لزينب بنت الطثرية ترثى أخاها يزيد (الأغانى ٧ : ١٢٣) . وقال ابن المستوفى لا مشابهة بينهما .

البَول ، وقد صَحَّفوه فقالوا الوَذى . [ع] « وعَنُود » أى مخالِف مائل، والمعنى : أنّ نَسَب هؤلاء القَوْم واضِحٌ كالفَجْر ليس فيه اختلافٌ كما تختلف الأرض ، فيكون فيها المرْتَفع والمنْخَفض والشِّعْبُ والوادى .

١٩ هو[١] الإِضْحَيَانُ الطَّلْقُ رَفَّتْ[٢] فُرُوعُهُ
وطابَ الثَّرَى مِن تَحْتِهِ وزكا التُّرْب

[ص] لَيلة « أضْحيانَة » مُضيئة ، و « رَفَّ » الغُصْن إذا نَعُم نَبته وكثر[٣] . يُريد أنه مُضِيء بأفعاله، مُضىء بِنَسبه . وأصلُ إضحيان مِن أنّ الضَّاحِى المنكَشِف للشمس ، إلاّ أن المستعمل الضَّحوة بالواو لا غير ، وقد حكى ضَحيتُ للشمس وضَحَوتُ ، و « الطَّلْقُ » مِن قولهم لَيل طَلْق إذا لم يكن فيه حَرٌّ ولا قُرّ ، وكذلك يَوْم طَلْق .

٢٠ يَذُمُّ سَنِيدُ القَوْمِ ضِيقَ مَحَلِّهِ
على العِلْمِ منهُ أَنَّهُ الواسِعُ الرَّحْبُ

(ق) يجوز أن يكون أراد بـ « سَنِيد القوم » رئيسهم ومَن تُسند إليه أمورهم، ويكون المعنى : أنه إذا نظر رؤساء القوم إلى فِناء هذا الممدوح الرّحْب، ومحلِّه الواسع ، ورحْله المحتمل لكل مَن يقصده من الزوار والعُفاة ، صَغُر فى عيونهم مَحالّ أنفسهم ، وضاقت رِحالهم وأفنيتُهم عندهم ، حتى يذمُّوها ويشكوا ضيقَها على علم منهم بسعتها. ويجوز أن يكون أراد بـ «السَّنِيد» المُلْصَق الدَّعِىّ، فيكون المعنى : حاسِدُه الدَّعِىّ المُلْصَق يبلغ فى حسده الحدّ الذى يَستحسِن معه البَهْت والمُكابَرة ، حتى يجىء إلى مالا شَكّ فيه ولا لَبْس ، فيدّعيه على

---

(١) ش : « هم الإضحيان » .

(٢) ظ : « رقت » وقال : ويروى « رفت » بالفاء . أى اهتزت فروعه لنعمته وطراوته ، ولا يحسن أن يوصف النسب بهذا فيقال نسبه يهتز كأنه لا يثبت . والذى فسره الصولى أجود . ويظهر أن رواية الآمدى « رقت » لأنه جاء فى ظ : قال الآمدى : ويروى « رفت فروعه » من الرفيف أى لمعت بروقه من الندى والطل .

(٣) الذى فى شرح الصولى : « وكثر ريه » .

خلاف ما هو عليه ، كأنه أراد : لا يحسده إلاّ الدَّعِيّ ، فإذا حَسَدَه كان هكذا[١].

٢١ رَأَى شَرَفاً[٢] مِمَّن يُرِيدُ اختِلاَسه
بَعِيدَ المَدَى فيه على أَهْلِهِ قُرْبُ

[خ] يقول : رأى سَنِيدُ القوم شَرَفًا بعيداً ممن يُريد اختلاسه ، ولكن فيه على أهله قُرْب .

٢٢ فيَاوَشَلَ الدُّنْيا بِشَيْبَانَ لا تَغِضْ
ويا كَوْكَبَ الدُّنْيَا بِشَيْبَانَ لا تَخْبُ[٣]

(ع) : المعروف فى « الوَشَل » أنه الماء القليل ، وأصله من وَشَل يَشِل

---

(١) بعد قوله : « كان هكذا » جاء فى كتاب المرزوقى وفى ظ نقلا عنه : « والأول أحسن » .

(٢) فى ظ : ويروى « فياشرفاً » على معنى التعجب .

(٣) جاء فى ظ : قال المرزوقى : ولحنه بعضهم فى قوله ، وأنشد البيت بإثبات الواو فى « تخبو » وقال إنما هو « لا تحبُ » وإثبات الواو لحن . قال الشيخ رحمه الله (المرزوقى) : إن الشاعر أن يلحق ما كان من بنات الواو والياء مجزوماً إذا أطلقه فى قافية بما يكون فيه فى الرفع ، وأن يأتى عند الضرورة بالأفعال المعتلة اللام على أصولها ، فيقول « لم نغزو » و « لم نرى » و « لم نخشى » ، وهذا من الضرورات التى تقاس ، وعلى هذا قول الشاعر :

ألم يأتيك والأنبـاء تنمى بمـا لاقت لبون بنى زياد ؟

وقول الآخر :

* كأن لم ترى قبلى أسيراً يمانيا *

فى قول من جعل الكلام خبراً ، ألا ترى أنه أثبت الألف فى هذا كما أثبت الياء فيما قبله ، وكما أثبت أبو تمام الواو فى « لا تخبو » ؟ وهذه المواضع متساوية فى أنها للجزم ، فهذه طريقة . وكثير من أصحاب سيبويه يذهبون إلى أن المحذوف فى مثل هذا الكلام للجزم إنما هو حركة كانت فى النية ولم تظهر فى موضع الرفع استثقالا ، أو لأن الحرف لا يحتملها بعد انقلابه ، وذلك إذا قلت هو يغزو ويرمى ويخشى ، قالوا : المحذوف للجزم هو تلك الحركة ، وإنما حذفت هذه الحروف من بعد لتكون ألفاظ الفعل مجزومة أنقص منها وهى غير مجزومة ، وإذا كانت كذلك فإثبات الواو والياء والألف فى هذه الطريقة عند الجزم فى الكلام والشعر غير خارج إلى باب اللحن .

وعقب عليه ابن المستوفى بقوله : هذا الذى أطال القول فيه — رحمه الله — كلام ذكره النحويون فيما وقع من الأفعال المعتلة اللام مجزوماً على لفظ المرفوع ، فأما ما وقع من نحو ذلك فيما فيه القافية فقد=

إذا قَطَرَ، وإنما أراد أنهم حياة الدنيا ، أى ليس فيها جُودٌ إلاّ جودُهم ، فحسُنَ أن يستعمله فى موضع الكثرة إذْ ليس شىء يقوم مقامه ، أو يكون من نحو قولهم للماء القليل نُطفَة ، ثم قالوا فى بعض كلامهم ما بين النُّطفتين يعنون البحرين أو النَّهرين العظيمين ، ويُقال غاض الماء يغيض إذا ذهب فى الأرض .

٢٣ فما دَبَّ [(١)] إلَّا فى بيُوتِهِم النَّدَى
ولم تَرْبُ إلَّا فى حُجورِهِم [(٢)] الحَرْبُ

٢٤ أُولَاكَ بَنو الأَحسابِ لَوْلَا فَعَالُهُمْ
دَرَجْنَ فلمْ يُوجَدْ لِمَكْرُمَة عَقْبُ

٢٤ – « الأحسَاب » جمع حَسَب ، وهو مآثر الرجل ومآثر آبائه ، وقيل الحَسَب مَن يُحسَب من آباء الرجل الأشراف ، أى يُعَدّ ، وقوله « دَرَجْنَ » يعنى الأحساب ، يقال دَرَجتِ القبيلةُ إذا لم يبق لها ولدٌ ، وكذلك دَرَج الرجل .

٢٥ لَهُمْ يَوْمُ ذى قَار مَضَى وهْوَ مُفْرَدٌ
وَحِيدٌ مِن الأَشْبَاهِ [(٣)] لَيْسَ لَهُ صَحْبُ

[ص] لأن حَنْظلة بن سَيَّار العِجْلىَّ الرئيسَ فيهم * ، يعنى اليومَ

= تعرض للقول عليه أولا ولم يشبعه، وهذا النوع إذا وقع فيما فيه الروى فحكمه أن تلحقه مجزوماً حروف الوصل : الألف أو الياء أو الواو ، لإقامة الوزن ، فيعود إلى صورة ما كان عليه فى الرفع ، وهو كثير فى أشعارهم ، وتكون الحروف التى تلحقه للوصل غير الحروف التى بنى عليها فى الأصل ، و إذا كانوا قد أطلقوا الفعل المجزوم الصحيح فحركوه بالكسر لإقامة الوزن فى نحو قول امرئ القيس :

* يقولون لا تهلك أسى وتجمل *

فهم فى إشباع حروف الروىّ من الأفعال المعتلة لاماتها المجزومة حتى ينشأ منها أحرف تسمى وصلا أعذر .

(١) م : « فما رب » وبهامشها رواية الأصل .
(٢) ش : « بيوتهم » .
(٣) فى ظ : وروى « وحيد من الأيام » .

الذى ظَفِرت فيه بنو شيبان بجيوش كسرى ، وكان مع جُيُوشِه إياسُ بنُ قَبِيصَة واليه على الحِيرَة .

٢٦ بِهِ عَلِمتْ صُهْبُ الأَعاجِمِ أَنَّهُ[١]
بِهِ أَعربَتْ عن ذَاتِ أَنفُسِهَا العُرْبُ

أى به علمت الأعاجمُ ما كانت تنطوى لها عليه العرب من طلب الفرصة فى الوثوب عليهم .

٢٧ هو المَشْهَدُ الفَصْلُ الذى ما نَجا به
لِكِسْرَى بنِ كِسْرى لاسَنَامٌ ولاصُلْبُ

٢٨ أَقُولُ لِأَهْلِ الثَّغْرِ قَدْ رُئِبَ[٢] الثَّأَى
وأُسْبِغَتِ النَّعْمَاءُ والتَأَمَ الشَّعْبُ

٢٧ ــ أصلُ « الرَّأب » الإصلاح ، و « الثَّأى » الفَسَاد ، وأصلُ الثأى أن تَصِير الخُرْزَتان خُرْزَةً ، يُقال أثأى الخارزُ .

٢٩ فَسِيحُوا بِأَطْرَافِ الفَضَاءِ وأَرْتِعُوا[٣]
قَنَا خَالِدٍ مِن غيرِ دَرْبٍ لَكُمْ دَرْبُ

[ق] أى سيروا متفرقين بأطراف الفضاء ونواحيه ، وارعَوْا مواشيكم حيث شئتم . يعنى بـ « الدَّرْب » دُرُوب الرُّوم ، وهى جبال . يقول : اذهبوا فى الأرض

---

(١) فى ظ : وبروى « أنها » ، وقال رواه الخارزنجى . « والصُّهبة » الشقرة فى شعر الرأس ، وتوصف بها العجم لغلبة ذلك عليهم .

(٢) جاء فى ظ : روى الصولى « قد رأب الثأى » وقال الثأى فى موضع رفع كأنه هو الذى فعل ، وإنما قلت هذا لأن الثأى إذا كان بلا ضمير الخالد فى « رأب » ينصبه كان الكلام أحسن انتظاماً . ولم أجد كلام الصولى هذا فى نسختى م ، ل من س .

(٣) ظ : ويروى « وأربعوا » .

حيث شئتم ، فإنكم وإن لم يكن تُحيط بأرضكم جبالٌ تَدْفع عنكم ، [لكم] من رماح خالد كلّ حِصن حَصين .

٣٠ فَتًى عِندَهُ خَيْرُ الثَّوَابِ وشَرُّهُ
ومِنهُ الإِبَاءُ المِلْحُ[1] والكَرَمُ العَذْبُ

٣١ أَشَمُّ شَرِيكِيٌّ يَسِيرُ أَمَامَهُ
مَسِيرَةَ شَهْر فى كَتائبِهِ[2] الرُّعْبُ

٣١ – [ع] نسبه إلى شَرِيك ، وأثبت الياءَ كما يجب فى القياس ، ولم يحذفها حُذفت فى ثَقَفِىّ ، وإنما القياسُ أن تُحذف فى « فَعِيلة » وتَثْبُتَ فى « فَعِيل » .

٣٢ ولمَّا رَأَى تُوفِيلُ رَاياتِك التى
إِذَا ما اتلأَبَّتْ[3] لا يُقَاومُهَا الصُّلْبُ

« اتلأبَّتْ » تَتابَعَتْ هِزَّتُها . و « تُوفيل » اسمُ الوالى الذى قاتلَهم ، وهو طاغيةُ الروم . وأصلُ « اتلأبَّ » استقام ، واتلأبَّ الطريقُ استقام .

٣٣ تَوَلَّى ولَمْ يَأْلُ الرَّدَى فِى اتِّبَاعِهِ
كَأَنَّ الرَّدَى فِى قَصْدِه هائمٌ صَبُّ

٣٤ كَأَنَّ بِلادَ الرُّومِ عُمَّتْ بِصَيْحَةٍ
فَضَمَّتْ حَشَاهَا أَورَغَا وَسْطَهَا السَّقْبُ

[خ] « السَّقْب » يعنى به وَلدَ النَّاقة التى عَقَرها ثمود فصارت شؤماً عليهم * لَمَّا رَغا السَّقْبُ أهلَكَهم الله ، يقول : فكأنّ بلادَ الروم كذلك .

---

(١) جاء فى ظ : ويروى « الإباء المر » وقال الخارزنجى : يقول : عنده للمحسن ثواب جزيل وللمسىء عقاب أليم ، والإباء الامتناع . قال ابن المستوفى : جعل الجزاء على الإساءة ثواباً مجازاً ، وجعله من شر الثواب ، كما جعل الجزاء على الإحسان من خير الثواب .

(٢) س ، ظ ، د « فى صوائفة » . (٣) ظ : ويروى « إذا ما استقامت » .

٣٥ بِصَاغِرَةَ القُصْوَى[١] وطِمِّيْنَ واقْتَرَى
بِلادَ قَرَنْطَاوُوسَ[٢] وَابِلُكَ السَّكْبُ

ويُروَى « بصاغِرَةَ الوُسطَى »و« بلادَ قُريطاميس»ويروى «بصارِخَة»[٣] وهى موافقة للأسماء العربية ، لأنها تشبه صارخة من الصّراخ ، ويقال القُصْوَى والقُصْيَا . و « طِمِّيْن » على وزن « فِعْلَيْن » يوافق هذا البِناء من طَمَّ يَطِمّ إذا زاد . و « اقترَى » تَتبَّع .

٣٦ غَدَا خَائِفاً يَستَنْجِدُ الكُتْبَ مُذْعِناً[٤]
عليك فلا رُسْلٌ ثَنَتْكَ ولا كُتْبُ

أى يستعين عليك بإنفاذ الكتُب والرسُل .

٣٧ وما الأَسَدُ الضِّرْغَامُ يوماً بِعَاكِسٍ[٥]
صَرِيمَتَه إنْ أَنَّ أَو بَصْبَصَ الكَلْبُ

أصل « العَكْس » قلبُ الشيء . « صَرِيمته » ما يصرِمُه من عَزْمِه ، أى يَمضى عليه فلا يَرجع ، وأصلُ الصَّرْم القَطْع . ويُقال بَصْبَص الكلبُ بذنبه إذا حرّكه تَقَرّبًا إلى الإنسان ومُداراةً له . [ع] جعل الممدوح كالأسد وعدوّه مثل الكلب . يقول : ليس الأسدُ بتاركٍ صريمتَه إذا بَصْبص له الكلبُ بذنبه * على معنى المداراة .

---

(١) د : « الصغرى » .

(٢) هـ س : « وزمين » بدل قوله « وطمين » — ظ : ويروى « قرنطاميس » وقال : وفى نسخة الصول « قريطاووس » وهى بالياء أقرب لقوله « واقترى » — ويروى « والقرى » بدل « واقترى » .

(٣) فى ظ : ذكر أبو الطيب « صارخة » فقال :

مخل له المرج منصوباً بصارخة له المنابر مشهوراً بهـا الجمع

(٤) ظ : ويروى « ممعناً » .

(٥) ظ : ويروى « بعاطف » ، ويروى « بعاكم » .

٣٨ ومَرَّ ونَارُ الكَرْبِ[١] تَلفَحُ قَلْبَهُ[٢]
وما الرَّوْحُ إلَّا أَنْ يُخامِرَهُ[٣] الكَرْبُ

أصل « اللَّفْح » للأشياء الحارّة ، يُقال لَفَحتْه السَّمُوم والشمس ، وقال قوم النَّفْح للباردة واللفح للحارّة . والرَّوْح الفرَح ، و « يُخامرُه » يخالطه . والمعنى : وما الرَّوْح للمسلمين إلاّ أن يخامرَ هذا العدوَّ الكرْب ، فحذف لعلم السامع ، وفيه شبَه من قولهم السلامة إحدى الغنيمتيْن : أى هى للسالم غنيمة ، فأما عدوّه فهو خاسر بذلك .

٣٩ مَضَى مُدْبِرًا شَطْرَ الدَّبُو ونَفْسُهُ
على نَفسِهِ مِن سُوءِ ظَنٍّ بها إلْبُ

[ع] أى مَضى نحو مَهبِّ الدَّبُور يحسِب أنّ نفسَه رَصَدٌ على نفسه لا يأمنها من سوء ظنه * . ويقال هم ألْبٌ عليك أى قد تألّبوا ، وفتح الهمزةِ أكثر ، وقد حُكى كسرُها .

٤٠ جَفَا الشَّرْقَ حتَّى ظَنَّ مَن كانَ جاهِلًا
بدِينِ النَّصَارَى أَنَّ قِبْلَتَهُ الغَرْبُ[٤]

٤١ رَدَدتَ أَدِيمَ الغَزْوِ[٥] أَمْلَسَ بعدَما
غَدَا ولَيَالِيهِ وأَيَّامُهُ جُرْبُ

يُقال لظاهرِ كلِّ شيء أدَمَة على معنى الاستعارة ، و « أمْلَس » أى

(١) م ، ظ : « ونار الحرب » وبهامش رواية الأصل . وقال فى ظ : ورواية « الكرب » أحسن لأنها من باب التصدير .
(٢) قال الصولى : وروى الناس « تلفح وجهه » « وقلبه » أجود لقوله لا يخامره .
(٣) س : « يخالطه » وبهامشها رواية الأصل .
(٤) جاء فى ظ : فى النسخة العجمية : أى لالتفاته إلى خلف فى هزيمته .
(٥) ظ : « الدين » .

لا عيبَ فيه ، لأن الآثار فى الشىء والعُقَد ممّا يُعاب به ، ومنه قول العَجّاج :

وحاصن من حاصِنات مُلْسِ[1]
من الأذَى ومن قِرافِ الوَقْسِ

— « الوَقْس » ابتداء الجَرَب — وجعل المتلمِّسُ الخالىَ من العَيْب أملسَ ، فقال :

فلا تَقْبلَنْ ضَيْمًا مَخافةَ مِيتةٍ ومُوتَنْ بهَا حُرًّا وجِلْدُكَ أمْلَسُ

والمعنى الذى قصده الطائى كمعنى بيت العَجاج الذى تقدم . [ع] ومن شأن الأجربِ أن تبقَى فيه آثار ، ويتقَوّب جلدُه ، فلذلك ذكر الجَرَب مع أمْلَس . * : أى نَفَيْتَ كلّ ما لا بَسَه من الشَّرْك ، أى كأنه كان أجرَبَ فردَدْتَه أمْلَس .

٤٢ بِكُلِّ فَتًى ضَرْب يُعَرِّضُ لِلقَنَا
مُحيًّا مُحَلًّى[2] حَلْيُهُ الطَّعْنُ والضَّرْبُ

[ع] الأشبه بصناعة الطائى أن يكون « فتًى » مُنوَّنًا ، و « ضَرْب » من قولهم هو ضَرْب الجسم إذا كان خفيف اللحم ، ولو رويت « فتَى ضَرْبٍ » على الإضافة لكان وجهًا ، كما يقال هو فتى حَرْب ، والوجه الأوّل أجود * . و « مُحيًّا » أى وجه ، ويُسمّى الوجه مُحيًّا ، من حَيّيتُه إذا لَقيتَه بالتحية .

٤٣ كُمَاةٌ إذا تُدْعَى نَزَالِ لَدَى الوَغَى
رَأَيْتَهُمُ رَجْلَى[3] كأَنَّهُمُ رَكْبُ

[ع] أصل قولهم « دُعِيَتْ نَزَالِ » أنّهم كانوا إذا التَقَوْا فى الحرب

---

(١) الرجز فى اللسان مادة « وقس » .

(٢) فى ظ : وروى الخارزنجى «محياحيا» وقال أى وجه فتى محيا بالسلام، أى يعرّض للقنا وجهاً محيا بالسلام عليه ، أثر الطعن عليه والضرب فيه . وقال ابن المستوفى : وهذه الرواية أجود من تكرير قوله « محلى حليه » وإن كان فى قوله « محيا محيا تكريراً أيضاً إلا أن هذا أقرب . ويروى « محياه حتى حليه ». والذى فى س : « محيا محيا حليه » ورواية الأصل بهامشها .

(٣) س : « رجلا » ورويتها ظ وقال جمع راجل كصاحب وصحب — وأما « رجلى » مقصور كرواية الأصل فى جمع رجلان مثل عجلان وعجلى .

صاحوا : نَزَال أى انزلُوا ، فيجوز أن يريدوا بذلك نزولَهم إلى الأرض ليتحاربوا وهم رَجْل ، ويَدُلّ على ذلك قولُ الآخر :

لم يُطيقوا أن يَنْزِلُوا فنزَلْنا وأخو الحربِ من أطاقَ النُّزولا

ويحتمل أن يكون قولُهم « نَزَال » أى انزلوا على حُكمِنا وتَرجَّلوا عن ظهور خَيْلِكم مُستأسِرين[1] .

٤٤ مِن المطَرِّيِنَ الأُولَى لَيْس يَنْجَلِي
بِغَيْرِهِم للدَّهْرِ صَرْفٌ ولا لَزْبُ[2]

أى أحَدُ جُدودهم يُقال له مَطَر ، و « اللَّزْبَة » السنةُ الشديدة .

٤٥ وما اجتُلِيَتْ[3] بِكْرٌ مِن الحَرْبِ نَاهِدٌ
ولا ثَيِّبٌ إلا ومنهمْ لهَا خِطْبُ

[ع] « اجتُلِيَتْ » من جِلاء العَروس ، واستعَار البِكْرَ والناهِدَ والثَّيِّبَ للحرب ، و « النَّاهِد » التى قد نَهَد ثَدْيُها أى نَهَض ، وخِطْب المرأة الذى يَخطُبها ، يقال هو خِطْبُها وهى خِطْبُه . والمعنى أنهم يرغبون فى الحرب

---

(١) فى ظ زيادة من كلام أبى العلاء هى قوله : وقال زيد الخيل :

وقد علمت سلامة أن سيفى أخو حد إذا دعيتْ نزال

وقال : وقوله « رأيتهم رجل كأنهم ركب » يصف أنهم طوال ، والعرب تمدح بالطول ، ولذلك قالوا طويل النجاد .

قال ابن المستوفى : والوجه الثانى الذى ذكره هو الأول إلا أنه زاده « مستأسرين » وهذا لم يسمع ، وما استشهد به من قول زيد الخيل فلا دلالة فيه على الأسر .

وقال الخارزنجى : يقول إذا استنزلوا للقتال نزلوا فقاتلوا وهم رجل قتال الفرسان لخفتهم . وهذا الوجه أولى من الأول لموافقة قوله : «كأة إذا تدعى نزال لدى الوغى » . على أنهم قد ذكروا فى شرحه أنه أراد بذلك طولهم كما قال أبو العلاء . والذى خلص فى المدح بالطول قوله :

أشم طويل الساعدين كأنما عمامته بين الرجال لواء

(٢) م ، ل : « ولا كرب » .

(٣) فى ظ : روى الخارزنجى « ولا أخطبت » وقال أى عرضت للخطبة كما تقول أبعتُ الفرس إذا عرضته للبيع .

على جميع الصّفات ، إن كانت حربًا مبتدأةً لم يُقاتَل فيها ، وإن كانت على غير ذلك.

٤٦ جُعِلْتَ نِظَامَ المكْرُمَاتِ فلَم تَدَرْ
رَحَا سُودَدٍ إلَّا وأَنتَ لها قُطْبُ

٤٧ إذَا افتخرَتْ يَوْماً رَبِيعَةُ أَقبَلَتْ
مُجَنِّبَتَى[1] مَجْدٍ وأَنتَ لها قَلْبُ

[ع] يريد بـ « المُجَنَّبتين » مَيْمنة الجيش ومَيْسرته ، وبـ « القَلب » ما بينهما من العساكر ، وإنما خَصّ الممدوحَ بكونه القلب لأنّ شُجْعانَ القوم وعميدَ جَيْشهم يكون فى ذلك المَوْضع .

٤٨ يَجِفُّ الثَّرَى مِنها وتُرْبُكَ لَيِّنٌ
ويَنْبُو بِها مَاءُ الغَمَامِ وما تَنْبُو[2]

٤٩ بجُودِكَ تَبْيَضُّ الخُطُوبُ إذَا دَجَتْ
وتَرْجِعُ فِى أَلْوَانِهَا[3] الحِجَجُ الشُّهْبُ

٤٩ — [ع] يُكنَى عن شِدّة الزمان بالظلْم والدّجَى . يقول : بِجودكَ

---

(١) فى ظ : روى الخارزنجى « مجنبتا نجد » وقال وذلك جائز لأن ربيعة كان من منازلها نجد .

(٢) جاء فى ظ : فى بعض الحواشى بإزاء قوله « يجف الثرى منها » : أى يفنى جودهم إذا ماتوا وقال الخارزنجى : يقول إذا يبس ثرى ربيعة فأجدبوا وجدوا تربك ليناً ثرياً فأخصبوا به ورتعوا فيه ، وإذا أخلفهم ماء المزن لم تخلفهم . وقال الصولى : يجوز أن يكون الهاء فى « منها » للمكرمات ، والاختيار عندى أن تكون راجعة على ربيعة .

(٣) قال ابن المستوفى تعقيباً على كلام أبى العلاء : وما أورده من قوله : « وإذا رويت " فى ألوانها " فالأجود أن تكون الهاء راجعة على "الخطوب" ، ويكون المعنى ترجع الحجج الشهب فى ألوان البيض من الأيام » فغير مستقيم ، لأن سنى القحط إذا وصفت بالشدة قالوا سنة شهباء ، فإذا جعلوها بيضاء كان أبلغ فى وصفها بالشدة ، قال ابن الأعرابى الشهباء ليس فيها مطر ، ثم البيضاء ، ثم الحمراء ، والشهباء خير من البيضاء ، والحمراء شر من البيضاء .
=

يبيضّ الزمانُ المظلم . وإذا رويت « فى ألوانها » فالأجود أن تكون الهاء راجعة على « الخطوب » ويكون المعنى : وترجع الحِجَجُ الشهْبُ فى ألوانِ البيضِ من الأيام ، و « الحِجَج » السُّنون * وإنما سُميتِ السنةُ حِجةً لأنهم كانوا يَحجُّون البيتَ فى كلّ عام مرة ، فسمّوا السنة حِجة لأنّ الحَجَّ يكون فيها ، كما يقال أقمت عندَه هلالاً أى شهرًا فيسمى الشهرُ بالهلال. [ع] « والشُّهْب جمع الشَّهباء من السنين ، وهى السنة القليلةُ المطر والنَّبْت ، سُميت بذلك لأنها لا تَخضَرّ وتكون أرضُها إلى البياض . وقد يحتمل أن تكون الهاء راجعةً إلى الحِجَج على رواية مَن روى « فى ألوانها » أى أنها ابيَضَّت ، كما يقال رجَع فلان فى هِبته أى بَدا له من إمضائها . ومَن روى « عن ألوانها »[1] فالهاء للحجج لا غير * [ص] وروَى أبو مالك « وتَسوَدُّ من إدْرارِه الحِجَجُ الشُّهبُ »[2] يعنى بجودِ خالد تَسوَدّ السُّنون البيضُ من الجَدْب بالنباتِ الأسْوَد .

٥٠ هو المَرْكَبُ المُدْنِى إلى كُلِّ سُودَدٍ
وعَلْيَاءَ إلَّا أَنَّهُ المَرْكَبُ الصَّعْبُ

يقول : الجُود يقرّب مَن ركِبَه إلى العُلَى والسُّودد ، إلاّ أنه صعْب .

= وقال : وكذا قوله : « ويحتمل على رواية من روى " فى ألوانها " أن تكون الهاء راجعة إلى "الحجج" أى أنها ابيضت كما يقال رجع فلان فى هبته أى بدا له من إمضائها » فقوله « أى ابيضت » لا حاجة إليه . ويجوز أن تكون الهاء فى « ألوانها » راجعة إلى الخطوب، والمعنى: ترجع فى مثل ألوان الخطوب الداجية ، أى سوداً ، وإنما تكون كذلك إذا اخضرت من النبات ، وإذا كثرت الخضرة عبروا عنها بالسواد ؛ والهاء راجعة إلى « الحجج » على كل حال ، إن روى « فى ألوانها » وإن روى « عن ألوانها » .

(١) هى رواية س ، م ، ل ، و .

(٢) قال الصولى فى شرحه : ولم يعرف أبو مالك إلا هذه الرواية ، وروى قوم « الحجج الشهب » أى كل من جاد بحجة بيضاء صارت بحجتك سوداء إذا كنت خصماً له .

٥١ إِذَا سَبَبٌ أَمْسى كَهَاماً لَدَى امرئٍ
أَجابَ[١] رَجَائِى بِمِنْدَكَ السَّبَبُ العَضْبُ

أى إذا كلَّت الأسبابُ عند غيرك .

٥٢ وسَيَّارَةٍ[٢] فِى الأَرضِ ليسَ بِنازِحٍ
على وَخْدِهَا[٣] حَزْنٌ سَحِيقٌ وَلا سَهْبُ

[ص] يعنى قصيدةً من شَغَفِ النَّاس بها يحملونها إلى كل بلد ، فليس يَبْعُد على وَخْدِها ، وهو ضَرْب من السَّيْر ، حَزْنٌ من الأرض ، وهو الغليظ منها ، و « السَّحيق » البعيد ، و « السَّهْبُ » فضاءٌ واسع .

٥٣ تَذُرُّ ذُرُورَ الشَّمْسِ فى كُلِّ بَلْدَةٍ
وتَمْضِى جَمُوحاً[٤] مَا يُرَدُّ لَهَا غَرْبُ

[ص] أى تَطلُع على كل بلد وتبلغه كما تَطلُع الشمس فيه وتبلغه ، وطَلَعَ فلانٌ بَلَدَ كذا أى بَلَغَه ، وقيل فى قوله : « تَطَّلِعُ على الأفئدة » أى تبلغها . و « تَجْمَح » أى لا تَقِف بمكان لا يقدرُ أحدٌ أن يَرُدَّ غَرْبَها أى حَدَّها .

٥٤ عذَارَى قَوَافٍ كنتُ غَيْرَ مُدَافِعٍ
أَبَا عُذْرِهَا لا ظُلْمَ ذَاكَ ولا غَصْبُ

فى النُّسخ « كنتَ أبَا عُذْرِها » بفتح التاء، ويكون معناه أنك كنت كفوًّا لها .

---

(١) س : « أجار رجائى » — ظ : « أجاز » ، وقال إنها رواية الخارزنجى . وشرحه فيها : إذا كل سبب راح عند غيرك فلم يقطع فإن رجائى عندك يجيزه السبب القاطع ، والإجازة الضمان . وقال : ويروى « أجار » بالراء المهملة .

(٢) فى ظ : روى الخارزنجى « وسائرة » .

(٣) س : « على وفدها » ورواها الخارزنجى فى ظ .

(٤) فى ظ : من ضم الجيم فى « جموحاً » جعلها مصدراً فى موضع الحال ، ومن فتحها جعلها حالا .

[ع] : « كنتُ » بضم التاء ، يريد أن هذه القوافى مثل النساء العَذارى لم يَفترِعْهُنَّ غيرى ، يُقال للرجل إذا افتَضَّ المرأة هو أبو عُذْرِها وأبو عُذرَتِها ، وفى كلام لبعض المتقدّمين وسأل عن المطَر فجاءَ المسؤولُ بكلام لم تَجْرِ عادتُه بمثلِه فقال السائلُ : هذا كلامٌ لستَ بأبى عُذْرِه ، أى ليس هو من كلامِك .

٥٥ إِذَا أُنْشِدَتْ فى القَوْمِ ظَلَّتْ[1] كأَنَّهَا
مُسِرَّةُ كِبْرٍ أَو تَدَاخَلَهَا عُجْبُ

٥٦ مُفَصَّلَةٌ باللُّؤْلُؤِ المُنْتَقَى لهَا
من الشِّعْرِ إلا أَنَّهُ اللُّؤْلُؤُ[2] الرطْبُ

---

(١) هـ س : ويروى « مرت كأنها » وهى رواية الخارزنجى كما فى ظ ، وقال : أى إذا أنشدت فى القوم وجدوها قد أضمرت كبراً وتداخلها عجب لما رأوا فيها من جودة الألفاظ ومنتخل المعانى وذكر المفاخر والشرف والعز فاستطالت بذلك .

(٢) قال ابن المستوفى : وروى الصولى « لؤلؤ رطب » وقال ويروى : « اللؤلؤ الرطب » والأول أجود . والذى عندى فى نسخ الصولى « اللؤلؤ الرطب » .

وفى ظ قال : وقال الآمدى : ولم يرد المنتقى من الشعر ، وذلك عيب فاحش على الشاعر أن يعترف به ، وقوله : « إلا أنه لؤلؤ رطب » أى محدث من اختراعه لم يكن سبق إليه . وفى ظ أيضاً : جعله لؤلؤاً رطباً لكثرة مائه وصفائه فإن اللؤلؤ أول ما يخرج من أصدافه يكون أكثر بريقاً وماءً وأنفس .

١٥

وقال يمدح أبا دُلَف القاسمَ بن عيسَى العِجْلى :

١ على مِثْلِهـا مِن أَرْبُعٍ ومَلاعِبِ
أُذِيلَتْ مَصُونَاتُ الدُّمُوعِ السَّواكِبِ [١]

الثانى من الطويل ، والقافية مُتَدارِك .

« أذيلَتْ » أى أهِينَتْ[٢] .

٢ أَقُولُ لِقُرْحانٍ مِن البَيْنِ لم يُضِفْ
رَسِيسَ الهَوَى تَحْتَ الحَشا [٣] والتَّرائِبِ

ويُروى « لم يَصِفْ » . [ع] يُقَال رجلٌ قُرْحان إذا لم يُصبه مَرَض

---

(١) هـ س : « السوارب » .

(٢) لم يرد هذا الشرح فى ش وأثبتناه من نسختى ب ، ن .

وجاء فى ظ : قال الآمدى : أنكر بعضهم قوله : « مصونات الدموع السواكب » وقال كيف يكون من السواكب ما هو مصون ؟ وإنما أراد أبو تمام أذيلت مصونات الدموع التى هى الآن سواكب ، ولفظه يحتمل ما أراده ، والبيت جيد لفظاً ومعنى ونظماً .

وقال ابن المستوفى : وجدت فى حاشية من نسخ شعره عند قوله : « أذيلت مصونات الدموع السواكب » : « السواكب » : ليست صحيحة فى العربية ، إنما هو المسكوبات والمنسكبات ، فأما « السواكب » فالصواب ، وهذا من تخليطاته . فإن احتج محتج فقال « ساكبة » ذات انسكاب ، فإن هذا إنما يقال فيما قيل ولا يقاس عليه ما لم يسمع . قال أبو بكر محمد بن دريد : سكب الدمع وانسكب إذا جعلت الفعل له ، وسكبت العين دمعها ، فعلى هذا القول يكون « السواكب » جمع ساكبة من قولهم سكبت العين دمعها ، وقوله فأما « السواكب » فالصواب فجائز أن يحمل قول أبى تمام « السواكب » على أنه أراد الصواب ولا يفسد المعنى ، فإن اسم الفاعل أيضاً من سكبت العين دمعها ساكبة وجمعه سواكب وإن كان بمعنى صواب .

وقال ابن المستوفى عقب هذا : وأظن هذا القول من كلام الآمدى ، فإن عثرت عليه له أو لغيره نسبته فيما بعد . وقد جاء فى شعر العرب « السواكب » قال خداش بن زهير :

أعينى جودى بالدموع السواكب ... وبكى على قيس خليلى وصاحبى
على مثل قيس تخمش الأرض وجهها ... وتلقى السماء جلدها بالكواكب

(٣) م ، ل ، س ، ق ، د ، ظ « بين الحشا » — وقال ابن المستوفى : وروى أبو زكريا « تحت الحشا » والأول أشبه بطريق الطائى .

مِثلُ الجُدَرى والحصْبة[١] ومَذْهبُ بعضِهم أنه لا يُثنّى ولا يُجمعَ ولا يُؤنّث، ويَجرى مَجْرى قولِهم رجل زَوْر وفِطْر، وقال قَوْم بل يُثنّى قُرْحان ويُجمعَ[٢]، ومَن روى «لم يُضِف» بالضاد مُعجمةً فالمعنى لم يكن له مثل الضَّيْف، ومن روى «لم يَصِف» بالصَّاد فمعناه أنه لم يَدْرِ كيف هو فيَصِفَه *، ومِن هذا النحو قولُهم قد وَصَف الغلامُ البلوغَ، أى قد بَلَغ فقَدَر أن يَصِف ذلك، ويجوز أن يكون المعنى فى قولهم وَصَف البُلوغَ أنّ الرّائى إذا رآه عَلِم أنه قد بَلَغ.

وقوله[٣] «لقُرْحانٍ من البَيْن» أى لقومٍ لم يقاسوا من البين أى الفراق ما قاسيتُ منه.

٣ أَعِنّى أُفَرِّقْ شَمْلَ دَمْعى فإنّنى
أُرَى الشَّمْلَ مِنهُمْ لَيسَ بالمُتَقَارِبِ

٤ وما صارَ فى ذا اليَوْمِ عَذْلُكَ كلُّهُ
عَدُوِّىَ حَتّى صارَ جَهلُكَ صاحِبِى

٤ – ويروى:

وما زالَ يومَ[٤] الدارِ عَذْلُكَ كلُّه عدوىَ حتّى صارَ عُذْرُكَ[٥] صاحبى

---

(١) جاء فى ظ: قال الآمدى جعل أبو تمام من لم يعشق ولم يفارق الأحباب قرحاناً على التشبيه كما قال جرير:

* لو كنت من زفرات الحب قرحاناً *

وفسر الصولى «الرسيس» فقال: ورسيس الهوى ما بطن منه فاندرس كأنه رس، ورسيس أى دفين، وجاء فى ظ: وقالوا «رسيس الهوى» أى أوله من رسيس الحمى ورسها أى أولها.

(٢) زادت ظ بعد هذا من كلام أبى العلاء: «ويحتجون بالحديث المروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأراد أن يدخل الشام وهى تستعر طاعوناً فقيل له إن أصحاب محمد قرحانون لم يصبهم جدرى ولا طاعون». قال ابن المستوفى: الأكثرون مجمعون على إفراد «قرحان» تثنية وجمعاً وتأنيثاً، قال الجوهرى – وذكر حديث عمر رضى الله عنه –: هى لغة متروكة فجاء أبو زكريا بما يخالف الفريقين.

(٣) من هنا لآخر الشرح لم يرد فى نسخة ش وأثبتناه من نسختى ب، ن.

(٤) وهى رواية ق، د، ظ – وكذلك هى الرواية عند الآمدى. وجاء فى ظ: قال الصولى: ويروى «فما صار يوم الدار» وهو الاختيار.

(٥) هى رواية ق. وقال الصولى: ويروى «حتى صار حلمك صاحبى» وكله سواء.

(المرزوقى) : يقول : ما أفرطتَ فى تأنيبك لى وعَتْبك علىَّ حتَّى سؤْتَنى به فتصوّرتُه عدوًّا إلا وعِلْمى بأنك لا تَعرِف حالى ولا تَعرِف حقيقة ما بى يَعذِرك عندى ، إذْ لو لم تكن تجهل ذلك لم تكن تَستحسن المبالغةَ فى لَوْمى بل لا تَستجيزُ شيئًا منه(١).

٥ وما بِكَ إركابى مِن الرُّشْدِ مَرْكَباً
أَلَا إنَّما حَاوَلتَ رُشْدَ الرَّكائِبِ

(المرزوقى) : يُخاطب لائمَه فى الوُقُوف على الدار يقول: ليس بك فيما تتكلَّفه من لَوْمى هِدَايتى وصَرْفى عن غَيِّى إلى رشَادى ، وإنما شَقَّ عليك وقوفُ الإبل بأحمالها ، فَحمَلك الإشفاقُ عليها والجدُّ فى المَنْع من حَبْسها على الإسراف فى العَتْب وتغليظِ القول ، فأمَّا أن يكون بك صَلاحِى فلا . وردَّ قولَ مَن أنكر عليه « إركابى » وقال: إنما يُقَال حَمَلَه على الفَرَس وأركَبَه ، وأنَّ الرَّشادَ لا يُستعمَل فى البهائم كما أنَّ ضِدَّه وهو الغَىّ لا يُستَعْمل فيها .

٦ فَكِلْنِى إلى شَوْقى وسِرْ يَسِرِ الهَوَى
إلى حُرُقاتى بالدُّمُوعِ السَّوارِبِ

« السَّوارِب » السؤال ، يقال سَرَبَ الماءُ على وَجْه الأرض إذا سال ، ومنه سَرَب المالُ فى الرَّعْى إذا انبسط ، يقول : فَدعْنى وشوقى وسِرْ أنت حتى يَسِيرَ الهَوَى إلى قَلْبى فيَلْعَجه .

---

(١) قال الصولى : وسألت أبا مالك عن هذا المعنى ؟ فقال : مثل هذا فى الشعر كثير ، وكأنه من قول بشار :

هجرت محلى لشغلى بهم ولو قد عشقت لصاحبتنى

وقد ردد هذا المعنى فى شعره كثيراً . وقال الآمدى فى ظ : أى لما لم تساعدنى على الوقوف فأصحت إلى المسير معك صار جهلك صاحبى لأنا اصطحبنا ضرورة ، وقيل أراد حتى صار جهلك بالهوى صاحبى أى نافعى لأنك منعتنى من الوقوف على الدار فصار ذلك نافعى لأنه عاد بمصلحة على ركائبى ، إذ لم أعسفها بالتعريج على الدار والوقوف والتردد فيها ، يدل عليه قوله « وما بك إركابى » البيت . أى ما استفرغت عذلك وانتهيت فيه حتى انطلقت معك فصار جهلك صاحبى ، وإنما أراد حتى اصطحبنا على جهلك بحالى وأنك غير مجانسى ولا على سجيتى وطباعى فى الهوى وتجربته .

٧ أَمَيْدانَ لَهْوِى مَنْ أَتاحَ لَكَ البِلَى [١]
فأَصبَحْتَ مَيْدانَ الصَّبا والجَنائِبِ؟!

٨ أَصابَتْكَ أَبْكارُ الخُطوب فَشَتَّتَتْ
هَوَايَ [٢] بأَبْكَار الظِّباءِ الكَوَاعِبِ

٨ – « أبكارُ الخُطُوب » التى لم يُصَبْ بها أحدٌ قبلَه [٣].

٩ ورَكْبٍ يُساقُونَ الرِّكابَ زُجاجَةً
مِن السَّيْرِ لم تَقصِدْ لها كَفُّ قاطِبِ

٩ – [ص] أى يُسكرون المطىَّ بالتَّعَب فكأنّهم سَقَوْها زجاجةً ، أى شرابًا فى زجاجة ، « وقاطِب » أى مازج ، أى ليست هى على الحقيقة زجاجةً فيها شَرَابٌ يُنَاولها السَّاقى صاحبَه بِقَصْد [٤].

١٠ فقد أَكَلُوا مِنها الغَوارِبَ بالسُّرَى
فصارَتْ لها أَشباحُهُمْ كالغَوارِبِ

« الأشباح » جمع شَبْح وشَبَح ، وكأنّ الشَّبَح الشّخصُ إذا رُئِىَ مِن بعيد . يقول : أتعبوها حتى ذَابَت أسنِمَتُها ، وصاروا لها كالأسْنِمَة فوقَها . ويروى « فصارت لهم أشباحُها كالغوارِبِ » (ق) والمعنى : أنهم قد فرغوا مِن إفناء أسنِمتها إذ كان الفَنَاء عند جَهْدها إليها أسرع من بين جميع أعضائها ،

---

(١) م ، ل : « الردى » – س : « الهوى » وبهامشها : ويروى « البلى » و « الردى » و « النوى » . وفى ظ : ويروى « من أناخ بك الردى » ترده إلى الدار وهو الأجود .

(٢) م ، ل : « هواك » وروتها ظ – س « نواك » وهى رواية الخارزنجى .

(٣) وقال الصولى : أصابتك خطوب لم يصبك مثلها فهى أبكار . وفى ظ قال الخارزنجى : « أبكار الخطوب» مباديها وسوابقها .

(٤) قال الآمدى فى ظ : أى سيراً لا يلين ولا يفتر لا كما تمزج الراح بالماء وتلين .

وصاروا يؤثِّرون فى شُخُوصها ، فهى لهم الساعةَ بَدَلٌ من الغَوَارِبِ مِن قبل .

١١ يُصَرِّفُ مَسْرَاها جُذَيْلُ مَشَارِقٍ
إذا آبَهُ هَمٌّ عُذَيْقُ مَغَارِبِ

(ق) ويروى : «يقود نَواصيهم جُذَيل مَشارق»[1] وقوله : «يَقُود نَواصيهم» أى قائدُ هؤلاء الرَّكْب رجلٌ مِسفارٌ احتكَّتْ به البُلدان ، فَجرَّب وتبصَّر كما تحتكّ الإبلُ بالجُذَيل وهو تَصغير الجِذْل ، وهو خَشَب تَحتكّ به الإبلُ الجربَى فتَشتَفى به ، و « العُذَيْق » تصغير عَذْق ، وأصلُ المَثَل أن يقول العالِمُ بالشىء : أنا جذَيلُها المحُكَّك وعُذَيْقُها المُرَجَّب[2] فأما التَّرجِيب فأن يُبنَى تحتَ النَّخْلة دُكانٌ لئلاّ تميلَ وذلك إذا كانت كريمة . والمعنى أنّ رئيسَهم إذا حزَبه أمْرٌ رجل عالم يُشتَفى بما عندَه مِن الرأى والمعرفة بالسفَر . ويجوز أن يكون شبَّه قائدَهم لتأثير السفَر فيه وتغييره من لَوْنه وجِسمه بالجُذَيل ، لأنّه يَسودّ إذا احتكّت به الإبل الجربَى للطلاء الذى عليها ، وبالعُذَيْق فى دِقَّته ونَحافَته .

١٢ يَرَى بالكَعَابِ الرَّوْدِ[3] طَلْعَةَ ثائِرٍ
وبالعِرْمِسِ الوَجْناءِ غُرَّةَ آيِبِ

[ص] يقول : هذا الرجلُ مِن حُبِّه للسَّفَر فى طَلَب العُلَى إذا رأى الكاعِبَ الحَسْناء فكأنما يَرَى طَلْعَةَ ثائر قد جاء لِيثأر منه ، لِبُغْضه للكاعِب وحُبِّه للسَّفَر ، إلى أن يَبلُغ مُرادَه ويَنالَ حاجَتَه . ويرى بالعِرْمِسِ — وهى

(١) وهى رواية ق ، س ، د ، ظ — وروى الخارزنجى فى ظ : « يسوق نواصيهم » وقال الصولى : ويروى « يقود نواصيها » .

(٢) مجمع الأمثال ١ : ٣١ .

(٣) « الرود » : اللينة الناعمة .

النَّاقة الصُّلْبة – مِن حُبِّه لها طَلْعَةَ قادمٍ عليه ، حتى يَبلُغ إلى أبى دُلَفَ هذا الممدوح الذى يَجىء ذِكْرُه .

١٣ كأَنَّ بهِ ضِغْناً علَى كُلِّ جانِبٍ
مِن الأَرضِ أَو شَوْقاً إلى كلِّ جانِب

[ص] يقول : مِن حُبِّه للسفَر والذَّهاب فى البلاد كأنّه ضَغِنٌ على المكان الذى هو به حتى يَتركه ، أو كأنّه مُشتاق إلى الجانب الذى لم يَمضِ بعدُ إليه حتى يبلُغَه .

١٤ إذا العِيسُ لاقَتْ[1] بى أَبا دُلَف فقَدْ
تَقَطَّعَ ما بَيْنِى وبينَ النَّوائِبِ

١٥ هُنالِكَ تَلْقَى[2] الجُودَ حَيْثُ تَقَطَّعَتْ
تَمائِمُهُ والمَجْدَ مُرخَى الذَّوائِبِ

١٥ – « حيث تقطعت تمائمه » الموضع الذى نشأ فيه . [ص] يقول[3] : تلقى الجود قد أحبّ هذا الموضع ورُبِّى فيه فما يُحبّ أن يفارقه ، وإنما نحا قول الأسَدىّ :

أحبُّ بلادِ الله ما بين مَنْعِجٍ إلىّ وسَلْمَى أن يَصُوبَ سَحابُها
بلادٌ بها حلَّ الشبابُ تمائمى وأوَّلُ أرض مَسَّ جلدى ترابُها

ويروى « وافى الذوائب » أى يلقى المجدَ كثيرًا ، وهذا مثل ، أى مجدُه وشرفه مع هذا الجود جليل كثير أيضًا ، فهذا تفسير « وافى الذوائب » . ومَن روى « مُرخَى الذوائب » أراد أن المجد كالآمن فيهم من أن يتحوّل عنهم إلى غيرهم ، ويكون أيضًا قد أحاط به الشرفُ من كل جانب .

---

(١) ظ : « وافت بى »
(٢) س : « يلقى الجود فى حيث قطّعت » . وروتها ظ .
(٣) من أول كلام الصولى إلى آخر شرح البيت لم يرد فى ش ، وأثبتناه من نسختى ب ، ن .

١٦ تَكادُ عَطاياهُ يُجَنُّ جُنونُها إذا لم يُعَوِّذها بِنَغْمَةِ[1] طالبِ

ويُروَى: « تَنغمُ طالِب » يجعل التَّعويذَ للتَّنغُّم لا لِرَبِّ العَطَايا. [ع] و « جُنَّ جنُونُها » مَثَل وُضِع للمبالغة، يُقال جُنَّ جُنُونُها وجَاع جُوعُها، والجُنون فى الحقيقة لا يُجن، وكذلك الجُوعُ لا يَجُوع، ولكنهم يُريدون به الشِّدَّة والإفراط * [ص]. يقول: إنّ عطاياه متى تأخَّرَت عن السُّؤال فَسَد عقلها حتى تسمعَ صوتَ مَن يَجيء طالِبًا أو راغبًا، فيكون ذلك الصوتُ كالعُوَذة لهذه العَطايا[2] * .

١٧ إذا حَرَّكَتْهُ[3] هِزَّةُ المَجْدِ غَيَّرَتْ
عَطاياهُ أَسماءَ الأَمَانِى الكَواذِبِ

يريد أنه يُصدِّق الأمانىَّ والآمالَ ويُحقِّقُها فيقال فازَ، وسَعِدَ، وحَظِى، بدَل قولهم حُرِمَ، وكَذَب أملُه، وخاب رجاؤه، فهذا تَغييرُ أسماء الأمانى الكَواذب[4].

١٨ تَكاد مَغانِيهِ تَهشُّ عِراصُها
فتركَبُ مِن شَوْقٍ إلى كلِّ رَاكِبِ

« العِرَاص » جمع عَرْصَة، وهى ساحَة الدَّار، واستعار لها الهَشَاشة

---

(١) قال الصولى: ويروى « بنعمة طالب » وهو تصحيف.

(٢) جاء فى ظ؛ وهذا البيت مما عابه عليه أبو العباس عبد الله بن المعتز فقال: ولم يجن جنونها انتظاراً للطلب؟ يبتدئ بالجود ويستريح!

(٣) س، ق: « أخذته »

(٤) قال المرزوقى فى كتابه: ومثله قول أبى تمام فى أخرى:

أترى أبا الإحسان يحسن بيننا وملقب الأيام ممن يذنب؟!

فقوله « ملقب الأيام » مثل قوله « غيرت عطاياه أسماء الأمانى ». وفى ظ قال الآمدى: الأمانى هى الأكاذيب، أى أعطى أصحاب الأمانى ما كانوا يتمنونه من الأباطيل فصارت حقائق وزال عنها اسم الأمانى

التى هى البِشر والأريحيَّة . [ص] يقول[١] : من شهوته لإعطاء المال وبَذْله تكاد عِراصُ مَغانيه تَسير إلى مَن يسير إليها طالبًا نَيْله .

١٩ إذا مـــا غَدَا أَغدَى كَريمَةَ مالِهِ
هَدِيًّا ولو زُفَّتْ لِأَلْأَمِ خاطِبِ

يقال غَدَا الشيء ، وأغداه غيرَه ، جائز على القياس وهو مفقود فى المسموع . و « الهَدِيّ » العَرُوس ، وهذه مُبالغة فى المدح ، يريد أنه إذا جاءَه الرجلُ الدَّنِىء لم تمنعه دَناءتُه أن يُعطيَه مِن خير ماله .

٢٠ يَرَى أَقْبَحَ الأَشياءِ أَوْبَةَ آيِبٍ[٢]
كَسَتْهُ يَدُ المَأْمُولِ حُلَّةَ خائِبِ

٢١ وأَحسَنُ مِن نَوْرٍ تُفَتِّحُهُ الصَّبا[٣]
بَياضُ العَطايا فى سَوادِ المَطالِبِ

٢٢ إذا أَلجَمَتْ يَوْماً لُجَيْمٌ وحَـــوْلها
بَنُو الحِصْنِ نَجْلُ المُحْصِناتِ النَّجائِبِ

٢٢ – يعنى لُجَيم بن صَعْب بنِ علىِّ بنِ بكرِ بن وائل ، وهم قَوْم

---

(١) من قوله : « يقول من شهوته . . . » إلى آخر الشرح لم يرد فى نسخة ش وأثبتناه من نسختى ب ، ن . (٢) س ، د : « آمل » .

(٣) س : « الندى » وهى رواية الخارزنجى كما فى ظ . وقال فى شرحه : يقول أحسن من نور يصوره الشجر والنبات فتفتحه أكف الندى بياض العطايا أى سرورها وضياؤها فى سواد المطالب ، لأنها مظلمة حتى يبين لطالبها نجحه أو خيبته .

وقال ابن المستوفى : قال الآمدى : قوله « بياض العطايا فى سواد المطالب » ليس من معانيه ، وإنما نقله من قول الأخطل :

رأين بياضــاً فى سواد كأنه بياض العطايا فى سواد المطالب

ذكره ابن أبى طاهر فى سرقاته ، إلا أن قول أبى تمام : « وأحسن من نور يفتحه الندى » فى غاية الحلاوة. هذا كلام الآمدى . وروى : « وأحسن من روض » – وقال ابن المستوفى عقبه : ولم أجد ما نسبوه إلى الأخطل فى ديوانه ولا يشبه نمطه لرقته ، ولعله موضوع ليدفع أبو تمام عن محاسنه .

أبي دلف العِجْلى ، لأنه من عِجْل بن لجيم . و « نَجْل المحصنات » ولَدها .

٢٣ فإنَّ المَنايا والصَّوارمَ والقَنـا
أَقاربُهُمْ[1] فى الرَّوْع دُونَ الأَقاربِ

٢٤ جَحَافِلُ لا يَتْرُكْنَ ذا جَبَرِيَّةٍ
سَلِيماً ولا يَحرُبْنَ مَن لم يُحارِبِ

٢٤ — « الجَبَرِيَّة » الكِبْر ، وهو اسمٌ موضوع على النّسب ، ولم يقولوا فيه جَبَرَ أى كِبْر .

٢٥ يَمُدُّونَ مِنْ أَيْد عَوَاصِ[2] عَوَاصِمٍ
تَصُولُ[3] بأَسْيافٍ قَواضٍ قَوَاضِبِ

(ع) هذا كلامٌ فيه حذف على رأى سِيبَوَيه ، وهو مفعول يحتمل أن يُصرّفه السامِعُ على ما يُريد ، فكأنه قال يمدُّون سَوَاعِدَ أو بَسْطةً أو نحوَ ذلك ، وكان سعيدُ بنُ مَسْعَدة يرى أنَّ « مِن » فى هذا زائدة ، ومثل ذلك قولهم غضَضْتُ من فلان أى غضضت شيئًا مِن حُقوقِه ، فأمّا قولُ جرير :

رَأَتْ مَرَّ السنينَ أخذْنَ مِنِّى كما أخذَ السَّرارُ مِن الهِلالِ[4]

فإذا حُمِل على أنَّ الكلامَ تَمّ فى النِّصف الأوّل فهو مِثل ما تَقَدّم ذِكْرُه ، وإن كان « أخذْنَ » واقعًا على « كما » فليس فى النصف الأوّل حذف. وقوله : « عَواصٍ » يحتمل وجهين : أجودهما أن يكون جمعَ عاصيَة مِن عَصَيتُه

---

(١) ل : « أقاربكم » . وقال ابن المستوفى : وروى الصولى « أقاربهم » على ضمير الغيبة . . . وروى الخارزنجى أو غيره : « أقاربكم » على ضمير الخطاب .

(٢) د : « طوال » .

(٣) س « تسور بأسنان » وبهامشها « تطول » .

(٤) الديوان ص : ٤٢٦ .

بالسَّيْف إذا ضربتَه به ، والآخر أن يكون مِن العِصْيان ، أى أنها لا تُطيع أمرَ المَلُوك ولا الأعداء إذ ليس فوقَها يَدٌ . و « عَواصم » جمع عاصمة ، أى يَعتَصِم من استجار بها . وقوله « عَواصِ عَواصم » يُسمِّيه أهل النقد تجنيس المُقَارَبة ، لأن اللفظين مُتقاربان ليس بينهما فرق إلاّ فى الميم ، وكذلك قوله : « قواضٍ قواضب » والقَواضى التى تَقضى على الأعداء بما تُريد ، وقد يُستعمل قَضيْتُ فى معنى قَطعتُ ، ويقال قَضَى عليه إذا كان سبب موته أو قَتْله . ويجوز أن يكون قولُه : « يَمُدّون » مِن مَدَّ النهرُ ومَدَّه نهرٌ آخر ، وهذا المعنى ألطفُ وأحسنُ مِن الأوّل[1] ، أى يمدّون أيديًا تعصى العاذلينَ فى الجود ، وتَعصم المُستَغيثَ الخائفَ بأسيافٍ هذه صفتُها .

٢٦ إذا الخَيْلُ جابَتْ قَسْطَلَ الحَرْبِ صَدَّعُوا
صُدُورَ العَوالى فى صُدُورِ الكَتائِبِ

يقول : إذا شَقَّت الخيلُ غُبار الحرب فإنهم يَطعنون الأبطال بالرِّماح حتى يَكسِروها فى صدورهم .

٢٧ إذا افتخَرَت يَوْماً تَمِيمٌ بِقَوْسِها
وزَادَتْ[2] على ما وَطَّدَت مِن مَناقِبِ

---

(١) لابن المستوفى تعقيب على كلام أبى العلاء هذا ، قال : فى كلام أبى العلاء على بيت جرير نظر يحتاج إلى بحث . وقوله : « فإذا حمل على أن الكلام تم فى النصف الأول فهو مثل ما تقدم ذكره ، وإن كان واقعاً على كما فليس فى النصف الأول حذف » ، وهذا إذا تأمله الناظر لا يؤدى إلى تحقيق ، فإن قوله : « منى » يحتمل أن تكون « من » فيه مثلها فى الهلال .

وقوله : « من عصيته بالسيف أى ضربته » إنما هو من عصوته بالعصا أى ضربته بها ، ولم أجد عصيته بالسيف ، إنما قالوا عصى بالسيف يعصى عصى إذا ضرب به ، فلو أخذ من ذلك كان أولى ، وأخذه من العصيان على ما ذكره أجود من هذا التكلف البعيد ، وهذا التجنيس يسميه أصحاب البديع الناقص ، وهو ضرب من المضارعة ، وعليه أنشد بيت أبى تمام هذا .

وقال ابن المستوفى بعد ذلك : وروى الخارزنجى : « عواص غواصب » . قال وفى الحاشية : « يمدون من أيد طوال غواصب » أى تغصب الأرواح .

وقال الصولى فى شرحه : ويروى « من أيد طوال » إلا أن أبا تمام قابل اللفظ فقال : « عواص » ثم قال : « قواض » فهذا أحب إلى من « طوال » .

(٢) ظ : ويروى « فخاراً » ، وهى رواية د .

٢٨ فأَنتُمْ بِذِى قارٍ أَمالَتْ سُيُوفُكُمْ
عُرُوشَ الذين استَرهَنُوا قَوْسَ حاجِبِ

٢٧ و ٢٨ — يَعنى بـ « العُروش » الأسرة ، ويمدح أبا دُلفَ بأنه مِن بنى عجل ، وأنهم كانوا فى يوم ذى قار مع بنى شَيْبان ، ويَروُون أنَّ العربَ كانت تزعم أنَّ الفُرْس لا تَموت ، وأن حَنْظلةَ العِجْلِىَّ حَمَل على رجلٍ منهم فطعنه فقَتله فقال لأصحابه : ويلكم إنهم يَموتون ! فحملوا عليهم فكان سببَ ظَفَرهم ، وهذا الحديث إذا حُمِل على ما يوجبه المعقول فهو كقولهم فلان لا يَموت مِن العمل أى يَصبر عليه ، فأما اندفاعُ الموت عن الإنسان فلا يجوز أن يُدَّعى له . وقولُه : « إنهم يَموتون » إنما هو حَضٌّ على قِتالهم ، لا أنه يزعم أنَّ الموتَ كان عندَه لا يَنزل بهم ، ومثله رجَز يُروَى عن عمرو بن مَعْدى كَرِب فى قِتال الفُرْس :

أنا أبو ثَوْرٍ وسَيْفى ذُو النُّونْ
أضربُهمْ ضَرْبَ غُلامٍ مَجنُونْ
يالَ زُبَيْدٍ إنَّهم يَموتُونْ !

أى هُم مِثلكم فلا تَجبنوا عنهم . وحاجِب بن زُرارةَ بن عُدُس بن زَيْد ابن عبد الله بن دارم كان قد تَدَيَّرَ هو وأهله فى أرض العراق فأنكر ذلك والِى الحيرَة وكتبَ إلى كِسْرى ، فكتب كِسرى إليه يقول : إن أرادوا أن يرعَوْا بأرضنا فليَقْدَم علينا وفدُهم ، ويُعطونا رهائن منهم ، فقَدم عليه حاجب بن زُرَارة ، فلما وافقه على ما يُريد طلَب منه الرهائن ، فقال حاجِب : ليس معى إلاَّ قَوْسى هذه فخذها ، فضَحِك منه أصحاب كِسرى ، فقال لهم الملك : خُذوها منه فإنه لن يُسلمها ، فاسترهنوا منه القَوْس ، وذهب فوَفَى لهم بما وَافقَهم عليه ، فصار ذلك مَعدُودًا فى مناقِب بنى تَميم . (المرزوقى) : كان السبب فى ذلك أن النبىَّ صلى الله عليه وسلَم كان دَعا على مُضَر وقال : اللهم اشدُدْ وطأتَك على مُضَر ، وابعث عليهم سِنينَ كَسِنِى يوسف . فتوَالت الجُدُوبُ عليهم سَبْعَ سِنين ، فلمَّا رأى حاجِبٌ الجَهْد على قَومه جَمَع بنى زُرَارة وقال :

إنى أزمعتُ أن آتى الملك فأطلبَ أن يأذَن لقَوْمنا فيكونوا تحتَ هذا البحر حتى يَحيوْا : فقالا رَشِدتَ فافْعَل ، غير أنّا نخاف عليك بَكْرَ بنَ وائل . فقال : ماوَجْهٌ منهم إلاّ ولى عنده يَد، إلاّ ابنَ الطَّويلة التَّيْمىّ ، وسأُداويه . ثم ارتحلَ ، فلم يزَل يتنقَّل فى الإتحاف والبِرّ فى الناس حتى انتهى إلى الماء الذى عليه ابنُ الطويلة ، فنزل ليلاً ، فلما أضاء الفَجْر دَعا بِنطْع ، ثمّ أمرَ فصُبّ عليه التَّمرُ ، ثم نادى حَىَّ على الغَدَاء ! فنَظَر ابنُ الطويلة فإذا هو بحاجِب ، فقال لأهل المجلس : أجيبُوه ! وأهدَى إليه جُزُرًا . ثم ارتحل ، فلما بلَغ كِسْرَى كان منه ما ذُكر ، ثم جاءَت مُضر بعد موت حاجب إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فدَعا لهم ، فخرج أصحابُه إلى بلادهم ، وارتحلَ عُطارد ابن حاجِب إلى كِسْرى يَطلبُ قَوْس أبيه ، فقال : ما أنت بالذى وضَعتَها . فقال له أجَل إنه هَلَك وأنا ابنُه ، وقد وَفَى للملك ! قال : رُدّوا عليه ، وكَسَاه حُلَّةً . فلمّا وَفَد على النبىّ صلى الله عليه وسلم أهداها إليه فلم يقبلها ، فباعَها من يهودىّ بأربعة آلاف درْهم . فيَقول أبو تمام : إذا افتَخرتْ تَميمٌ بذلك فأنتم قَتلتم الذين كسَوْهم هذا المجدَ بما ارتهنوا ، وهدمتم عِزَّهم فى وقعة ذى قار[1] .

٢٩ مَحاسِنُ مِن مَجْدٍ مَتَى تَقْرِنُوا بِها
مَحاسِنَ أَقوامٍ تَكُنْ كالمعايِبِ

(١) وقال الصولى : يريد أخذ العرب للطيمة كسرى وانتصافهم من العجم ، وكان رئيس العرب ذلك اليوم سيار بن حنظلة العجلى ، وأبو دلف عجلى ، فخاطبه بهذا . ويقال إن يوم ذى قار كان كيوم بدر ، وإن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « هذا أول يوم انتصفت العرب من العجم فيه ، وبى نصروا » .

وجاء فى ظ : وقيل إنه (أى حاجب بن زرارة) إنما رهن قوسه عند كسرى لما قبل هذا أن يبلغ لطائمه إلى سوق عكاظ ، فارتهن كسرى قوسه حتى أتى بالعير سالمة إلى كسرى ، فقال كسرى : لا أدرى أينا أحسن ، أنا حيث رضيت من حاجب بقوس لا يساوى عشرة دراهم ، أم حاجب حيث أجاز لى عيراً قيمتها كذا وكذا ؟ ثم أمر بتاج فصنع له منظماً بالجواهر فوضعه على رأسه .

٣٠ مَكارِمُ لَجَّتْ[١] فِى عُلُوٍّ كأَنَّها [٢]
تُحاوِلُ ثَأْرًا عند بَعْضِ الكَواكِبِ

٣١ وقَد عَلِمَ الأَفْشِينُ وهْو الذِى بِهِ
يُصَانُ رِدَاءُ المُلْكِ عَنْ كلِّ جاذِبِ [٣]

٣١ — [ع] كان الأفشينُ عبدًا للمعتصم ، فاصطنَعه ورَفَع شأنه ثم قتَله بعد ذلك ، وهذا الشعرُ قيل فى زمان دَوْلة الأفشين وإقباله ، وكان الأفْشين مِن أهل أشروسَنة ، فسمّاه المعتصم الأفشين ، لأنّ مَلِكَ ذلك البلد جرَت عادَته بأن يُسمَّى الأفْشِين كما يُسمَّى مَلِكُ الرّوم قَيْصر ، وكذلك زَعَموا أنّ الأخشيدَ كان أوّله من فَرْغانة فلُقِّب الأخْشيد ، لأنّ ملك فَرْغانةَ يُلقَّب بذلك .

٣٢ بِأَنَّكَ لَمّا اسحَنْكَكَ[٤] الأَمْرُ واكتَسَى
أَهَابِىَّ تَسْفِى فِى وُجُوهِ التَّجَارِبِ

[ع] « اسجنكك الأمرُ » اسوَدَّ وأظلم . أصل هذه الكلمة فى الليل ، ووزن « اسحَنْكك » « افعَنْلل » واشتقاقُه مِن سين وحاء وكاف ، وذلك لفظ مُماتٌ لم يَحْكِ أحدٌ من الثقات فيما أعلم « السَّحْك » فى معنى السَّوَاد . [ع] « وأهابىّ » جمع إهْباء ، وهو الغُبَار ، ، مثل إعصَار وأعاصير ، وقوله :

---

(١) س ، د : « معال تمادت فى العلو » وبهامشها : ويروى : « معال تعالت » .
(٢) م ، ل : « كأنما » .
(٣) قال الصولى : ويروى « من كل جادب » أى عائب ، وهو تصحيف .
وجاء فى ظ : وقول ابن المعتز كأنه من هذا :

ونحن ورثنا ثياب النبى فلم تجذبون بأهدابها ؟
لكم نسب يا بنى بنته ولكن بنو العم أولى بها

(٤) ل : « لما استخذل الأمر » وفى م « لما استخذل النصر » وقال الصولى : ويروى : « اسحنكك » .

« تَسنى فى وجُوه التَّجارب » أى لا تَنفع معها التجربة ، فكأنها تملأ عُيونها بالغُبار .

٣٣ تَجلَّلْتَهُ[١] بالرأْيِ حَتَّى أَرَيْتَـهُ
بِهِ مِلْءَ عَيْنَيْهِ مَكانَ العَواقِبِ

[ع] « تَجلّلتَه بالرأى » أى علوتَه به وكنتَ له مكان الجِلال * يقول : لما أظلم وجه الرأى عليه أريتَه إياه مِلْء عَينيْه حتى يَنظر إلى عَواقبه . [ص] يعنى يومَ بابَك أبلَى أبو دُلَفَ فيه بَلاءً حَسَنًا ، فيقال إنَّ الأفشينَ حَسَده حتى هَمَّ بقتلِه لمَا قَدَم حتى خلصه ابنُ أبى دُؤَاد .

٣٤ بأَرْشَقَ إِذْ سالَتْ عليهم غَمامَةٌ
جَرَتْ بالعَوالِى والعِتاقِ الشَّوَازِبِ

أى مَددْتَه بالرَّأى والتَّدبير بهذا المكان[٢] .

٣٥ نَضَوْتَ[٣] لَهُ رَأْيَيْنَ سَيْفاً ومُنْصُلاً
وكلٌّ كنَجْمٍ فى الدُّجُنَّةِ ثاقِبِ

[ع] « نَضَوْتَ » أى سَلَلْتَ . « والمُنصُل » يُستَعمل فى السيف خاصةً ، والنَّصْل يُستَعمل فى السيف وغيره . وقوله « وكلٌّ كنجم » أحسنُ ما يُحمَل على أنه أومأَ بـ « كلٌّ » إلى ثلاثة ، يعنى : الممدوحَ ورَأيَه وسيفَه ، وذلك أحسنُ مِن أن يكون أراد به السيف والرأى دُون غيرهما ، لأنه لو ذَهَب إلى

---

(١) فى ظ : روى الصولى « تحليته بالرأى » . وروى الخارزنجى « تخللته » بالخاء المعجمة ، وقال : أى خلصت إليه برأيك وحزمك حتى أطلعته بهذا الرأى على عاقبة الأمر .

(٢) قال الصولى : يقول هذه الغمامة إنما سالت برماح وخيل ضامرة .

(٣) م : « نصلت » – ل ، س : « نصبت » . وقال ابن المستوفى : ويروى « سللت » وإنما قال « نصلت » لقوله مُنصُلا .

ذلك لكان الموضع بـ «كِلا»[1] أحقّ منه بـ «كُل» ، على أنه يجوز أن يُوضَع «كل» فى موضع «كِلاَ» .

٣٦ وكنتَ متى تُهزَزْ لِخَطْبٍ تُغَشِّهِ[2]
ضَرَائِبَ أَمْضَى مِن رقاق المَضَارِب

[ع] «ضرائب» جمع ضَريبة وهى الخَليقَة، يُقال فلان كريمُ الضريبة أى الشِّيمَة والمَذْهَب ، ويجوز أن يكون اشتقاقُه من ضَربتُ السيفَ إذا طَبَعتَه ، ومِن كلّ ما جرَى هذا المَجْرَى نحوَ الذَّهَب والفِضَّة لأنه مِثل الجِبلّة والفِطْرة .

٣٧ فَذِكْرُكَ فِى قَلْبِ الخَلِيفَةِ بَعْدَها
خَلِيفَتُكَ المُقْفَى بِأَعْلَى المَرَاتِبِ

«بعدها» أى بعدها هذه الفَعْلة . و «المُقْفَى» مأخُوذ من القَفِيَّة وهو الشىءُ الذى يُخصّ به الإنسانُ ويُؤثَر به .

---

(١) عقب ابن المستوفى على كلام التبريزى بقوله : لم يرد أبو تمام إلا رأيه ومنصله ، لأن الظاهر الذى عاد إليه «كل» إنما هو قوله رأياً ومنصلا ، ويشهد لذلك قوله سيفين ، ولو أنه أراد ما ذكره أبو العلاء لم يقل سيفين ولقال نضوت لهم ثلاثة أسياف ، نفسك ورأيك ومنصلك ، وليس فى قوله «نضوت» ما يدل على التثليث سيما مع وجود التثنية فى سيفين ، وأوضح هذا المعنى الذى ذكره أبو العلاء على بن العباس الروى فقال :

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم فى الحادثات إذا انتُضين نجومُ
منها مصابيح الدجى ومعالم تجلو العمى والباقيات رجومُ

ويجوز أن يكون أراد كل منهما فحذف للدلالة عليه وكثيراً ما تحذف الصفة . وقال الجوهرى : كل لفظة واحدة ومعناه جمع . فعلى هذا ، تقول كل حضر وكل حضروا ، على اللفظ مرة وعلى المعنى أخرى ، فيجوز أن يكون أبو تمام أعاد على اللفظ فى بيته .

(٢) فى ظ : ويروى «قريته» .

٣٨ فإن تَنْسَ يَذكُرْ أو يَقُلْ فيكَ حاسِدٌ
يَفِلْ قَوْلُهُ أو تَنْأَ دارٌ تُصاقِبِ

يقول : إن تَنْسَ فِعْلَك يَذكُرْ ، ويروى « فإن تُنْسَ يَذكُرْ » يعنى الخليفة ، ويروى « فإن تَنْسَ تُذكر[1] ، [ص] أى إن تَنْسَ فِعْلَك ذُكرتَ به ، وإن سبعكَ حاسِد[2] فال رأيه ، أى بَطَل رأيُه عند الخليفة . وإن نأتْ دار فأنت قَريبٌ لفعْلك . « وتُصاقِب » تدنو ، يقال بالسِّين والصّاد ، وهو السَّقْبُ والصَّقْب للقرْب ، وإذا كان بعد السِّين قافٌ أو طاءٌ أو خاءٌ أو غين جاز تحويلُها إلى الصّاد . ويجوز أن يكون أصل المُساقَبة من السَّقْب الذى هو عَمُود من أعمدة الخِباء ، وقد حُكى بالصّاد والسِّين ، وهو جار مَجْرَى ما ذُكر ممّا فيه أحَدُ الحُروف الأربعة ، فكأنّ الرجلَ إذا نَزَل مُجاورًا للآخر صار عمودُ بَيته مُقاربًا لعَمُود بيت الآخر فقيلَ قد صاقبه ، كما يُقال قد كاسرَه إذا كان كِسْرُ بَيْتِه يَلِى كِسْر بيت الآخر .

٣٩ فأَنْت لدَيْهِ حاضِرٌ غيرُ حاضِرٍ[3]
جَمِيعاً وعنهُ غائِبٌ غَيْرُ غائِبِ

يقول : أنت خاطرٌ بباله فى كلّ حال حَضَرتَ أو غِبْتَ ، لأنّ ذكْرَك فى قَلْبه .

٤٠ إلَيْك أَرَحْنا عازِبَ الشِّعْر بَعْدَما
تَمَهَّلَ فى رَوْضِ المعانى العَجائِبِ

(ص) يقول : إليك صَرَفنا ما كان تَعَزّب من الشِّعْر بعد ما كان تَمهّل

---

(١) فضل ابن المستوفى أن تكون الضمائر عائدة على المخاطب كلها .

(٢) « سبعك حاسد » أى شتمك ، يقال « سبعه يسبعه » إذا طعن عليه وعابه وشتمه .

(٣) فى ظ : ويروى : « غير حاضر لديه » – وقال والرواية الأولى أجود . ويروى : « غير حاضر بذكر » ، وهى رواية د .

أى تقدّم فى رَوْض المعانى لا رَوْض النَّبْت ، يريد أنّ الفِكْر عمل المعانى العَجِيبة ثم سيقتْ إليك[١] .

٤١ غَرائِبُ لاقَت فى فِنائِك أُنْسَها
مِن المَجْدِ[٢] فهْىَ الآنَ غَيْرُ غَرائِبِ

يقول : هذه المعانى غرائب لم يَفهمها غيرُك فلمّا بَلَغتْك علمتُ أنها وَقَعت موقعها .

٤٢ ولَوْ كانَ يَفنَى الشِّعْرُ أَفناهُ ما قَرَتْ
حِياضُكَ مِنه فى العُصُور[٣] الذَّوَاهِبِ

[ع] « ما قَرَتْ حِياضُك » ما جَمَعَتْ يُقال قَرَى الماءَ فى الحوض يَقريه إذا جَمَعه . والمعنى : أنك رجلٌ مَلِك شَرَيفُ الآباء ، قد مُدح أجدادُك بشعرٍ كثير ، فلو كان الشِّعْرُ يَفنى لفنى من أجل ما مُدحتم به فى الدَّهْر القَديم ، فهذا هو الوَجْه ، وقيل : إنما أراد أنّ أبا دُلَفَ كان شاعرًا ، وقد يحتمل هذا ، ولكنّ الأوّل أجود وأبلغ فى المَدْح .

٤٣ ولكنَّهُ صَوْبُ العُقُولِ إذا انجَلَتْ
سَحائِبُ مِنهُ أُعْقِبَتْ بسحائِبِ[٤]

---

(١) زاد الصولى فى شرحه قوله : وقد مثل هذا التمثيل النابغة ، إلا أنه فى وصف الهم ، فقال :

وصدر أراح الليل عازب همــه تضاعف فيه الحزن من كل جانب

أى أن الليل يريح عازب الهم إلى الصدر ، لأن الإنسان بالنهار يشتغل بما يفتح عينه عليه فيخف عنه بعض التخفيف ، فإذا جاء الليل خلا بكده ، وقد أوضح هذا المعنى الطرماح ولم يأت به غيره ، فقال :

ألا أيها الليل الطويل ألا اصبحن بهم وما الإصباح فيك بأروح
على أن للعينين فى الصبح راحة بطرحهمــا طرفيهما كل مطرح

(٢) س : « من اليوم » . (٣) ظ : « فى القصور » .

(٤) جاء فى ظ : قال الخارزنجى : يقول لو كان للشعر فناء لأفناه كثرة عطائك قبل وبعد ، ولكنه مما صبت عقول الشعراء وأذهانهم ، فإذا انكشفت سحائب من ذلك أعقبتها سحائب من الشعر فلا فناء له . وقال الصولى فى شرحه : هو من قول أوس بن حجر : =

٤٤ أَقولُ لِأَصحابِى هُوَ القاسِمُ الذِى
بِهِ شَرَحَ الجُودُ الْتِباسَ المَذاهِبِ[١]

٤٥ وإِنِّى لأَرْجُو أَنْ تَرُدَّ رَكائبى[٢]
مَوَاهِبُـــهُ بَحْرًا تُرَجَّى مَواهِبِى

= اقــول بما صبت على غمامتى وجهدى فى حبل العشيرة أحطب

وقد ألم بقول الأخطل :

* فلولا بغاة الشعر أنفذه البشر *

– وروايته فى ظ « ولولا تغادى القول » – وقال ابن المستوفى بعد أن أورد كلام الصولى : والذى فى شعر أوس :

أقــول بما صبت على عمايتى ودهرى فى حبــل العشيرة أحطب

ويروى « صحابتى » و « غمامتى » ، وفى شعره : « عمايته » همه وشجنه ، يقول أنا معهم وأحطب فى حبلهم ، وقبله :

أقــول فأما المنــكرات فأتقى وأما الشــذا عنى الملم فأشذب

ثم قال ابن المستوفى : ولم أر ما نسبه إلى الأخطل فى ديوانه .

(١) هـ س : « المواهب » .

(٢) م ، ل ، س ، ظ ، د : « وإنى لأرجو عاجلا أن تردنى » . وقال الخارزنجى فى ظ : ويروى :

« وإنى لأرجو أن ترد مواهبى ركائبــه . . . . . »

١٦

وقال يمدحُ أبَا العبّاس عبدَ الله بنَ طَاهِر :

١ هنَّ[١] عَوَادى يُوسُفٍ وصَواحِبُهْ
فَعَزْماً فَقِدْماً أَدْرَكَ[٢] السُّؤْلَ طَالِبُهْ

الثانى من الطويل ، والقافية متدارك .

ويروى « أدرَكَ الثأرَ » . [ع] ويروى « هُنّ » بغير استفهام ، وربما جُعلت فى أوّله الألفُ ، وهو أحسنُ فى السَّمْع وأجوَد[٣] . و« عَوادى يُوسُف » يعنى بهنّ النِّساء ، فيجوز أن يكون مَقلوبَ « عَوايد » من عادَه يَعُوده إذا طَرَقه وزَاره[٤] ، ويجوز أن يكون « عَوادى » غيرَ مقلوبٍ من « عوايد » ويكون كلّ واحد منهما على حِياله ، ويكون معنى « عوادى » صَوارف * وذكرَ الآمدى هذا البيت فى رَدىء ابتداءات أبى تمام ، قال : وإنما جعلَه رديئًا قوله : « هُنَّ » فابتدأ بالكناية عن النساء ولم يَجْرِ لهنّ ذكر ، ثم قال « عَوادى » ومعناها صَوارف ، يقال عَدَانى عنك كذا أى صَرَفنى ، أراد : هُنَّ صَوارف يُوسُفَ وصواحِبُه ، وصَوارف ها هنا لَفظةٌ ليست قائمةً بنفسها لأنه يُحتاج أن يُعلَم صوارفُه عمَّاذا ؟ واللفظةُ القائمة بنفسها أنْ لو قال : « فَواتنُ يوسف »

---

(١) م : « لهن » — ل ، ظ ، هـ م : « أهن » .

(٢) م : « أدرك الثأر » ، — ق ، هـ س : « أدرك النأى » ، وهى رواية الآمدى كما فى ظ . وقال ابن المستوفى : ووجدت ذلك أيضاً فى مواضع من دواوينه .

(٣) عقب ابن المستوفى على ذلك بقوله : قول أبى العلاء « وربما جعلت فى أوله الألف وهو أحسن فى السمع وأجود » صحيح إلا أن الرواية الصحيحة «هن» على طريق الإخبار وعليه المعنى فأما مع الاستفهام ففاسد .

(٤) ورد كلام أبى العلاء هذا فى ظ بزيادة ، فعقب قوله « طرقه وزاره » جاء : وعلى ذلك فسروا قول زهير :

* وعادك أن تلاقيها العداء *

أى صرفك . وقال ابن المستوفى : وما ذكره من قول زهير فيجوز أن يكون « عادك » بمعنى اعتادك وراجعك ، والعداء الظلم أو الصرف ، أى عادك ما صرفك عن تلاقيها ، أوله :

* فصرم حبلها إذ صرمته *

ثم قال : وقوله « عوادى مقلوب من عوايد » تكلف ظاهر ، وأراد أبو تمام بعوادى يوسف صوارفه عن ترك ما هم به ، ولا معنى للعيادة هنا .

أو « شَواعِفُ يوسف » أو نحو ذلك ، وكأنه أراد صوارفَ يوسُفَ عن تُقاه ، أو عن هُدَاه ، أو عن صحيح عَزْمه حتى هَمَّ بالمعْصية ، وإنما يَتِمّ معنى الكلمة بمثل هذه الألفاظ لو وَصَلها بها ، ثم ألحقَ بيُوسُفَ التنوين ، فجاء بثلاثة ألفاظ كلّها رَديئةٌ فى مَوْضعها ، وتمَّم البيتَ بعَجُز لا يَليق بصَدْره ، وهو أردأ معنًى من الصَّدْر ، وذلك قوله : « فعَزْمًا فقدْمًا أدرَكَ الثأرَ طالبُهْ » وهذا كلامٌ لا يُلائِم بعضُه بعضًا ، وإنما كانت ألفاظُه ومعانيه تتَشابه لو قال :

هُنَّ عَوادى يوسف وصواحِبُهْ فلا يَعْدُونْكَ مَطْلَبٌ أنتَ طالبُهْ

أو « فلا يَعدونَكَ العَزْمُ فيما تطالبُهْ » فلا تَعدلنْ عن مَطلب أنتَ طالبُهْ » أى هُنَّ صوارفُ يوسُفَ عن عزمه فلا تَنصرف أنت عن عزمك ومَطلبك لعذْلهن .

ولفظُ أبى تمام يَدُلّ أيضًا على ما قدّره الآمدى من معنى البيت بالألفاظ التى ذكرَها إذا رجَعتَ إلى الحقيقة ، وليس الإضمارُ قبل الذِّكْر بعَيْب إذا كان المعنَى مفهومًا ، لأنّ هذا المعنى مأخوذ عن الحديث المرويّ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال فى مَرَضه الذى مات فيه وهو يعنى النِّساء : « إنكُنّ صُوَيحباتُ يوسُف » ولَحاق التنوين بـ « يوسف » فى الشعر ليس بعيب أيضًا كما ذكَره ، لأنّ أصلَ الأسماء كلِّها الصَّرْف ، ورَدّ الاسم إلى أصله فى الشعر ليس عَيْبًا . وكان أبو سعيد الضرير وأبو العَمَيْثَل الأعرابىّ على خزانة الأدَب لعبد الله بن طاهر بخراسان ، وكان الشاعرُ إذا قَصَده عَرَض عليهما شعْرَه ، فإن كان جيِّدًا عَرَضاه أو دُعِى به فأنشَدَه ، وإن كان رَديئًا نَبَذاه ودُفع إلى صاحبه البرد على غير الشعر . فلمّا قدم أبو تمام على عبد الله قصدهما ودَفَع القصيدةَ إليهما ، فضَمّاها إلى أشْعار الناس ، فلمّا تَصفّحا الأشعارَ مرّت هذه القصيدة على أيديهما ، فلما وَقَفَا على هذا الابتداء طرَحاها على الشعر المنبوذ ، فأبطأ خبَرُها على أبى تمام ، فكتَب إلى أبى العَمَيْثَل أبياتًا يُعاتِبه فيهما ويقول :

وأرَى الصحيفةَ قد علَتْها فَتْرةٌ فتَرَتْ لها الأرواحُ فى الأجسام

ثم لَقِيهما فقالا له : لمَ لا تَقول ما يُفهم ؟ فقال : ولمَ لا تَفهمان

ما يُقال ! ؟ فاستُحسِن هذا الجوابُ من أبي تمام . فلما دَخَل على عبد الله أنشدَه ، فلما بلغ إلى قوله :

وقَلقَلَ نَأيٌ مِن خُراسانَ جأشَها فقلتُ اطمئني أنضرُ الرَّوض عازبُهْ

والأبيات التي بعده صاح الشعراءُ وقالوا : ما يَستحِقّ مثل هذا الشعر إلاّ الأمير ! فقال شاعرٌ منهم يُعرَف بالرّياحيّ : لي عند الأمير — أعزّه الله — جائزةٌ وعَدَني بها ، وهي له جزاءٌ عن قوله ، فقال له الأمير : بل نُضعِفُها لك ، ونَقوم بالواجب له جزاءً عن قوله . فلمّا فَرَغ من القصيدة نَثَر عليه ألفَ دينار ، فلقَطها الغِلْمان ولم يَمسَّ منها شيئًا ، فوَجَد عليه الأميرُ فقال : يَترفع عن بِرّي ويَتهاون بما أكرَمتُه به ؟ ثم بلَغ بعد ذلك ما أرادَ منه[1] .

٢ إذا المرْءُ لَمْ يَسْتَخْلِصِ[2] الحَزْمُ نَفْسَهُ
فـــذِرْوَتُهُ للحَادِثَاتِ وغَارِبُهْ

يقول : إذا لم يُمضِ عزيمتَه وأطاع مَن لا حزْمَ له فهو سَريعٌ إلى التّلف .

٣ أَعاذِلَتَيَّ[3] ما أَخْشَنَ[4] اللَّيْلَ مَرْكَباً
وأَخشَنُ مِنْهُ فى المُلِمَّاتِ رَاكِبُه

يقول : إنّ الليلَ مُظلِمٌ صَعْبٌ لا يَسرى فيه إلاّ الجزْلُ من الرجال .

---

(١) القصة مذكورة فى كتاب الصولى « أخبار أبي تمام ص ١١٥ » وفيها : فما بلغ بعد ذلك ما أراد منه .

(٢) س ، د : « تستخلص الحزمَ نفسُه » — م : « تستدرك » وبهامشها رواية الأصل — ظ : « تستخلس الحزمَ نفسه » ، وقال : فى حاشية تفسير الخارزنجى : إذا المرء حاول أمراً ولم يجعل الحزم مقدمة له كالخلس يلقى على ظهر البعير ثم يوضع الرحل عليه فقدم سنامه عرضة للحادثات ، فكذلك هذا الرجل يجب أن يحزم فى أمر يريده ليقف على مورده ومصدره فيسلم من الخطأ . وأراد بـ « ذروته وغاربه » أوله وآخره . وروى ابن المستوفى « إذا المرء لم تستخلص الحزمَ نفسه » وقال : وهذا معنى واضح ، والأول عندى أشبه بمذهبه لقوله ذروته وغاربه .

(٣) س ، م : « أعاذلتا » وبهامش م رواية الأصل .

(٤) وجاء فى ظ : فى النسخة العجمية فى الحاشية وفى غيرها :
أعاذلتـــا ما أحسن الليل مركبا وأحسن منه فى الملمات راكبه =

٤ ذَرِينِى[١] وأَهوَالَ الزَّمَانِ[٢] أُفَانِهَا[٣]
فأَهوَالُهُ العُظْمَى تَلِيهَا رَغَائِبُهُ

[ع] إذا رويتَ « أفانِها » بالفاء فهو يحتمل وجهين : أحدهما أن تكون المفاعلة من الفَناء أى تُفنِينِى وأفنيها ، والآخر أن تكون من الفِناء أى تَنزل بفِنائى وأنزلُ بفِنائها . ومَن روى « أقانِها » بالقاف فالمُقاناةُ المُدَاراة والمخالَطة ، تقول : قانيتُ الشيءَ بالشيء إذا خَلَطتَه — ومنه قوله :

كبِكْرِ المُقاناة البياض بِصُفْرَةٍ غَذَاها نَمِيرُ الماءِ غيرَ مُحَلَّل[٤]

ويروى « أعانِها » أى أقاسِيها . ومعناه : أنَّ الغِنَى مع رُكُوب الشدائد .

٥ أَلَمْ تَعْلَمِى أَنَّ الزِّمَاعَ عَلَى السُّرَى
أَخُو النُّجْحِ عند النَّائِباتِ وصَاحِبُهْ؟

« الزِّماع » المَضَاءُ على الأمر ، يقول : ألم تَعلَمى أنَّ مَن باشَرَ الأسفار ، وتَرَكَ الخَفْض ، وابتَذَل نفسَه ، أنْجَحَ زِوَالَ الطَّلِبَة ؟ ويروى « عند الحادثات »[٥] .

= أراد يا عاذلتاه فحذف الهاء . وقال : اختار أبو أحمد محمد بن تمام : « يا أحسن الليل مركباً » وقاسه على قول الآخر :

يا حبذا القمراء والليل الساج وطرق مثل ملاء النساج

وقال إنه أراد التهوين لا التهويل ، فلو عناه لقال « أصعب » و « أوعر » ، ولم يسمع مركب خشن . وقال ابن المستوفى عقبة : رواية « أحسن » أحسن عندى فى المعنى لما دل عليه ما بنى عليه جميع ما ذكره من الأبيات ، ولأن التهوين هنا أولى من التهويل . والأول معناه أن الليل وإن كان خشن المركب فلا يركبه إلا الخشن ولا يهوله . وقوله « أراد يا عاذلتاه فحذف الهاء » هذا إنما يكون فى الوقف ولا وقف هنا ، و « عاذلتا » بالألف أحد الوجوه فى المنادى المضاف إلى المتكلم وهى : يا غلامى ويا غلام ويا غلاما بالألف ، وقالوا يا غلامى بتحريك الياء ، والأول أعرف .

(١) س : « دعينى » وبهامشها : ويروى « كلينى » .
(٢) ل : « وأحوال الزمان » .
(٣) م : « أقاسها » — ل : « أعانها » .
(٤) البيت من معلقة امرئ القيس . (العقد الثمين ص ١٤٨) .
(٥) وهى رواية م ، ل ، د .

٦ دَعِينِي[١] عَلَى أَخلاقِيَ الصُّمِّ[٢] لِلَّتِي
هِيَ الوَفْرُ أَو سِرْبٌ تُرِنُّ نَوادِبُهْ

[ع] يُريد أنه عَزَم على أمر لم يسمع قولَ العاذل فكأنّ أخلاقَه صُمٌّ على معنى الاستعارة . وقوله « للتى هىَ الوَفْر » أى للرّحْلة التى تُؤَدّينى إلى الوَفْر أى المال . يقول : دَعِينى أرتَحِل ، فإنّما أن أتموّلَ وإمّا أن يَقوم علىّ سِرْبُ نساءٍ يَندُبْن ، و « السِّرْب » الجماعَة من النِّساء والوَحْش والطَّيْر .

٧ فإنَّ الحُسَامَ الهُنْدُوَانِيَّ إنَّمَـا
خُشُونَتُهُ[٣] ما لَمْ تُفَلَّلْ مَضَارِبُهْ

(ق) : معناه أنّ العزمَ منّى والسَّعْى وتَكلّف المشاقّ فى طَلَب الأرزاق إنما يتأتّى ما دمت شابًّا لم تَهدّنى الأيّام ولم تُوه قوايَ السِّنون ، فأمّا إذا استبدَلت بالقُوّة ضَعْفًا ، وبالشَّبِيبة هَرَمًا ، وبالخشونة لِينًا ، فإنى أنبُو نُبُوّ السَّيف الكَهَام .

٨ وقَلْقَلَ نَأْىٌ[٤] مِنْ خُراسانَ جَأْشَها
فقُلْتُ اطمَئِنِّى أَنْضَرُ الرَّوْض عَازِبُهْ

« جأشَها » أى جأشَ العَاذلة ، و « العازبُ » البَعيد ، يقال : إنَّ

---

(١) هـ س : ويروى « كلينى إلى » .

(٢) س : « الصمل التى » — وجاء فى ظ : وروى الصولى : « دعينى إلى أخلاق الصمل » ، وفيها : ويروى « الغرر التى » و « الغر التى » . وفيها أيضاً ويروى « الصمل » ، وقال : وهى جمع صامل وهو الصلب الشديد .

(٣) جاء فى ظ : ويروى « خشوبته » بالخاء والباء ، من قولهم الخشيب السيف الذى بدئ طبعه ، والخشيب أيضاً الصقيل وهو من الأضداد ، قاله الجوهرى : وفيها أيضاً : وروى الخارزنجى : « ما لم تنقل مضاربه » أى إذا لم ينقل من مدوس إلى مدوس بالصقل فإذا تعاورته المدارس ذهبت خشونته واستوى متنه ، وكذلك أنا لا أصبر مجرباً ما لم أبتذل نفسى فأمتهنها .

(٤) ل ، د : « نأى » .

الجأشَ القَلْب ، وقيل بل هو الصَّدْر مثل الجُؤْشُوش ، واشتقاقُها واحد ، ومنه قولُهم هو رابط الجأش أى يَرْبِط جأشَه فَيمنَعُه أن يَطِير ، فكأنّه قد رَبطه ، ويكون « الجأشُ » مفعولاً ، والآخر أن يكونَ فى تأويل هو رابِطٌ جأشُه فيكون « الجأش » فاعلاً كأنّ قَلْبَه يَربِطُه عن الفرار ، وهذا نحوٌ من قولهم طارَ قَلْبُه فَزَعًا ، إلاّ أنه نَقيضُه . [ص] يقول : أحزنها بُعْدى إلى[1] خراسان ، فقلتُ اسكُنى فإنّ الرَّوْضَ أنْضَرُه ما بَعُدَ ولم يكن قريبًا فيُنال[2] .

٩ ورَكْبٍ كأَطرافِ[3] الأَسِنَّةِ عَرَّسُوا
عَلَى مِثْلِهَا واللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهْ

[ق] يجوز أن يكون شبَّه الرَّكْبَ بالأسِنَّة مَضَاءً ونَفَاذًا ، ويجوز أن يكون شبَّههم بها نَحافةً وهُزَالاً . فأمّا قولُه «عرّسوا على مِثلها » فيجوز أن يكون أراد : جعلوا تَعْريسهم على ظُهور إبلٍ دقاقٍ مَهازيل لأخذ السفَر منها وتأثيره فيها ، ويجوز أن يكون أراد : نزَلوا بمنزل سَوْءٍ ومكانٍ شَثِنٍ صَعْب فكأنهم على الأسِنَّة قَلَقًا ونُبُوَّ جَنْب * كقوله[4] :

وللموتُ خيرٌ مِن حياة كأنّها مُعَرِّسُ يَعْسُوب برأس سِنان

١٠ لِأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ
ولَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهْ[5]

---

(١) فى ظ : ويجوز أن تكون « من » هنا بمعنى « إلى » وحروف الجر يقوم بعضها مقام بعض . ويجوز أن تكون لابتداء الغاية أى ابتداء البعد عن خراسان .

(٢) قال ابن المستوفى : قالوا وعاب هذا على أبى تمام عبدُ الله بن طاهر فقال جعلنى عازبًا ، والعازب البعيد ، وأنا أدعى فى كل وقت . (٣) م ، ل : « كأمثال » .

(٤) يريد كقول الأول كما جاء فى ظ . وهذا البيت مما استشهد به أبو العلاء فى شرحه على بيت أبى تمام . (٥) قال الصولى : نقل هذا المعنى من قول بعض العرب ، أنشده أبو محلم :

غلام وغى تقحمها فأبلى فخان بلاءه الزمن الخؤون
وكان على الفتى الإقدام فيها وليس عليه ما جنت المنون

(أخبار أبى تمام ص ٥٣) .

١١ عَلَى كُلِّ رَوَّادِ[1] المِلَاطِ تَهدَّمَتْ
عَرِيكَتُهُ العَلْيَاءُ وانْضَمَّ حَالِبُهْ

١١ — [ع] « رُوَّاد » من قولهم رَادَ يَرُود إذا ذَهَب وجاء . و « المِلَاط » رأس الكَتِف ، وقيل هو العَضُد . وأن يكون الكتفَ ورأسَها أوْلَى ، لأنهم يقولون للعَضُدين ابنا مِلاط ، وهم يَصفون الإبلَ بمَوْر الأعضاد ، مِن قولهم مارَ يَمُور إذا ذَهَب وجاء . و « العَرِيكة » السنام ، وإنما سُمِّيَ عَرِيكةً لأنه يُعرَك باليَد لِيُنظَرَ ما حالُه فى السِّمَن والهُزَال ، ويجوز أن يكون قيل له عَرِيكةً لأنه يُعرك بالرَّكُوب والحمْل . وقوله « العَلْياء » جاء بها كالمستعارة ، وليس هذا من مواضع العَلياء الممدودة ولكنه من مَواضع « العُلْيا » فى وزن « الفعْلى » لأنك لو قلتَ تَهدَّم سَنامُه لقلتَ الأعْلى ، والفُعْلى أنثَى الأفعل . و « الحالِب » عِرْقٌ يَتَّصل بأسْفَل البَطْن ، يَعنى أنه قد ضَمَر .

١٢ رَعَتْهُ الفَيافِى بَعْدَما كانَ حِقْبَةً
رَعَاهَا وَمَاءُ الرَّوْض يَنْهَلُّ سَاكِبُهْ

« الفَيافى » الأماكن الخالية . والمعنى : أنه قُطِعت عليه القِفارُ من الأرض فَهُزِلَ بعد ما كان سَمِينًا ، فكأنَّها رَعَتْه بعد ما رَعَى نَبَتَها .

١٣ فَأَضْحَى الفَلَا قَدْ جَدَّ فى بَرْىِ نَحْضِهِ[2]
وكان زَمَاناً قَبْلَ ذَاكَ يُلَاعِبُهْ

« الفَلا » جمعُ فَلَاة وهى القَفْر من الأرض ، وإذا كان الجمعُ بينَه وبينَ واحده هاءُ التأنيث جاز فيه التَّذكيرُ والتأنيث ، مثل أرْطاة وأرْطَى ، وسِدْرة وسِدْر . و « البَرْى » من قولهم بَرَيْتُ العُودَ والقَلَم ، وأصل البَرْى القَطْع ، ويقال بَرَاه السَّفر كأنَّه أخذَ مِن لحمه كما يُؤخذ من العُود إذا بُرِىَ .

(١) ل ، د ، ظ ، هـ س : « موار الملاط » .
(٢) د : « شخصه » .

و « النحّض » اللحم . [ع] يقول : جَدَّ الفلاة بَرْى هذا المركوب لأنّا جَدَدنا فى السَّيْر ، وكان قبل ذلك كأنّه يُلاعبه ، ويحتمل أن يعنى بالملاعبة أيّامَ رَعاه ، لأنّ اللّعبَ إراحةٌ وأشَر ، والجِدّ لا راحةَ فيه .

١٤ فكَمْ جِذْعِ وَادٍ جَبَّ ذِرْوَةَ غَارِبٍ
وبالأَمْسِ كانَتْ[1] أَتْمَكَتْهُ مَذَانِبُهْ؟!

« جِذْع الوادى » مُنْعَطَفه ، و « جَبَّ » أى قَطَع قَطعًا باستئصال ، [ع] و « الذِّرْوَة » أعلى الشىء ، وقد يُسمَّى السَّنامُ ذِرْوة ، فيجوز أن يعنى بقوله « ذِرْوَةَ غارب » أعلَى الغارب وهو ما قُدَّام السَّنام ، ويُمكن أن يعنى السَّنامَ الذى هو يَلِى الغارب ، والذِّرْوة فى هذا القول ليست من الغارب ، وهى فى القول الآخر بعضُه . و « أتمكَتْه » أسمنَتْه وأطالَتْه ، و « المَذانِب » مَسايلُ الماء فى الأوْدية ، وهذا المعنى قد تكرّر فى الأبيات ، وبعضُها شرحٌ لبعض * ، ونحوٌ منه قَوْلُ الشاعر :

رَدَّتْ عَوادىَّ غِيطانَ الفَلا ونَجَتْ بمثل أيبالةٍ من حائل العُشَرِ[2]

١٥ إليْكَ جَزَعْنَا مَغْرِبَ الشَّمْسِ[3] كلَّمَا
هَبَطْنَا مَلاًّ[4] صَلَّتْ عليكَ سَبَاسِبُهْ

أراد بـ « مغرب الشمس » الشَّامَ ، « جَزَعنا » أصلُه مِن جَزَعْتُ الوادىَ إذا قطعتَه إلى الجانب الآخر ، ومنه قيل جِزْعُ الوادى . وهذا كثير فى المصدر والاسم ، تقول جَزَعتُ جَزْعًا وطَحَنْتُ طَحْنًا وذَبَحْتُ ذَبْحًا ، فيكون المصدر مفتوحًا ويُكسر الاسمُ من ذلك ، فتقول الجِزْع والذِّبح والطِحْن .

---

(١) ظ : « وكانت قديماً » .

(٢) يريد أنها ناقة قوية على الرحلة لا تبالى ما تلقى من أهوال الطريق ومصاعبه ، فإنها تنجو بأرجلها المشبهات حزمة من سيقان العشر الحائل اللون ، والعشر شجر ضخم حسن المنظر .

(٣) س : « مغرب الملك » وبهامشها رواية الأصل .

(٤) س : « وسطنا فلا » – م ، د ، ظ : « وسطنا ملا » .

و« المَلا » الأرض الواسعة ، وأصلُ « الهُبُوط » الانحدارُ ، وجَرَى الاصطلاحُ على أن يقولوا نزلنا أرض كذا وهبطناها إذا حلّوها وإن كانت مُرتفعة ، وأصل ذلك أنّ الرّاكبَ ينزل عن ظهر دابته فيكون كالهابط .

١٦ فلَو أنَّ سَيْرًا[1] رُمْنَهُ فَاسْتَطَعْنَهُ
لَصَاحَبْنَنَا سَوْقاً إليكَ مَغَارِبُهْ

[ع] قوله « رُمْنَهُ » أعادَه على « السَّباسِب » ، وقد يجوز أن يعنى بـ « رُمْنَ » المغارِب ، ويكون قولُه « صاحَبْنَنَا » على مَجرَى قول الفرزدق :

ولكنْ دِيافيٌّ أبـوهُ وأمُّـه بِحَوْرانَ يَعصِرْنَ السَّلِيطَ أقاربُهْ[2]

ولو رُوِى « لَصَاحَبنَا » لكان وجهًا ، إلاّ أنه أنِسَ بالنون لقوله فى أول البيت « رُمْنَه » و « استَطعْنَه » .

١٧ إلى مَلِكٍ لم يُلْقِ كَلْكَلَ بَأْسِهِ
عَلَى مَلِكٍ[3] إلاَّ وَلِلذُّل جَانِبُهْ

« كَلْكَل بأسِه » أى صَدْرُه ، استعارَه للبأسِ وأصلُه للحيوان .

١٨ إلى سَالِبِ الجَبَّارِ بَيْضَةَ مُلْكِهِ
وآمِلُهُ غَاد عليهِ فَسَالِبُهْ

[ع] « بيْضَةُ مُلْكِه » يحتمل وجهين : أحدهما أن يعنى بالبَيْضة مُعْظَم الشيء وأكرمَه وحقيقتَه ، وهذا هو الوَجه الجيِّد ، وممّا استعملوا فى البَيْضة وكونِها مُعظمَ الشيء وحقيقتَه قولُ الشَّمّاخ :

طوَى ظِمْأها فى بَيْضَةِ الصَّيْفِ بعدمَا جَرَتْ فى عِنانِ الشَّعْرَيْنِ الأماعِزُ[4]

---

(١) هـ س : ويروى « فلو أن شرقاً » .
(٢) الديوان ص : ٥٠ .
(٣) هـ ب : « على فاكث » .
(٤) الديوان : ص ٤٤ .

ويجوز أن يُقدَّر كلّ واحد من المفعولين ها هنا سَلْبًا ومَسلوبًا فيكون مرةً على قولك سَلبتُ الجبَّار بيضةَ مُلْكه والجبَّارُ هو المسلوب والبَيْضةُ هي السَّلَب، ومرةً على أن يكون « البيضةُ » مقدَّرةً على معنى المفعول الأوّل ويكون « الجبَّارُ » هو السَّلَب .

١٩ وأَيُّ مَرَامٍ عنهُ يَعْدُو نِيَاطُهُ[١]

عَدَا أَوْ تَفُلُّ[٢] الناعجاتِ أَخَاشِبُهْ؟

يقع فى بعض النسخ « نِياطُه غدًا » وفى بعضها « مَدًى » والصوابُ ما أثبت وفُسِّر فلا يُعدَل عنه إلى غيره . (ع) . « عَدا » من قولهم عَدانى عن الشيء إذا صَرَفنى عنه ، ويَستعملون « النِّياط » فى معنى البُعْد ، وأصلُ النِّياط مِن ناطَ الشيءَ بالشيء إذا علّقه به ، وإنما قالوا إذا ذكروا الحَزْن أو المهمَة قطعت نِياطَه أى قطعتُ ما اتصلَ من أرضه . و « والأخاشِب » جمع أخشَب وهو المكان الغليظ ، وربما قالوا هو الجبل . و « الناعِجات » من الإبل التى تَسير النَّعَجان وهو ضَرْب من السَّير . و « نِياطه » فى البيت مرفوع بـ « يَعدو » . والمعنى أنه استَفهَم فقال : وأىّ مَرام مُستصعَب جرَت عادتُه بأن يَعدو نِياطُه السائرين عَدانا عن قَصْد هذا الممدوح ؟ كما تقول : أىّ خَطْب يَمنع من السَّير منعنى من السير إليك ؟ أى إنى لا أعتاقُ عنك . هذا كلامُ أبى العلاء فى هذا البيت . وقال المرزوقى : « أو تَفُلّ » رفع معطوف على « يعدو » والمعنى : أىّ مَطلب يَصرف بُعْدُه عن هذا الممدوح أو تُكَسِّر وتُثَلِّم هضابُه وأوعارُه الإبلَ السِّراع دُونَه ؟ أى لا تُستبعَد المطالبُ فى جَنْبه ولا تُستوعَر الطُّرُق دونَه ، والدليلُ على صحةِ هذا التفسير قوله :

---

(١) هى رواية س ، م – د ، هـ ب : « يبعد شأوه مدى » وهى رواية أبى مالك كما قال الصولى فى ظ . وقال الصولى أيضاً : ويروى : « أى مرام عنه يعدوه شأوه مدى » . ويظهر أن رواية الآمدى « عدا » مقصور « عداء » قال فى شرحه : « عدا » جاء به مقصوراً ضرورة وهو ممدود نعت للمرام ، والعداء الخشن ، ومكان متعاد إذا لم يستقر فيه شىء لغلظه وخشونته ، يريد : أى مرام عداء يصرف عن سبيله . . .

(٢) م ، ظ : « أو تكل » .

٢٠ وقَدْ قَرَّبَ المَرْمَى البعِيدَ رَجَاؤُهُ
وسَهَّلَتِ الأَرضَ العَزَازَ كَتَائِبُهْ

[ق] وإذا جُمعَ بين البيتين فتلخيصهما : أىّ مَرام يعدو نِياطُه عنه وقد قَرَّب المرمَى البعيدَ رجاؤه ، وكيف تَفُل الناعجات أخاشبُه وقد سَهَّلت الأرضَ العَزازَ كتائبُه ؟ ! وأكثر من رأيناه كان يروى « أو تَفُلّ » بفتح اللام ، كأنّه يريد « إلاّ أن تفلّ » ويكون المعنى عنده : أنه لا يَقصُره عنه بُعْد إلاّ أن تُسقِط الأخاشبُ إبلَه وتَكسِرَها فيُحال بينَه وبينه ، وهذا بما رَويناه وفسّرناه ظاهرُ السقوط والفساد . * و « العَزَاز » الصُّلْب من الأرض .

٢١ إِذَا أَنْتَ وَجَّهْتَ الرِّكَابَ لِقَصْدِهِ
تَبَيَّنْتَ طَعْمَ المَاءِ ذُو أَنْتَ شَارِبُهْ

[ع] طَىّ تَستعمل « ذُو » فى معنى « الذى » وتُلزمُها الواوَ فى الرَّفع والنَّصْب والخَفْض ، وأنشد :

قُولا لهذا المرءِ ذُو جاءَ ساعيًا هلُمَّ فإنَّ المَشرفىَّ الفرائضُ

والمعنى أنك إذا سِرتَ إلى هذا الملك تبينتَ اليُمنَ والتيسيرَ فى مَسيرك ، فكأنك من قبل الوِرْد تجد طعمَ الماء الذى تَرِد ، وتعلم أنه نهايةٌ فى العذوبة ، يريد الماءَ الذى أنت شاربُه من بعد .

٢٢ جَدِيرٌ بِأَنْ يَسْتَحْيِيَ اللهَ بَادِياً
بِهِ ثُمَّ يَسْتَحْيِى النَّدَى ويُرَاقِبُهْ

(ق) : يعنى أنَّ الممدوحَ يَبعثُه على الكَرَم والصبرِ على الإنفاق فى إقامة معالم الندَى وإحيائها أمران : أحدهما الحياء من الله فى إقامة المعاذير عند ترك البَذل ، والثانى الحياءُ من السخاء ومراقبة المروءة ، فرَغْبتُه فى اكتساب رضا الله بالنَّدَى ، وجَهدُه فى عمارة المروءة وتحصيل الثَّناء من الناس ، يَهزّانه للبَذل ويُصَبِّرانه على ما يَلحق النفس فيه من التعب . [ع] و « يستحيى »

الثانية رفعها لمكان القافية ولأنه لا يمكن فيها غيرُ ذلك ، ولو جعلتَها فى موضع نصب لكان قد أسكنَ الياء فى موضع التحريك وذلك ردىء ، والكوفيُّون يرون أنَّ الناصبَ إذا لم يَصحب الفعل فرفعُه جائز ، ورفعُه « يستحيي » أوكدُ لرفع « يُراقبُه » لأنَّ المرفوعَ يكون تابعًا لمثله .

٢٣ سَمَا لِلْعُلَى مِنْ جَانِبَيْهَا كِلَيْهِمَا
سُمُوَّ عُبَابِ المَاءِ جَاشَتْ[1] غَوارِبُهْ

٢٤ فنَوَّلَ حَتَّى لمْ يَجِدْ مَنْ يُنِيلُهُ
وحَارَبَ حتَّى لمْ يَجِدْ مَنْ يُحارِبُهْ

٢٥ وذُو يَقَظَاتٍ مُسْتَمِرٍّ مَرِيرُهَـا
إذا الخَطْبُ لاقَاهَا[2] اضمَحَلَّتْ نَوَائِبُهْ

٢٥ – [ع] أصل «المَرِيرة» القوة من قُوَى الحَبْل ، ويقال للحبل مَرِيرة إذا كان دقيقًا شديد الفَتْل ، وهو من أمررتُه إذا أحكمتَ فتلَه ، ثم قالوا للشيء إذا اطَّرَد وتتابع على حالة واحدة قد استمرَّ على مَرِيرِه .

٢٦ وأَيْنَ بِوَجْهِ الحَزْمِ[3] عَنْهُ وإِنَّمَـا
مَرَائِى[4] الأُمور المُشْكِلاتِ تَجَارِبُهْ؟

يقول أين يُعدَل عنه بوجه الحزم ؟ وتُضمِر الفعل ، أى كيف يُبهَم عليه وجهُ الرأى وهو ينظر بتجاربه إلى العواقب فكأنه ينظر إليها بالمرائى جمع مِرْآة .

---

(١) س : « البحر » .
(٢) د : « لاقاه » .
(٣) د : « بوجه الرأى » .
(٤) هـ س : « مراى الأمور » .

٢٧ أَرَى النَّاسَ مِنْهَاجَ النَّدَى بَعْدَماعَفَتْ
مَهَايِعُــهُ المُثْلَى ومَحَّتْ لَوَاحِبُهْ[١]

« مَهايع » جمع مَهْيَع وهو الطريق الواسع السابِل بالناس وغيرهم ، كأنه أخذ من قولهم هاعَ يَهيع إذا قاء ، يُراد أنه يقيء الناس . و « المُثْلَى » التى لها الفضل والطَّوْل ، وإنما أخذ من قولهم مَثَلَ الشيءُ إذا ظهر ، ثم قالوا هذا أمثلُ من هذا أى أظهرُ وأرْفَع ، فالمُثْلَى هو أنثى الأمثل . « ومَحَّتْ » من مَحَّ الثَّوْبُ إذا خَلَق . و « لَواحِب » جمع لاحِب وهو الطريق الواضح . و « المِنهاج » الطريق الواضح وهو المَنْهج والنَّهْج .

٢٨ فِى كُلِّ نَجْد فى البِلاَدِ وغَائِرٍ[٢]
مَوَاهِبُ لَيَسَتْ مِنهُ وهْىَ مَوَاهِبُهْ

[ع] يعنى : « غائر » غَوْرًا ، وكأنه على حَذف الموصوف ، تقديره وفى كل نجد ومكان غائر . [ق] يقول : عرّف الناسَ طريق النَّدَى وعلّمهم الجود ، فكان ما يَتكلَّفونه منه ويُقيمونه هو الفاعلُ له ، إذ كان هو السبب فيه والقُدْوة ، ويَدُلّ عليه البيتُ الذى قبله * أرَى الناسَ منهاجَ النَّدى بعد ما عفَتْ * : أى درستْ[٣] .

٢٩ لِتُحْدِثْ لَهُ الأَيَّامُ شُكْرَ خناعَةٍ[٤]
تَطِيبُ صَبا نَجْدٍ بِهِ وجَنَائِبُهْ

« شُكْرَ خَنَاعةٍ » أى شُكرًا عن ذِلَّة ، من قولهم خَنَعَ إذا ذَلَّ .

---

(١) ترتيب هذا البيت فى س يأتى بعد التالى له .
(٢) د : « فى كل شرق فى البلاد ومغرب » وروتها ظ .
(٣) قال ابن المستوفى : أخذ المعنى من قول أبى نواس وزاد عليه :
عــلم النــاس النــدى فندوا فكأن البخــل لم يكن
(٤) قال الصولى : ويروى « لتشكر له الأيام » وقال : ويروى « شكر ضراعة » .

٣٠ فوَ اللهِ[١] لَوْ لَمْ يُلْبِسِ الدَّهْرَ فعْلَهُ[٢]
لَأَفْسَدَتِ المـاءَ القَرَاحَ مَعَايِبُهْ

« القَرَاح » الخالص الصافى و « مَعايب » لا تُهمز لأنَّ ياءَها أصليَّة ، يقول : لو لم يلابِس الدَّهرَ بعدلِه لفسدَ كلّ صالح .

٣١ فيَا أَيُّهَا السَّارِى اسْرِ غَيْرَ مُحَاذِرٍ
جَنَانَ ظَلامٍ أَو رَدًى أَنْتَ هَائبُهْ

يعنى : « الجَنَان » ما ستَرَ من ظُلمته ، ويقال جَنَان وجنون .

٣٢ فَقَدْ بَثَّ عَبْدُ اللهِ خَوْفَ انتِقَـامِهِ
عَلَى اللَّيْلِ حَتَّى مَا تَدِبُّ عَقَارِبُهْ

أى مَن كان لا يَسرى خَوْفًا وفَزَعًا فليسْرِ فإنّ عبدَ الله مَنَع الدَّهْر من عَوادِيه .

٣٣ يَقُولُونَ إِنَّ اللَّيْثَ لَيْثُ خَفِيَّةٍ
نَوَاجِـذُهُ مَطْرُورة ومخالِبُهْ

[ع] « خَفِيَّة » اسم موضع تُنسَب إليه الأسْد ، غير مصروف و « المَطْرورة » المحدَّدة ، والأجود أن يكون « ليثُ خفية » مرفوعًا على خبر « إنَّ » ، ويكون على تقدير قولهم الرجلُ فلان ، أى الرجلُ الذى حقُّه أن يُذكر ويُوصَف ، والمعنى الليثُ الذى يُرهَب فتُتَّقى صعولتُه ليثُ خَفِيَّة ، فإنْ نَصَب « ليثَ خفيَّة » على البَدَل ضَعُف المعنى ، لأن الغَرَض يصير أنه أخبرَ عن ليث خفيَّة بأن نَواجِذَه مَطرورة ومَخالبَه ، وهذا معلومٌ لا يَفتقِر إلى الإخبار عنه ، وكلّ ليث فى الأرض يُوصَف بمثل ذلك ، إلاّ أنه على ضعفه قد يحتمل أن يقال .

---

(١) هـ س : « فأقسم » .
(٢) د : « شكره » .

٣٤ وما اللَّيْثُ كُلُّ اللَّيْثِ إلاَّ ابنُ عَشْرَةٍ
يَعِيشُ فُوَاقَ نَاقَةٍ وهْوَ رَاهِبُهْ

[ق] يريد أنّ الناسَ إذا ذكروا الشدّة والجلادة وقوةَ القلب والثباتَ فى اللِّقاء نسبوها إلى الأسْد الصَّلْبة الأنياب المحدَّدة المخالب، وليس الليثُ النامّ الليثيَّة إلاّ صاحبُ جِناية على هذا الممدوح يَعيش مقدارَ ما بين حَلْبتَىْ ناقة على معرفته به وخوفه منه * . [ع] والرّواة مجمعون على إضافة « فَوَاقَ » إلى «ناقة» مع بيان الزِّحاف . ولو رواه راو « فُواقًا ناقةٌ » فنَصَب « الفُوَاق » ونوّنه لجازَ فى العربيَّة ، ولا ينبغى أن يُعدَل عن الرواية الأولى . ووجه الروايةِ الثانية أن يكون التقديرُ : يعيش فُوَاقًا فُواقَ ناقةٍ ، فحذَف « فُواقًا » الأول ، كما قال جلّ وعزّ « وسَل القرية » وأقامَ الاسمَ الثانى مقام الأول * كما قال :

كأنّ خِزًّا تحتَهُ وقَزًّا
أو فُرُشًا مَحشُوَّةً إوَزًّا

أى ريش إوَزٍّ (١) .

٣٥ ويَوْمٍ أَمَامَ المُلكِ دَحْضٍ وَقَفْتُهُ
ولَوْ خَرَّ فيهِ الدِّينُ لا نْزَالَ كاثِبُه

[ع] مكان دَحْض أى يُدحَض عنه ، يقال دَحَض إذا زَلَّ . ويروى « لانهال كاثِبُه »(٢) و « لانهدّ كاثِبُه » فإذا روى « انهال » فهو من هِلتُ التّرابَ أهيله إذا دفعتَه بكثرة ، وكذلك هلتُ الدقيقَ ونحوَه . « وكاثِبُه » من قولك كتَبتُ الشيءَ إذا جمعتَه ، ومنه قيل للرَّمْل المجتمع كَثِيب أى كأنه قد جُمع ، وإذا صحَّت الروايةُ على هذا اللفظ فالمعنى مُرادٌ به المبالغة ، وذلك أنّ الكَثِيبَ هو الذى جرَت عادتُه بالانهيال ، فإذا انهال الكاثبُ فهو أعظمُ للشأن وأشدّ

(١) قال ابن المستوفى فى الرد على أبى العلاء : هذا تأويل بعيد ، واحتمال هذا الزحاف فى أشعارهم الموجود فى أوزانهم أولى من هذا القياس القليل وجوده ، على أنى قد رأيت فى غير نسخة « يعيش فواق ناقة » على تثنية « فواق » ، ورواية « فواق » مفرداً مزاحفاً أحسن منه مثنى ومنوناً .

(٢) هى رواية م ، ظ ، د ، هـ س .

للخَطْب ، وهذا كما تقول : لئن لَبِس فلانٌ ثَوْبًا لأخرّقنّ اللابس ، فهذا أشدّ مبالغةً من تخريق الملبوس . واستعار الانهيالَ للكاثب ، وقَوِيت الاستعارةُ ها هنا لمّا كانت اللفظةُ مستعملةً للكثيب . ومَن روى « لانهدّ كاتِبُه » جاز يكون من الكاثبة وهى موضع يدِ الفارس بالرّمح من ظهر الفَرَس ، من قول النابغة :

لَهُنّ عليهم عادةٌ قد عرفنَها إذا عُرِض الخَطِيُّ فوقَ الكواثبِ (١)

وتُستعمَل الكاثبةُ فى الإنسان وهى الكَتَد أو نحوه ولا يُعرف إلاّ بالهاء ، فإن كانت اللفظةُ يراد بها ذلك فيجوز أن يكون حذف الهاء لمكان الإضافة ، لأنهم يجرؤون على حذفها مع المضاف ، كما قالوا إلاحُ الرجلِ يريدون إلاحتَه ، وقام وُلاها أى وُلاتها ، * قال الراجز :

* قامَ وُلاها فسقَوْها صَرْخَدَا *

وقال كُثيّر :

ألاحَتْ بالبَرْقِ اليمانى وقد بَدَتْ من الهَجْرِ أشراطٌ له وهو رائح (٢)

وأراد بالكاثب أصل العُنق . ومعنى البيت : أنك وقفتَ قُدّام المُلك تَذُبّ عنه فى منزلةٍ لو سقَط فيه الدّينُ لاندقّتْ عُنُقه .

٣٦ جَلَوْتَ بِهِ وَجْهَ الخِلَافَةِ والقَنَا
قَدِ اتَّسَعتْ بَيْنَ الضُّلُوعِ مَذَاهِبُهْ

٣٧ شَفَيْتَ صَدَاهُ والصَّفِيح مِنَ الطُّلَى
رُوَاءٌ نَوَاحيهِ عِذَابٌ مَشَارِبُهْ

[ع] « الصَّفِيح » جمع صفيحة وهو السيف العريض ، و « الطُّلَى » جمع طُلْيَة وهى صفحة العُنُق * وربما قيل فى واحد الطُّلَى طُلاةٌ .

---

(١) الديوان ص : ٤٣ . (٢) لم أجده فى ديوان كثير المطبوع بالجزائر .

(٣) م : « سقيت صداه » – س : « رضيت صداه » – وجاء فى ظ ؛ وروى الخارزنجى : « نقعت صداه » ، وروى « رضيت جاه » وقال وفى حاشية النسخة العجمية : « رميت صداه » أى عطش اليوم بالدماء .

٣٨ لَيالَىَ لمْ يَقْعُدْ بسَيْفِكَ أَنْ يُرَى
هو المَوْتُ إلاَّ إنَّ عَفْوَكَ غَالِبُهْ[١]

يقول : لمَّا قَدَرْت عفوت عَفْوُك سيفَك .

٣٩ فلَوْ نَطَقَتْ حَرْبٌ لَقَالَتْ مُحِقَّةً :
أَلاَ هَكَذَا فليَكْسِبِ المَجْدَ كَاسِبُه

٤٠ لِيُعْلَمَ أَنَّ الغُرَّ مِنْ آلِ مُصْعَب
غَدَاةَ الوَغَا آلُ الوَغَا[٢] وأَقاربُهْ

٤١ كَوَاكِبُ مَجْدٍ يَعْلَمُ اللَّيْلُ أَنَّهُ
إِذَا نَجَمَتْ[٣] باءَتْ بِصُغْرٍ[٤] كَوَاكِبُهْ

٤٢ ويا أَيُّها السَّاعى لِيُدْرِكَ شَأْوَهُ
تَزَحْزَحْ قَصِيًّا أَسْوَأُ الظَّنِّ كَاذِبُهْ

٤٣ بِحَسْبِكَ مِنْ نَيْلِ المَنَاقِبِ[٥] أَنْ تُرَى
عَلِيماً بِأَنْ لَيسَتْ تُنَالُ مَنَاقِبُهْ

[ع] يريد حسبُك فزاد الباء ، وهى تُزاد مع « حَسْب » فى الابتداء . ومنه قولُ الأول[٦] :

---

(١) جاء فى ظ قال الصولى ويروى : « يبيد العدى والعفو عندك غالبه » .
(٢) جاء فى ظ : ويروى « أسود الوغى أصهاره وأقاربه » .
(٣) س : « إذا أنجحت »
(٤) قال الصولى ويروى « باءت بذل » وهى فى هـ س ، وروتها ظ — وقال الصولى أيضاً : ويروى « باتت » وهو تصحيف .
(٥) د : « المراتب » .
(٦) البيت فى اللسان (مادة : ضرر) فى أبيات للأشعر الرقبان الأسدى .

بحسبِكَ فى القوم أن يعلموا بأنك فهم غَنِيٌّ مُضِرّْ

أى لك ضَرَّةٌ من المال . و « المناقب » المكارم واحدها مَنقبة ، كأنها أخذت من أنها تَنقُب الصَّخْرَ من عِظَمها ، وتَنقُب قلْب الحَسود ، وقيل إنما سُمِّيت مَنْقَبَة لأنها يُنْقَب عنها أى تُظهَر وتُكْشَف .

٤٤ إِذَا مَا امْرُؤٌ أَلْقَى بِرَبْعِكَ رَحْلَهُ

فَقَدْ طَالَبَتْهُ بِالنَّجَاحِ مَطَالِبُهْ

١٧

وقال يمدح إسحق بن إبراهيم بن مُصْعَب :

١ قُلْ للأَمِيرِ الَّذِى قَدْ نَالَ ما طَلَبا
ورَدَّ مِنْ سَالِفِ المعْرُوفِ ما ذَهبَا[1]

الأول من البسيط والقافية متراكب .

أى قد أعاد من المعروف ما قد دَرَس .

٢ مَنْ نَالَ من سُؤدَد زَاكٍ[2] ومِن حَسَبٍ
ما حَسْبُ واصِفِه مِن وَصْفِهِ حَسَبَا

[ع] « مَن نال » بدل من الأمير ، وينتهى الكلام عند قوله « ما حَسْبُ واصِفِه من وَصفه » كما يُقال حَسبُك مِن فَضْل فلان ، وتسكت ويكون الكلام تامًّا ، ثم نَصَب « حَسَبًا » على التفسير . أى وَصْفُ حَسَبِ هذا الرجل حَسَبٌ لواصِفه فالشُّعراءُ يفتخرون بمدحه .

٣ إِذَا المكَارِمُ عُقَّتْ واسْتُخِفَّ بهـا
أَضْحَى النَّدَى والسَّدَى أُمًّا له وأَبَا

أى إذا عُقَّت المكارمُ واستُخفَّ بها ، أى رفضوها ، فإنه يَبَرُّها كبرّ الأمّ والأبِ . و« السَّدَى » و « النَّدَى » متقاربان ، وربما فرّق أصحابُ النقل بينهما ، وقال بعضهم : النّدى ما لم يكن فوق الأرض ، والسَّدى ما وقع على التراب ، وقيل : السَّدى ما أصاب الروضَ والشجرَ من النّدى ، وقيل : بل

---

(١) رواية البيت فى س :

قل للأمير تجد للقول مضطربا وتلق فى كنفيه السهل والرحبـا

(٢) ظ : ويروى « من سؤدد باق » ، وهذا البيت والأبيات الأربعة التالية له لم ترد فى س .

هو ما سقط بالليل ، ثم نُقل ذلك إلى صفةِ الرجل ومدحه ، وهذه الأقوال مُتشابِهة مُتقاربة .

٤ تَرْضَى السُّيُوفُ بِهِ فى الرَّوْعُ مُنْتَصِرًا
ويغْضَبُ الدِّينُ والدُّنيا إذا غَضِبَا

٥ فى مُصْعَبِيِّينَ ما لاقَوْا مُرِيدَ رَدًى
لِلمُلْكِ إلَّا أَصَارُوا خَدَّه تَرِبَا

« مُصعَب » من أولاد عبد الله بن طاهر .

٦ كأَنَّهُمْ وقَلَنْسِى البِيضِ فَوْقَهُمُ
يَوْمَ الهِيَاج بُدورٌ قُلْنِسَتْ شُهُبَا

« قَلَنْسِى » أراد جمع قَلَنسُوة ، فلما حذفت الهاء ووقعت الواو طَرَفًا وقبلها ضمة قُلبت إلى الياء ، ومن قال قُلنْسِية فى الواحد قال قُلَنْس فى الجمع ، ولمّا بَنَى الفعْل من القلنسوة قال قَلَنْنَس فأثبتَ النون ، « وفَعْنَل » بناء قليل ، إلاّ أنه يجوز أن يُشبِّه بقولهم تمَسْكَن الرجل فظُنَّت الميم أصليَّة ،وكذلك النون فى قَلَنسُوة جُعلت كالأصلىّ والأصل قَلَس . قال الشيخ : يجوز « قَلَنْسُ البَيْضِ » و « قَلَنْسِى البيض » جميعًا ، فقَلَنْنَس جِنْس قَلَنسُوة مثل تمرٍ وتمرة ، وأمّا قَلَنْسى فهو فى الأصل قَلَنْسُوة بالواو ، وحذفوا الهاء ، ولمّا حذفوها رَدّوها إلى قَلَنْسٍ لئلا يكون اسمٌ فى آخره واوقبلَها ضَمّة .

٧ فِدَاءُ نَعْلِكَ[1] مُعْطًى حَظَّ مُكْرِمَةٍ
أَصْغَى إلى المَطْلِ حتَّى باعَ ما وَهَبَا

أى يَفدِيك مَنْ مُكِّن من العطاء وفِعْل المكارم فوعد وأحوج السائل

(١) س : « فدى لنعلك » .

بالموعود إلى الترداد إليه بمطله إياه . حتى إذا أنجز وعدَه صار ما أعطاه مَبِيعًا لاهِبَةً ، لأنّ الآخِذَ كأنّه أخَذَه عِوَضًا عمّا لَحِقه من التعب لا أنه مُتبَرَّع عليه به .

٨ إنِّى وإنْ كانَ قَوْمٌ مَا لَهُمْ سَبَبٌ
إلا قَضَاءٌ كَفاهُمْ دُونِىَ السَّبَبَا[1]

يقول : أنا تَسبَّبتُ إليك بأسبابٍ ومَوَاتّ ، ، وهؤلاء ما لهم سَبَب سِوَى القَضاءِ الذى كفاهم السبَبَ دونى .

٩ وكُنْتُ أَعْلَمُ عِلْماً لا كِفَاءَ لَهُ
أَنْ لَيْسَ كُلُّ قِطارٍ يُنْبِتُ العُشُبَا[2]

« لا كِفاءَ له » أى لا مثال له ، أى أعلم أن كلّ مَطرٍ لا يُنبت العُشْب ، و « قِطار » جمع قَطْر .

١٠ ورُبما عَدَلَتْ كَفُّ الكَرِيم عن الـ
قَوْمِ الحُضُورِ ونالَتْ مَعْشَرًا غَيَبَا[3]

١١ لَمُضْمِرٌ غُلَّةً تَخْبو فَيُضْرِمُهَا[4]
أَنِّى سَبَقْتُ ويُعْطَى غَيْرِىَ القَصَبَا

١١ — أى أنا مُضمر غُلَّةً تَسكن أحيانًا ثم يُضرمها علمى أنّى سَبَقتُ ويُعطَى غيرى قَصَب السَّبق . و « الغُلّة » ما يجِده الرجل فى صدره من غيظ

---

(١) روايته فى س :
إنى وإن كان قومى ما لهم سبب رمـوا بصنع كفاهم عندك السببا
(٢) لم يرد هذا البيت والذى يليه فى س .
(٣) قال الصولى : ويروى « عن النصح المقيم ونالت حُسَّداً غيبا » .
(٤) س : « فى القلب يضرمها » .

أو حزن أو عطش ، وكانوا إذا أرسلوا الخيل فى السباق أقاموا رجلاً عند الغاية معه قصبة أو قصبات مُعلَّمة فيُعطى السابقَ قصبته ، ثم كذلك الذى يجىء بعده ، ويقولون جواد مُقَصَّب أى يُعطَى صاحبُه قصبة السَّبْق ، قال الراجز :

جاريتَ منه تيحانا مُهْذِبَا[1]
فاعضَضْ بفيكَ جَنْدلاً وأثْلَبَا
قد برَّكَ السَّبْقَ وحازَ القَصَبَا

١٢ ونادِبٌ رِفْعَةً قَدْ كُنْتُ آمُلُها
لَدَيْكَ لا فِضَّةً أَبْكِى[2] ولَا ذَهَبَا

ويروى : « ونادبٌ رَفعَ قَدرٍ كنتُ آمُلُه »[3] .

١٣ أَدعُوكَ دَعْوةَ مَظْلُومٍ وَسِيلَتُهُ
إن لَمْ تَكُنْ بى رَحِيماً فارْحَمِ الأَدَبا[4]

١٤ اِحْفَظْ وَسائِلَ شِعْرٍ فيك ما ذَهَبتْ
خَواطِفُ البَرْق إلاَّ دُونَ ما ذَهَبَا

« وسائل » جمع وسيلة وهى ما يُتقربُ به إلى الإنسان ، يُقال وَسَل يَسِل وَسْلاً .

---

(١) فرس تيحان شديد الجرى – وأهذب الفرس فى عدوه أسرع .
(٢) م ، ل ، د ، ظ : « أبغى » .
(٣) وهى رواية ل ، م ، ظ ، د . وبهامش ظ رواية الأصل ولم يرد هذا البيت فى س .
(٤) تنتهى القصيدة عند هذا البيت فى س ، م ، ل ، ظ . وبهامش م قال : وفى نسخة . ثم روى الأبيات الثلاثة التالية . ورواية هذا البيت فى س :

إن أنت لم تك عدل الجود منصفه لم نرج بعدك خلقاً ينصف الأدبا

والبيت بهذه الرواية فى د ، هـ ب .

١٥ يَغْدُونَ مُغْتَرِباتٍ فى البِلادِ فَمـــا
يَزَلْنَ يُؤْنِسْنَ فِى الآفاقِ مُغْتَرِبَا

١٦ ولا تُضِعْها فَما فى الأَرضِ أَحْسَنُ مِنْ
نَظْمِ القَوافى إِذا ما صَادَفَتْ حَسَبَا

١٨

وقال يمدح محمد بنَ عبد الملك الزَّيات :

١ قد نابتِ الجِزْعَ مِن أُرْوِيَّةَ النُّوبُ
واسْتَحْقَبَتْ جِدَّةً مِن رَبْعِها الحِقَبُ

الأول من البسيط والقافية متراكب .

« أرْوِيَّة » اسم امرأة ، سُمِّيت بالواحدة من الأراوِيّ وهى أنثى الوعُول . وقوله « من أرويَّة » فيه حذف ، كأنه قال : من منازل أرويَّة ، أو من أجزاعها ، أو نحو ذلك ، ليصحَّ دخولُ « مِنْ » إذْ كانت للتبعيض . وقوله « استحقبت جِدَّةً » هو مأخوذ من الحقيبة وهو ما يكون وراءَ رَحْل الراكب ، فإذا جعَل خلفَه شيئًا قيل استحقَبه واحتقبه ، وهذا ها هنا مستعار ، يريد أنّ الحِقَبَ قد أذهبت بِجدّة هذا الرَّبْع فكأنَّها جعلَتْه فى حقائبها ، لأنّ الإنسان إذا جعل الشيءَ فى حقيبته فقد استَبدَّ به .

٢ أَلْوَى بِصَبْرِكَ إخلاقُ اللِّوَى وهَفَا
بِلُبِّكَ الشَّوْقُ لَمَّا أَقْفَرَ اللَّبَبُ

يقال ألوَى بالشئ إذا ذهب به ، وألوَى الدهرُ بالقوم إذا أهلكهم . و « اللِّوَى » مستَرَقّ الرمل ، و « اللبَب » نحو ذلك ، وربما قالوا اللَّبَبُ مُقدَّم الكَثِيب ، وقد يُعبِّرون عن اللِّوى واللَّبَب بمنقطَع الرمل ، وذلك كله مُتقارِب فى الحقيقة . و « هَفا » طار .

٣ خَفَّتْ[1] دُموعُكَ فى إثْرِ الحَبيبِ[2] لَدُنْ
خَفَّتْ مِنَ الكُثُبِ القُضْبَانُ والكُثُبُ[3]

[ع] أصلُ « الخُفُوف » من قولهم خَفَّ القوم إذا ارتحلوا ، وهو راجع

(١) فى ظ : وفى نسخة « جفت » ، بالحاء والجيم ، والأول فى أكثر النسخ .
(٢) س ، ظ : « الخليط » . (٣) ظ : ويروى : « الكثبان والقضب » .

إلى الخِفَّة التى هى ضِدّ الثقَل ، إلاّ أنهم يُفرّقون بالمصادر بين الأفعال التى أصلُها واحد فى الاشتقاق ، فيقولون خَفَّ الشىء خِفَّةً إذا كان خفيف الزِّنَة ، وخَفَّ القوم خفوفًا إذا ارتحلوا، وخَفَّ فى حاجته إذا أسرع . وقوله : « خَفَّتْ دُموعُك » إن شئتَ كان من الإسراع ، وإن شئتَ كان من الخُفوف الذى هو الارتحال ، كأنّها تبعتهم أى سالت فى إثرهم . وقوله « لَدُن » أى عند ، وأضافَها إلى الجملة لأنه جعلها واقعةً على الحين ، وأسماءُ الزّمان تُضاف إلى الجُمَل . « والكُثُب » الأولى جمع كَثِيب من الرمل ، « والكُثُب » الثانية مُرَاد بها أردافُ النِّساء لأنها تُشبَّه بالكُثُب فحذَف التشبيه . « والقُضْبان » أراد بها القُدود على تَرْك آلة التشبيه أيضًا .

٤ مِنْ كُلِّ مَمْكُورَةٍ ذَابَ النَّعِيمُ لَهَا
ذَوْبَ[1] الغَمَامِ فَمُنْهَلٌّ ومُنْسَكِبُ

« ممكورة » مَطويَّة الخَلْق ، مَكَرَها إذا لَوَاها ، وقيل ممكورة ناعمة .

٥ أَطاعَهَا الحُسْنُ وانحَطَّ الشَّبَابُ على
فُؤَادِهَا[2] وجَرَتْ فى رُوحِها[3] النِّسَبُ

« انحطَّ الشَّباب على فؤادها » أى هى حَيَّة الفؤاد . [ع] و « النِّسَبُ » جمع نِسْبة وهى مثل النَّسِيب من الشَّعر ، والنَّسِيبُ مثل الغزَل . والمعنى أنّ النَّسِيب يقال فيها ، ويجوز أن يعنى أنّ رُوحَها من لُطفها كأنّ النَّسِيب جَرَى فيها[4] .

---

(١) هـ س : « حيث الغمام » .
(٢) ل ، س : « على قوامها » .
(٣) س : « فى وصفها » .
(٤) جاء فى ظ : قال الآمدى فى الموازنة : قوله « أطاعها الحسن ... » من أبياته التى يسأل الناس عنها ، فقوله « أطاعها الحسن ... » من قول بشار :

كما اشتهت خلقت حتى إذا اعتدلت تمت قواماً فلا طول ولا قِصَرُ

وقول أبى نواس :

=

٦ لَمْ أَنسَهَا وصُرُوفُ البَيْنِ تَظْلِمُهَا
ولا مُعَوَّلَ إِلَّا الوَاكِفُ السَّرِبُ

« المعوَّل » من قولهم عوَّلتُ عليه فى الأمر إذا حَمَلتَ أمرَك عليه ، وهو مأخوذ من عالنى الأمرُ إذا أثقلنى . [ع] يقول : ليس لهذه الظّاعنة تعويلٌ إلاّ على الدّمع ، ويحتمل أن يعنى نفسه بالبكاء ، أو يدّعى أنهما جميعًا عوّلا على البكاء .

٧ أَدنَتْ نِقاباً على الخدَّيْنِ وانتَسَبَتْ[1]
لِلنَّاظِرِينَ بقَدٍّ لَيْسَ يَنتَسِبُ[2]

يقول : استترت بالنِّقاب لئلا تُعرف فعرفت بقدّها ، أى لمّا رأوْا قدّها قيل هذه فلانة ، لأنها معروفة بحسن القوام والجمال .

٨ ولَوْ تَبَسَّمُ عُجْنا الطَّرْفَ فى بَرَدٍ
وفى أَقاحٍ سَقَتْها الخَمْرُ والضَّرَبُ

« عُجْنَا » أى كرَرْنا ورَدَدْنا . وتُشبّه الأسنان بنَوْر الأقاحى فى بياضه وصِغَره ولطافته ومائه .

= خليت والحسن تأخذه تنتقى منه وتنتخب
فانتقت منه طرائفه واستزادت بعض ما تهب

وقوله « وانحط الشباب على فؤادها » يريد الذكاء والتيقظ ، وقوله « وجرت فى روحها النسب » هو أن يقال خفيفة الروح أو عذبة الروح ونحو هذا ، كذا فسره الشيوخ بعد أن جرى فى ذلك خوض طويل .

وقال الآمدى فى « الأبيات المفردة » : ما زال المتذاكرون بشعر هذا الرجل يفيضون فى تفسير هذا البيت فلا يصح له معنى إلا بالحدس والظن ، وأقرب ما سمعت فى قوله « وانحط الشباب على فؤادها » أى مالت جهاته إليه ، كأنه يريد زكاها وسرعة نموها ، وقوله « جرت فى روحها النسب » هى أن يقال خفيفة الروح ...

وقال ابن المستوفى : أخذه من قول يزيد بن الطثرية .

جرى فوقها زهو الشباب وباشرت نعيم الليالى فى الرخاء من الحقب

(١) هـ ب : « وانتصبت » . (٢) م ، ل ، س ، ظ ، هـ ب : « ليس ينتقب » .

٩ مِنْ شَكْلِهِ الدُّرُّ فى رَصْفِ[١] النِّظام ومِنْ
صِفَاتِهِ الفِتْنَتَانِ[٢] : الظَّلْمُ والشَّنَبُ

« من شكله » أى ضَرْبه . [ص] يقول : صفة خَلْق أسنانها كالدّر فى صفائه واتساق نظمه ، وصفتُها أنَّها بها الشّنَب وهو برد وعُذوبة ، وقيل الشنب حِدّة الثغر ، والظَّلم ماء الأسنان وإفراط صفائها .

١٠ كانَتْ لنا مَلْعَباً[٣] نَلْهُو بزُخْرُفِهِ
وقَدْ يُنَفسُ عَنْ جِدِّ الفَتَى اللَّعِبُ

كلّ شىء حَسَن يُسَمَّى زُخرفًا ، ويقال للذهب زُخْرُف ، وكذلك لغرور الدنيا وخديعتها .

١١ وعَاذِلٍ هَاجَ لِى بِاللَّوْمِ مَأْرُبَةً[٤]
باتَتْ عليها هُمُومُ النَّفْسِ تَصْطَخِبُ

و « هُموم الصَّدْر »[٥] . « المأرُبَة » والمأرِبة والمأربة الحاجة .

١٢ لمَّا أَطَالَ ارتِجالَ العَذْلِ قُلْتُ لَهُ :
الحَزْمُ يَثْنى خُطُوبَ الدَّهْرِ لا الخُطَبُ

قَطَعَ ألِفَ الوصل فى أوّل النصف الثانى من البيت إذْ كان ما قبلَه موضع وقف ، لأنه قال « قلتُ له » ثم ابتدأ بأول الكلام المحكىّ ، وهذا كما قال الأعشى :
فشَكَّ غيرَ طويلٍ ثم قال له اُقتُلْ أسيرَكَ إنّى مانِعٌ جَارى[٦]

---

(١) هـ ب : « فى نظم الجمان » . (٢) س : « الأطيبان » ، وبهامشها رواية الأصل .
(٣) م ، هـ ب : « لعبا » . (٤) قال الصولى : ويروى « مأدبة » .
(٥) هى رواية س ، وجاءت فى هـ ب ، هـ ن .
(٦) الديوان ص : ١٢٧ ، والرواية فيه :
فشك غـير قليل ثم قال لـه إذبح هديك إنى مانع جارى

وقولُه « ارتجال العَذْل » يقال لكل من أنشأ كلاماً من غير أن يفكّر فيه قد ارتجله ارتجالاً[١] .

١٣ لَمْ يَجتَمِعْ قَطُّ فى مِصْر ولا طَرَف[٢]
مُحَمَّدُ بنُ أَبى مَرْوَانَ والنُّوَبُ

١٤ لِى مِن أَبِى جَعْفَرٍ آخِيَّةٌ سَبَبٌ
إِنْ تَبْقَ يُطْلَبْ إِلى مَعْرُوفِهَ السَّبَبُ

١٤ – أصل « الآخِيَّة » أن يُدفَن حَبْل فى التراب ثم تُخرَج منه عروة فيُشَدّ فيها الفَرَس ، يقولون آخَيْتُ آخِيَّةً ، ثم كثر ذلك حتى قالوا لى عنده آخِيَّة أى شىء أعتمد عليه من ودّ أو خِدْمة . وربما قالوا الآخِيَّة ما حول البناء ، وهذا على الاتساع والمجاز . يقول : إن بَقِيتْ لى هذه الآخِيَّة فإنى أستغنى حتى أفضلَ على الناس فيُتَوسَّل إلىّ بوسائل .

١٥ صحَّتْ فما يَتَمارَى مَنْ تَأَمَّلَها
مِنْ نَحْوِ[٣] نائِلِه فى أَنَّها نَسَبُ

أى لا يَشكّ فيها أحدٌ أنها نَسَب ليست بسبب ومثله :
حتى يكونَ عَزيزاً فى نُفُوسِهِمُ لا يَعلمُ الجارُ فيهمْ أنَّهُ الجارُ

١٦ أَمَّتْ نَدَاهُ بِىَ العِيسُ التى شَهِدَتْ
لها السُّرَى والفَيافِى أَنَّها نُجُبُ

---

(١) جاء فى ظ : قال الآمدى : قوله « الحزم يثنى خطوب الدهر » ليس بواجب قاطع على كل حال ، ولو كان ذلك كذلك لما رأيت حازماً قط يصيبه من الدهر ما يكرهه ، ولكن لما كان الحزم يفعل ذلك صلح أن يذكره . (٢) س : « ولا بلد » .

(٣) م ، ل : « من وجه نائله » – س ، ظ : من فرط نائله » – هـ س : ويروى « من فيض نائله » ، وذكر فى ظ هذه الروايات وزاد عليها قوله : وفى نسخة « من نجح تأميله » و « من نحو تأميله » .

١٧ هَمٌّ سَرَى ثُمَّ أَضحَى هِمَّةً أَمَماً
أَضحَتْ رَجَاءً وأَمسَتْ وهْىَ لى نَشَبُ

١٧ — يقول : بِتُّ فى همّ وأصبحتُ فى هِمَّة ، وأضحيتُ فى أمَل وأمسيتُ فى مال . ورواية المرزوقى : « راحت رجاءً وأمسَتْ وهى لى نَشَبُ »(١).

١٨ أَعْطَى ونُطْفَةُ وَجْهى فى قَرَارَتِها
تَصُونُها الوَجَناتُ الغَضَّةُ القُشُبُ

: أى أعطانى قبل المسألة لأنّ المسألة تُذهِب ماءَ الوجه ، أى لم يُخلق وجهى بسؤال ، فوجهى غَضٌّ جديد . « والنُّطفة » الماء القليل ، استعاره لماء الوجه ، و « القَرَارَة » المطمئِنّ من الأرض ، يقولون وجدنا نُطفَةً فى قرارة ، أى ماءً قليلاً فى أسفل واد ، و « الوَجْنة » العَظْم الذى تحت الصُّدْغ ، ومَن ضَمَّ الواو من « وجنة » أو كَسَرَها جاز له الهمز .

---

(١) جاء فى ظ : قال المرزوقى : ومما جنى عليه قوله :

هم سرى ثم أضحى همه أمماً أضحت رجاء وأمست وهى لى نشب

هكذا رواه بعض المدعين لهذا الشعر (يشير بذلك إلى الصولى لأنها روايته ولأنه شرحه كما سيذكره المرزوقى بحرفه) ، وذكر أن المعنى : كنت مهتما فى الليل فأسريت إلى هذا الممدوح فأصبحت وهى قد صار همة ، ثم أضحيت وقد صارت الهمة رجاء ، ثم أمسيت وقد لقيته وهى نشب أى مال . قال أبو على : هذا البيت إذا تأملت تقاسيمه تبينت حسنها واستقامتها ، لكنه بدّل ، والرواية الصحيحة : « راحت رجاء وأمست وهى لى نشب » ، فانظر كيف نقل الهم وهو مصدر همت أو واحد الهموم فى معارضه واختلاف أحواله فى أطراف ليله ونهاره ، وكيف عقب السرى بالإضحاء ، والرواح بالإمساء ، وكما جعل الهم همة ها هنا عكسه فى موضع آخر :

لما مخضت الأمانى التى احتلبوا عادت هموماً وكانت قبلها هما

واستعارة « المخض » لاقترانه بالحلب فى « الأمانى » أحسن منه فى قوله :

حتى إذا مخض الله السنين لها مخض البخيلة كانت زبدة الحقب

وإن كان يحسنه ثم ذكر الزبدة معه أيضاً .

فأما المصراع الثانى فقد أعاد معناه فى موضع آخر فقال :

فتواردتك وإنها لرسائل وصدرن عنك وإنها لفوائد

١٩ لَنْ يَكْرُمَ الظَّفَرُ المُعْطَى وإنْ أُخِذَتْ[١]
بِهِ الرَّغَائِبُ حتَّى يَكْرُمَ الطَّلَبُ

(ق) : يقول : إنما العَرْف يَكْرُم والنَّوال يَشْرُفَ متى صينَ طَلَبُ العافى الزَّائِر من المَطْل ، ولم يُهَن ولم يُبتَذَل بالتسويف والدِّفاع .

٢٠ إذَا تَبَاعَدَتِ الدُّنيا فَمَطْلَبُهـا
إذَا تَوَرَّدْتَهُ مِن شِعْبِهِ كَثَبُ

يقول : إذا تباعدت عنك الدنيا فاطلُبْها من شِعْبها ووادِيها الذى تجدها فيه ، أى اطلب الخير من مَظانّه ، والهاءُ فى « شِعْبه » للمدوح .

٢١ رِدْءُ الخِلَافَةِ فى الجُلَّى إذا نَزَلَتْ
وقَيِّمُ المُلْكِ لا الوانى ولا النَّصِبُ

[ص] أى يقوم بالأمور فلا تُتعبه لحزمه وجَوْدة رأيه . و « الوانى » المُقصّر ، و « النَّصب » التَّعب و « الرِّدْء » العَوْن .

٢٢ جَفْنٌ يَعافُ لَذِيذَ النَّوْم ناظِرُهُ[٢]
شُحًّا عليها[٣] وقَلْبٌ حَولَها يَجِبُ

« شُحًّا عليها » أى على الخلافة ، و « حولها » حول الخلافة ، للشَّفَقة عليها ، فهو على حَسَب ذلك يُصلح منها ويُحامى عليها .

٢٣ طَلِيعَةٌ رَأْيُهُ مِن دُونِ بَيْضَتِها
كما انتَمَى رَابِئٌ فى الغَزْوِ مُنْتَصِبُ

« الرَّابِئ » من قولهم ربأتُ القومَ إذا كنتَ لهم رَبيئة ، وهو أن تَعلُوَ مكانًا

---

(١) قال الصولى : كذا يرويه الناس ، وقرأته على أبى مالك : « لن يكرم الظفر المعطى وإن أخذت منه الرغائب » – ق ، هـ ب : « لا يكرم » . (٢) ظ : « نافره » .
(٣) م ، د : « شجًى عليها » . (٤) ظ : ويروى « فى الثغر » – د : « فى القوم » .

مرتفعاً لتَنفُضَ لهم الطريق أو تُخبرَهم بمن يَسلكه ، ومنه قول الهُذَلِيّ :

رَبّاءُ شَمّاءُ لا يأوى لِقُلَّتِها إلاّ الغَمامُ وإلاّ الأَوْبُ والسَّبَلُ[1]

و « بَيْضَتها » يعنى بيضة الخلافة ، والمراد بها أهلُ الإسلام ، وبَيْضَة كلّ شيء مُعظَمه . و « انتَمى » أشرف .

٢٤ حَتَّى إِذَا مَا انْتَضى التَّدْبيرَ ثابَ لَهُ
جَيْشٌ يُصَارِعُ عَنْهُ ما لَهُ لَجَبُ

أى أقبلَتْ نحوه جُيوش الآراء ، والهاء فى « له » للتدبير ، يعنى من الرأى[2] .

٢٥ شِعَارُهَا اسمُكَ إِنْ عُدَّتْ مَحَاسِنُها
إِذِ اسمُ حاسِدِكَ الأَدْنَى لَها لَقَبُ

« الشّعار » ما يَدّعى به القومُ فى الحرب ليتميَّزوا من أعدائهم وليعرفوا أصحابَهم ، مثلُ أن يقولوا : يالَ مُضَر ونحو ذلك ، وإنما قيل له شِعار لأنهم يَشعرون به ، أى يَعلمون مكانَ المُسالِم من المُحارِب [ع] يقول : فاسمُك شعار الخلافة لأنها تُحبك وتَعْرف موضعَك وتَعلم أنك ردْء ، أى عَوْن ، إذ اسمُ حاسدك كاللّقب لها إذْ كانت تُبغضه ولا تُسمّيه كما يَكره الإنسان أن يُذكَر لَقَبُه المكروه ، وكانت الألقاب فى الزّمان الأوّل لا تُستعمل إلاّ فيما يُذَمّ ، ثم استعملها فيما يَضعونه سِمَةً للمُلوك والأمراء ، كقولهم سَيْف الدّولة ، والظّهير ، ونحو ذلك . [ص] يقول : الخلافة إذا عَدّت محاسِنَها تَسمّت باسمك أنك وزيرها ، فهذا اسم لك حقًّا ، ومَن سُمّى به سواك فهو لَقَب له .

---

(١) البيت للمتنخل الهذلى فى ديوان الهذليين ٢ : ٣٧ ، وفى اللسان مادة « أوب » . و « رباء » يرباً فوقها ، يقول : لا يدنو قلّتها أى رأسها ، أى لا يعلو هذه الهضبة من طولها إلا السحاب . و « الأوب » رجوع النحل و « السبل » القطر حين يسيل .

(٢) أعاد الصولى الهاء فى « له » للتدبير كما جاء فى شرح أبى زكريا هنا . وقال ابن المستوفى ويجوز أن يعود الهاء فى « له » إلى الممدوح لأن الصولى جعل للتدبير رأياً والتدبير هو نفس الرأى .

٢٦ وَزِيرُ حَقٍّ ووَالِى شُرْطَةٍ ورَحَا
دِيوَانِ مِلْكٍ وشِيعىٌّ ومُحْتَسِبُ

٢٧ كالأَرْحَبِىِّ المَذَكِّى سَيْرُه المَرَطَى
والوَخْدُ والمَلْعُ والتَّقْرِيبُ والخَبَبُ

٢٧ – كان بعض الناس يقول لأبى تمام : أنا أستحسن قول امرئ القيس :

وتَعرفُ فيه مِن أبِيه شمائِلاً ومِن خالِه ومِن يَزِيدَ ومِن حُجُرْ
سَماحةَ ذَا وجُودَ ذَا ووفاءَ ذَا ونائِلَ ذَا إذا صَحَا وإذَا سَكِرْ

فذكَرَ أربعةً وردَّ عليها أربعةَ أصناف ، فلقيه أبو تمام بعد مدَّة فقال له : أنشدتنى بَيْتَى امرئ القيس ، وتَستحسن ذكْرَه لأربعة وردَّه عليهم أربعةَ أصناف ، وقد ذكرتُ خمسةً ورددتُ عليهم خمسة أصناف ، وأنشده هذين البيتين . [ع] و « الأرْحَبِىّ » يعنى به نَجِيباً من الإبل منسوباً إلى أرْحَب وهم حَىٌّ من هَمْدان . و « المُذَكّى » الذى قد تَمَّت سِنُّه وذَكاؤه ، يقال فرس مُذَكٌّ ووحشٌ مُذَكٌّ . و « المَرَطى » ضَرْب من العَدْو سهل ، وقلما يُستَعمل فى الإبل[1] . فأما « الوَخْد » و « المَلْع » فجيئُهما كثير فى وصف سَيْر النوق والجمال ، ولا يكادون يقولون وَخَد الفَرَس . وقد حكى ذلك أبو نصر صاحب الأصمعى . و « التَّقريب » أيضاً لا يكاد يُستعمل فى الجمال . [ص] يقول : هذا الممدوح يجمع إصلاح المُلْك كما يجمع هذا الأرحبىّ هذه الضُّروبَ من السَّيْر .

---

(١) قال ابن المستوفى : لو قال أبو العلاء فجيئهما كثير فى وصف سير الإبل كان أولى . وهذه الألفاظ التى ذكرها أبو العلاء أكثرها من أوصاف الخيل ، فـ « المذكى » واحد المذاكى والمذكيات من الخيل ، وهى التى جاوزت القروح بسنة أو سنتين مثل المخلف من الإبل ، و « المرطى » ضرب من عدو الخيل ، قال الأصمعى فى المرطى : هو فوق القرب ، قال يصف فرساً :

* تقريبها المرطى والشدُّ إبراق *

و « الوخد » ضرب من مشى الإبل وهى أن ترمى بقوائمها مثل مشى النعام ، و « الملع » السير الخفيف السريع ، ويقال قد ملعت الناقة فى سيرها ... قالوا : و « الخبب » دون التقريب .

٢٨ عَوْدٌ تُسَاجِلُهُ أَيَامُهُ فبها مِن مَسِّهِ وبهِ مِن مَسِّها جُلَبُ

[ص] هذا مثل ، يقول : قد جرَّب الأمور خيرَها وشرَّها ، يكون الدَّهرُ مرةً معه، ومرةً عليه ، فكأنّه يُساجله . * و«العَوْد» المُسنّ من الإبل ، ويقال للمؤدَّد القديم عَوْد، على معنى الاستعارة، وكذلك طريق عَوْد أى قديم قال الراجز :

عَوْدٌ على عَوْدٍ من القُدْمِ الأُوَلْ
يَموتُ بالتَّرْكِ ويَحيَا بالعَمَلْ

و « الجُلَبُ » جمع جُلْبَة وهو الأثَر فى ظهر البعير وغيره من أثرِ حِمْل أو نحوه ، وأصلُ ذلك من قولهم أجلبَ الجُرْح وجَلَبَ إذا علَتْه قِشْرةٌ للبُرْء . و « العَوْد » فى البيت المُرَاد به الرجلُ المجرِّب .

٢٩ ثَبْتُ الخطَابِ [(١)] إذَا اصطَكَّتْ بِمُظلِمَةٍ [(٢)]
فِى رَحْلِهِ أَلسُنُ الأَقْوَامِ والرُّكَبُ

« اصطكت » اضطربت ، وقوله « بمُظلِمة » أى بخَصْلة مُظلِمة [ع] واصطكت مستعار ، فإذا استعير للسان فهو من صَكَّه يَصُكُّه صَكًّا إذا ضَرَبه بشىء صُلْب ، وإنما أراد ازدحامَ الألْسُن على القول وتَصاكَّها فيه ، وإذا استُعير « اصطَكَّت » للرُّكَب احتمل وجهين : أحدهما أن يكون من الصَّك وهو أن تَصْطَكَّ الركبتان ، يقال فى وصف الدَّابة ليس فيه صَكَك ، والآخر أن يكون من الصَكّ الذى هو الضَّرْب ، وكلا الوجهين راجع إلى شىء واحد، لأن الصَّكك المكروه مأخوذ من الصَّكّ . وليس الاصطكاك ها هنا مُفتقِرًا إلى المعطوف ، لأن الأوّل جَمْع ، وإنما يمتنع مثل هذا فى الآحاد ، ولو قيل اصطك الحَجَر والخشَبَةُ لم يجز الاقتصارُ على الاسم الأوّل ، لأن « الافتعال » إنما يكون فى هذا الباب من اثنين فما زاد[(٣)].

---

(١) ظ : ويروى : « ثبت الجنان » .

(٢) س : « بمظلمة » بفتح الميم . وشرح الصولى يدل على أنها روايته .

(٣) قال ابن المستوفى : يجوز أن يكون « اصطكت » من قولهم صككت الباب إذا أطبقته ، أى إذا تطابقت الألسن والركب ، وهذا إنما يصح على طريق الاستعارة . كأنها تلاقت فى رحلة فتصاكت ، وهذا معروف من كلامه ، وقالوا « اصطكت » بمعنى اضطربت .

٣٠ لا المَنْطِقُ اللَّغْوُ[١] يَزْكُو فى مَقَاومِهِ
يَوْماً ولا حُجَّةُ الملهُوفِ تُستَلَبُ

[ع] « المنطق اللغو » يجوز أن يكون من ألغيتُ الشيءَ إذا أهملتَه ، كأنه يعنى الهَذْرَ وما لا يُحتاج إليه من الكلام ، وهذا أشبه من أن يكون فى معنى اللغو الذى يستعمله الناس فى الكلام المكروه ، مثل قولهم لَغَا الصَّائمُ والحاجّ ، ومنه قوله تعالى « لا لَغْوٌ فيها ولا تأثِيمٌ » وكلا الوجهين يرجع إلى الإلغاء الذى هو الإهمال ، يقال ألغيتُ فى العدد إذا ألقيتَ منه . * و « مَقاوِم » جمع مَقَام .

٣١ كأنّما هوَ فِى نَادِى قَبيلَتِهِ
لا القَلْبُ يَهْفُو ولا الأَحشَاءُ تَضْطَرِبُ

« لا القلب يهفو » مأخوذ من هَفَا إذا عَثَر ، أى لا يَزِيغ عما يُريد . قال المرزوقى : يجوز أن يكون المراد أنه إذا جلس للمظالم يراه الحضور فى مجلسه كأنما هو فى نادى قَبِيلته لاستعماله العَدْلَ فيهم ، وكأنّهم عَشِيرتُه وذَوُوه[٢] .

٣٢ وتَحْتَ ذَاكَ قَضَاءٌ حَزُّ شَفْرَتِهِ
كما يَعَضُّ بأَعْلَى الغَارِبِ القَتَبُ

استعار حَزَّ الشَّفْرة للقضاء ، وقد استعملوا نحوًا من ذلك فى الشَّفرة فقالوا فى المثل لم أجد لشفرتى مَحَزًّا[٣] ، أى لم أجد لى حِيلَةً فى الأمر ، قال القَتَّال :

كِلانا عَدُوٌّ لن يَرَى فى عَدُوِّهِ مَحَزًّا وكُلٌّ فى العَداوةِ مُجمِلُ

---

(١) س : « اللغب » وبهامشها رواية الأصل .

(٢) ذكر ابن المستوفى كلام المرزوقى هذا مفصلا من كتابه . وفيه وجه آخر للمعنى ، قال المرزوقى : « ويجوز أن يكون المعنى أن الملهوف إذا حضر بساطه يعتقد لثقته بعدله وجميل إنصافه أنه مع ذويه ومجاور لأهله ، لا يجب قلبه ولا يقلق حشاه » . وقال ابن المستوفى عقبه : وهذا القول هو الصحيح الذى دل عليه الشعر والله أعلم . وما وصف به من هفوة القلب واضطراب الأحشاء أليق بالملهوف ، لأن الحاكم إذا كان فى رحله وفى مقامه لا يلحقه هذا ، وإنما يلحق هذا من هو ملهوف .

(٣) مجمع الأمثال ٢ : ٩٠ .

وقال الراجز :

لمّا رأيتُ أمرَهُمْ قد أزّا
ولم أجِدْ لشفرة مَحزّا
تَخذتُ من آل زياد حِرْزا

ويقال عَضّ القَتَبُ بالغارب إذا اشتدّ الأمر ، وأصل ذلك فى البعير لأن قَتَبه إذا عَضّ غاربَه لَحقته فى ذلك مَشقّة عظيمة . والمعنى : أنّ هذا الممدوحَ يَقضى قضاءً لا يُراعى فيه أحدًا ، وإن شقّ أمرُه على المقضِيّ عليه .

٣٣ لا سَوْرَةٌ تُتَّقَى مِنْهُ ولا بَلَهٌ
ولا يَحِيفُ[1] رِضاً مِنْهُ ولا غَضَبُ

[ع] ويروى « ولا تَلَهٌ » و « سَوْرة الغضب » حِدّته ، وأصله من سار يَسُور إذا وَثَب ، يريد أنه إذا غَضِب لم يَحملْه الغَضَبُ على الظلم . وإذا رويت « بَلَهٌ » بالباء فمراد به الغفلة ، وربما جاءُوا به فى معنى الحمْد ، وأكثر ما يُستعمل البَلَه فى الذّم » . وإذا وصفوا المرأة بالبَلَه فإنما يريدون غفلتها عن الرِّيَب ، قال أبو النَّجْم :

من كلّ بَيْضاءَ سَقُوطِ البُرْقُعِ
بَلْهاءَ لم تُحفَظْ ولم تُضَيَّعِ

ومنه قولهم : عَيْش أبله أى أهله غافلون عنه لا يشعرون بنوائب الدهر ، وأما البَلَه فى الرجال فعيب ، ولكن يُحمَد المُتبالِه الذى يُؤدّيه ذلك إلى السخاء والتغاضى عن عثرات الصديق والصاحب قال أبو دَهْبل الجُمَحىّ يمدح رجلاً :

تَخالُ فيه إذا حاورتَه بَلَهًا عن مالِه وهو وافى العقلِ والوَرَعِ

[ع] وإن رُوى « ولا تَلَهٌ » بالتاء فالمراد الحَيْرة ، يقال تَلِه يَتْلَه تَلَهًا إذا حار .

---

(١) بين أسطر س ، هـ ب : و « يحاف » رواية أخرى .

٣٤ أَلقَى إليكَ عُرَى الأَمْرِ الإمامُ فَقَدْ
شُدَّ العِناجُ مِنَ السُّلْطانِ والكَرَبُ

[ع] « العِناج » حبل يُشدّ فى أسفل الدَّلْو ثم يُوصَل بعَرَاقيها وكَرَبها . و « الكَرَب » أن يُثنَى الرِّشاءُ على العَرَاقى ، يقال أكربت الدّلو فهى مُكرَبَة و « السلطان » ها هنا مُراد به العزّ والقوة ، من قولهم لفلان سلطان فى بلد كذا ، ولا يجوز أن يُحمل على أنّ السلطان آدمىٌّ لأنه يخرج إلى لفظ لا يَليق بالسلاطين ، وهو مع ذلك صحيح على تقدير محذوف كأنّه يُراد من أمرِ السلطان .

٣٥ يَعْشُو إليكَ وضَوْءُ الرای قائِدُهُ
خَلِيفَةٌ إنمـا آرَاؤُهُ شُهُبُ

يقع فى بعض النسخ « يَعْشَى » والوجه « يَعشو »[1] . [ع] العَشْو أن يسير الإنسان على ضوء نارٍ أو كوكب ، إلاّ أنه لا يكون إلاّ خَفِيًّا . بخط الشيخ أبى عبد الله : يطلب فى ظلام الشّك مَن يعتمده لوزارته فيتَراءَى له ضِياؤُك من بعيد فيقصده . غيره : نَظَرَ إليك فلم يجد مثلَك مَن يَصلُح لتدبير المملكة فقلّدَك[2] .

٣٦ إنْ تَمْتَنِعْ مِنهُ[3] فى الأَوقاتِ رُؤْيَتُهُ
فكُلُّ لَيْثٍ هَصورٍ غِيلُهُ أَشِبُ

(ص) يقول : إن كان يحتَجِب فكذلك اللّيْث .

---

(١) هـ ب : « عشا إليك » .

(٢) قال ابن المستوفى : كلا القولين لا يحسن أن يوصف به الخليفة ، والأجود أن يكون : من عشوته أى قصدته ليلا ، وكان هذا هو الأصل ، ثم صار كل قاصد عاشياً ، أى يقصد إليك ويقوده ضوء رأيه .

(٣) ظ : « منك » .

٣٧ أَوْ تُلْقَ مِنْ دونهِ حُجْبٌ مُكرَّمَةٌ
يَوْماً فَقَدْ أُلقِيتْ[١] مِن دونِكَ الحُجُبُ

(المرزوقى) : كان السلطان حَجَبَه فاشتَدّ عليه ، فأخذ الطائى يُسلّيه فقال : إن احتجب عنك الخليفة أحياناً فلا يَسوءنك ذاك ، لأنه لا يكون عن تَغيُّر مكانة ، ولا حؤُولِ عهدٍ وانحطاط منزلة ، بل كما تَحجُب أنت غيرك ممن يُريدك فلا يصل إليك ، لعائق يَمنَع وحائل يَعرض . ويُروى : « مِن خَلْفك » المعنى : أنت وإن احتَجب عنك فقد قُرِّبتَ إلى أقصَى الحجُب ، وغيرُك إنما أنزِل خلفَك وأُلقِيتْ له السُّتورُ دونَك[٢] .

٣٨ والصبْحُ تَخْلُفُ نُورَ الشمْس غُرَّتُهُ
وقَرْنُها مِن وَرَاءِ الأُفْقِ[٣] مُحْتَجِبُ

٣٩ أما القَوافى فقَدْ حَصَّنْتَ غِرَّتَهـا
فما يُصَابُ دَمٌ مِنها ولا سَلَبُ

« غِرَّتها » بكسر الغين ، و « غُرَّتها » بالضم ، و « عُذْرَتها »[٤] .

---

(١) ل : « فقد كشفت » .

(٢) قال ابن المستوفى فى الرد على المرزوقى : قوله « إن احتجب عنك الخليفة . . . » قول مضطرب لأن كلا من الخليفة والممدوح قد يحجب أحياناً من يحجبه لتغير عليه وإبعاد له ، فلا احتجاج فى ذلك ولا دلالة فى لفظ البيت عليه . وفسره الصولى بقوله : يقول إن كان الممدوح يحتجب وكذا الغيل يحتجب فيه الليث فقد كشفت عنك أنت الحجب وأنت خليفته ووزيره ومن يقوم مقامه ، فليس ذلك بعيب عليه ، وبيّن هذا البيت الذى بعده .

وروى الآمدى : « من خلفك الحجب » وقال : إن يلق من دونك الخليفة الحجب فقد ألقيت الحجب من خلفك وبرزت لنا نائباً عنه فلا حجاب دونك بل الحجاب ملقى خلفك ، أى ملقى وراء ظهرك ، ثم مثل هذا المعنى فى البيت الثانى بقوله « والصبح » إلخ ...

(٣) م : « الأرض » .

(٤) قال ابن المستوفى : « عذرتها » عندى أجود لقوله « فما يصاب دم منها » والعذرة البكارة ، ولقوله « حصّنت » وإن كان مشتركاً .

وقال الآمدى : وهذا محذو على قول ابن هرمة :

كأن قصائدى لك فاصطفتنى كرائم قد عُضلنَ عن النكـاح

٤٠ مَنَعْتَ[١] إلاَّ مِنَ الأَكْفاءِ[٢] ناكِحَها
وكانَ مِنْكَ عليها العَطْفُ والحَدَبُ

يقال حَدِبَ الرجل على ولده أو جاره يَحْدَب حَدَبًا إذا أشفق عليه وعطف ، وأصل ذلك أنّ المرأة إذا أشفقت على ولدها حَنَتْ ظَهْرها مُكِبَّةً عليه فكأنَّها أصابها حَدَب ، ثم صار كلٌّ من أشفق على شيء يقال له قد حَدِب عليه .

٤١ ولو عَضَلْتَ[٣] عَنِ الأَكْفاءِ أَيِّمَهـا
ولَمْ يَكُنْ لكَ فى أَطْهارِهَا أَرَبُ

٤٢ كانَتْ بَنَاتِ نُصَيْبٍ حِينَ ضَنَّ بِهـا
عَنِ المَوالِى ولَمْ تَحْفِلْ بها العَرَبُ

٤١ ، ٤٢ – [ص] قوله « فى أطهارها » ، مثل ، جعلها كالنساء ، « وأطهار » جمع طُهْر ، وإذا طَهَرَت المرأةُ احتيجَ إليها ، وفى الحَيْض تُعتزل » . ويقال عَضَلْتُ الأيِّمَ إذا مَنَعتَها من التزويج ، و« الأيم » التى لا زوج لها ، ويقال تأيَّم الرجل إذا لم يتزوج ، وكذلك آمَ ، وقد كثر استعمال هذه الكلمة فى الرجل إذا ماتت امرأتُه ، وفى المرأة إذا مات زوجُها ، والشّعر القديم يَدل على أن ذلك بالموت وبترك التزويج من غير مَوت ، قال الشماخ :

يَقَرُّ بِعَيْنِى أنْ أُحَدَّثَ أنّها وإن لم أنَلْها أَيِّمٌ لم تَزَوَّج[٤]

ويقولون فى الدعاء على الرجل ماله آمَ وعامَ ، أى فَقَدَ المرأة وعام إلى اللبن . ويُحكى عن بعض الأعراب أنه قال : ليت شِعْرى مايَقَع بِيدى بعد الأيُوم؟! أى بعد ما تركت التزويج . و « نُصَيب » الشاعر مَولى آلِ مَروان ، وكان

(١) س ، ﻫ ب : « منعت » بضمير المتكلم . (٢) ﻫ س : « الإخوان » .
(٣) س ، ﻫ ب « ولو عضلت » بضمير المتكلم . (٤) الديوان ص : ٧ .

أسود، وولد له بنات، فكان يَشُحُّ بهن على الموالى وتكره العرب أن تزوّجهن، ويُنشَد فى هذا المعنى بيت ولم أجده منسوبا إلى نُصَيب، ويجوز أن يكون لغيره وهو:

كَسَدْنَ مِن الفقرِ فى بيتهن[1] وقَدْ زَادَهُنَّ سَوَادى كُسُودَا

[ع] والمعنى أن هذا الممدوح أكرم القوافى ولم يحوج المادح أن يمدح بها من لا يَستحقها، ولو امتنَع من قَبُولها ولم يَرغب فى أن تُهدى إليه لكانت مثل بناتِ نُصَيْب، يَضَنّ بها الشاعر أن يمدح بها غير كريم، كما أن نُصَيْبًا لم يرغب أن يُزوِّج بناتِه فى العبيد. [ص] قيل وإنما قال أبو تمام هذا لأن محمد ابن عبد الملك كان يَعيبه بمدْحه مَن لا يستحق شعره ومدحه* [ق] وقيل لنُصَيْب: ما حالُ بناتك؟ فقال: صَبَبت عليهن من جِلْدى فكسَدن على!

٤٣ أَمَّا وحَوْضُكَ مَمْلُوءٌ فَلا سُقِيَتْ
خَوَامِسِى إِنْ كَفَى أَرْسَالَها الغَرَبُ

[ق] يقول: إذا صادفتُك راغباً فى شِعْرى، مُعِدًّا لى الثواب عليه، فلا سَقَى الله إبلى إن عَدلت عن حوضك المملوء، واقتَصرت أرسالُها — وهى الجماعات — على الغَرَب — وهو الماء الجارى بين البئر والحوض ض* و «الخَوَامس» من الإبل التى تَرِد الخَمْسَ وهى أن ترِدَ يومًا وتَرعى ثلاثةً ثم تَرِدَ فى اليوم الخامس، وتَرِدُ الخَمْس والخوامس فى أشعارهم كثير، وقلَّما يذكرون السُّدس والسَّبع وغيرَهما من الأظماء. و «الأرسَال» جمع رَسَل، فقال قوم هو اسم للإبل، وقال آخرون بل الرَّسَل الخمسَ عشرة[2] والعشرون تُرسَل على الحوض ولا تكون إلاّ صِغارًا، والاشتقاق يُوجب أنّ الأرسَال التى يتبع بعضُها بعضًا فى الإبل وغيرها، قال امرؤالقيس وذكر الخيل:

إذْ هُنَّ أرسَالٌ كرَجْلِ الدَّبَا أو كقَطَا كاظِمةَ النَّاهِلِ[2]

٤٤ لَوْ أَنَّ دِجْلَةَ لَم تُحِوجْ وصَاحِبَها
أَرضَ العِرَاقَيْنِ لم تُحْفَرْ بها القُلُبُ

(المرزوقى): قدّم المعطوف على المعطوف عليه، والتقدير: لم تحوج أرضَ

(١) ب، ن: «فى قومهن». (٢) العقد الثمين ص: ١٥١.

العراقين وصاحبَها[١]. يقول : لولا حاجتى لكنت لا أتبذَّل بمدح الأوساط وتقريظهم ، لكن دواعى الفقر تبعثنى عليه إذ لم يكن إلىّ من جهتك كفاية مع كثرته وغزارته ، كما أنّ أهل العراقين لو كفاهم دجلة والفرات على فيضهما لم يحفرُوا القُلُبَ والآبار ، ورواية غيره : « لو أن دِجْلَةَ لم تحوِج وأنْجدَها ماء العراقين »[٢].

٤٥ لم يَنتْدِبْ عُمَرٌ[٣] للإبْلِ يَجْعَلُ مِنْ
جُلودِهَا النَّقْدَ حتَّى عَزَّه الذَّهَبُ

يقول : إنّ الإنسان قد يُضطر إلى الشىء فيفعله وهو عالمٌ أنّ غيرَه أفضل منه ، مثل ما رُوى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه أراد أن يقطع جُلودَ الإبل على مقدار الدَّراهم ويجعلَ الناس يتعاملون بها ، والعلمُ مُحيط أنّ ذلك كان على معنى الضرورة لقلة الذَّهب والفضَّة . وقوله « حتى عزَّه الذَّهَبُ » أى غلَبه ، والمعنى حتى عزَّه وجْدان الذَّهَب .

٤٦ لا شَرْبَ أَجْهَلُ مِنْ شَرْبٍ إذَا وَجَدُوا
هذا اللُّجَيْن فدَارَتْ فِيهِمُ العُلَبُ

يقول : هؤلاء الشَّرْب أجهل شَرْب إن وجدوا آنيةَ الفضَّةَ يشربون فيها فشربوا فى العُلَب ، والأطبّاء يزعمون أنّ الشُّرْب فى الذَّهَب والفضَّة فَضيلة . و « العُلَب » جمع عُلْبَة وهى إناء من جُلود يُجعل حولَه قَضيبٌ من الشجر ويُحلَب فيه ، قال الشاعر :

وأورثَكَ الرَّاعى عُبَيْدٌ هِراوَةً ومأطُورَةً فَوْقَ الحُوَيَّةِ مِن جِلْدِ

– يعنى : « المأطُورَة » عُلْبة ، لأنّ القَضيب يُوطَر حولها أى يُحنَى .

---

(١) وتكملة كلام المرزوق كما فى كتابه : « ويجوز أن يكون أراد لو أن دجلة وصاحبها ففصل بين المعطوف وما عطف عليه بـ " لم تحوج " ، ويعنى بصاحبها الفرات » .

(٢) هى رواية م ، ل ، س . وفى هـ ب « وأنجدها ماء الفراتين » – هـ س : « لم تحوج صواحبها أرض العراقين » – ظ : ويروى « لم تمزع وساح لها » وقال أى لم تؤخذ مزعتها أى بقيتها .

(٣) فى ظ : ويروى « لم يبتدر » .

٤٧ إنَّ الأَسِنَّةَ والمَاذِىَّ مُذْ كَثُرَا
فلا الصَّيَاصِى لهَا قَدْرٌ ولا اليَلَبُ

« الماذِىّ » الدّروع ، يُقال دِرْع ماذِيَّة وهى البيضاء ، وقيل بل السَّهلة اللينة ، و « الصَّياصِى » القُرون[1] . و « اليَلَب » شىء يُتَّخذ من الجُلود على هيأة الدّروع ، وإنما كانوا يفعلون ذلك إذا لم يصلوا إلى الدّروع المتخذة من الزَّرَد . و « الأسِنَّة » المضروبة من الحديد . [ع] وقوله « مُذْ كَثُرا » جَعَل الأسِنَّة والماذِىَّ كالاثنتين وإن كان كلّ واحد منهما يَقَع على جَمْع ، وهو مثل قول الأسْوَد بن يَعْفُر :

إنّ المنيَّـــة والحُتُـــوفَ كلاهمـــا يُوفِى المَخَـارِمَ يَرقُبانِ سَوادِى[2]

فجعل الحُتُوفَ كالواحد .

٤٨ لا نَجْمَ مِن مَعْشَر إلاَّ وَهِمَّتُـهُ
عليكَ دائِرةٌ يا أيُّها القُطُبُ

٤٩ وما ضَمِيرِىَ فى ذِكْرَاكَ مُشْتَرَكٌ
ولَا طَرِيقِى إلى جَدْوَاكَ مُنْشَعِبُ

٥٠ لِى حُرْمَةٌ بِكَ لَوْلَا ما رَعَيْتَ وما
أَوجَبْتَ مِن حِفْظِها ما خِلْتُها تَجِبُ

٥٠ — [ص] يقول : لى بك حُرْمة ليست بوكيدة ، فأوجبتَ على نفسك بكرمك أكثرَ من مقدارها .

٥١ بَلَى لقَدْ سلَفَتْ فى جَاهِلِيَّتِهِمْ
للحَقِّ — لَيْسَ كحقِّى نُصْرَة — عَجَبُ

(١) المفضليات ٢ : ١٦ ، والأغانى ١١ : ١٢٩ .

٥٢ أَنْ تَعلَقَ الدلْوُ بالدَّلْوِ الغَرِيبَةِ أَوْ
يُلابسَ الطُّنُبَ المُسْتَحصِدَ الطُّنُبُ

٥١ و ٥٢ – [ع] قوله « ليس كحقّى » هذه الجملة فى موضع نصب على الحال ، ومما يُعرف به ذلك أن تكون الجملة يَحسُن قبلها « الذى » فلو قيل : من الحق الذى ليس كحقّى لَحسُن ، وكان « الذى » وما بعدها فى موضع صفة للحق ، فلما حُذِف الاسمُ المتوصَّلُ به إلى أن تكون الجملة فى صفة الاسم الأوّل صارت هى فى موضع الحال . وقوله « أن تَعلَق » يجوز أن يكون « أنْ » وصِلَتُها فى موضع خفض على البَدَل من « الحقّ » ، ولا يمتنع أن يكون فى موضع رفع على تقدير حَذْفِ المبتدأ . والذى ذَكَره فى البيت شىءٌ كان من أمر الجاهلية إذا نَزَل الرجلُ مع الرجل فاتصلت أطنابُ بُيوتِ أحدهما بأطناب بُيوت الآخر كان ذلك حُرمةً له وسَبَبًا يقتضى نَصْرَه * . ويقال إنّ عِيَاض بن الدَّيْهث كانت له قصة فى الجاهلية افتقر فيها إلى نَصْر الحارث بن ظالم المُرِّى ، فجاء عِيَاضٌ بدلوه فأعلقَها فى دِلاء الحارث بن ظالم التى تَستقى بها رِعاؤه ، وذَهَب فادَّعَى جِوارَ الحارث ، فقيل : إنه لا جِوارَ بينكما ، فقال أحدُ الرجلين :

* علقَتْ مَعالقُها وصَرَّ الجُنْدَبُ * يعنى عَلِقَتْ الدلوُ مَعالِقَها ، وصَرَّ الجُنْدَبُ . و « المُسْتَحصِدُ » المُحكَم الفَتْل .

٥٣ إنَّ الخَلِيفةَ قَدْ عَزَّتْ بِدَوْلَتِه
دعَائمُ[1] الدِّين فليَعْزِزْ بكَ[2] الأَدَبُ

(١) فى ظ : روى الآمدى : «دعائم الملك» وقال : دعائم الملك إنما توصف بأنها قد تمكنت وثبتت وقامت وتوطدت ، فهذا هو اللفظ المستعمل فيها ألا ترى أنها إذا وصفت بضد هذا الوصف قيل وهت وسقطت وخربت ، ولا يقال ذلت ؟ وهذا وإن لم يكن خطأ فليس بجيد ، لأنه لفظ موضوع فى غير موضعه . قال ابن المستوفى معقباً عليه : كان الآمدى كثير التعصب على أبى تمام ، وهذا الذى ذكره هو على ماذكره ، لكن فى أوصاف الدعائم حقيقة ، فأما مجازاً فجائز جوازاً حسناً. هذا إذا كانت لفظة « عزت » ضد لفظة « ذلت » فإن أراد بها الشدة والقوة من قولهم من عز بز ، ومن التفسير فى قوله تعالى فعززنا بثالث» مخففاً ومشدداً ، أى قوينا وشددنا ، فهو موضوع فى موضعه على الحقيقة ، خارج عن أن يلحقه ما استدركه الآمدى فى معنى شىء من شعر أبى تمام . (٢) ظ : ويروى «فليعززبه» .

٥٤ مالِي أَرَى جَلَباً فَعْماً ولَسْتُ أَرَى
سَوْقاً ومَالِي أَرَى سَوْقاً ولا جَلَبُ؟!

٥٤ — « الفَعْم » الكثير . وقوله « سَوْقاً » جعل المصدر نعتاً للجَلَب لأنه يُسَاق ، وهذا كقولهم زَوْر أى زائرون .

[ص] وهذا مثل ضربه فقال : مالى أرى مدائحى كالجَلَب الكثير المتواتر ولا أرى سُوقاً ، أى لا أرى مَن يريدها ويأخذها بحقّهاوما تُساوى[1] ، ثم قال :

٥٥ أَرْضٌ بها عُشُبٌ جَرْفٌ ولَيس بها
مَاءٌ وأُخْرَى بها مَاءٌ ولا عُشُبُ

[ص] يقول : مَن يَعرِف قَدْرَ شِعْرى ويريده ليست تُبسَط يَدُه لمكافأتى ، ومَن يَجِد ويقدر على ذلك لا يفعله ، فليس يجتمل لى هذان كما لم يجتمع الماءُ والعُشبُ .

٥٦ خُذها مُغَرِّبَةً فى الأَرضِ آنِسَةً
بِكُلِّ فَهْمٍ غَرِيبٍ حِينَ تَغْتَرِبُ[2]

٥٧ مِنْ كُلِّ قَافِيةٍ فِيها إذا اجتُنِيَت
مْن كلِّ ما يَجتَنِيهِ[3] المُدْنَفُ الوَصِبُ

٥٨ الجِدُّ والهَزْلُ فى تَوْشِيعِ لُحْمَتِهـا
والنُّبْلُ والسُّخْفُ والأَشجَانُ[4] والطَّرَبُ

« تَوشِيع » من قولهم وَشَّعتُ البُرْدَ إذا جعلتَ فيه ألوانًا وطرائق . [ص]

---

(١) شرح الصولى يدل على أنه رواها « سوقا » بضم السين

(٢) شرحه الصولى بقوله : « مغربة » من الاغتراب ، ليس أنها أتت المغرب ، وهى على غربتها تأنس بكل فهم غريب ، أى قليل النظير فى صفاته وجودته حين تغترب هى فى فعلها هذا ، آنسة بهذه الأفهام .

(٣) ب ، م ، ل ، س ، ظ ، د : « ما يشتهيه » .

(٤) فى ظ ويروى : « والأحزان » .

يقول : تَصرّفتُ فى هذه القصيدة بجدٍّ وهَزْل ، وفيها طَرَبٌ لمن مَدَحتُ ، وحُزْن لمن ذَمَمت. « فى تَوشِيع لُحْمتها » أى فى نُقوش لُحْمتها ، أى فى تَضاعِيفها[1] .

٥٩ لا يُستقَى[2] مِن جَفِيرِ الكُتْبِ رَوْنَقُها
ولم تَزلْ تَسْتَقِى مِن بَحْرِها الكُتُبُ

[ع] أصل « الجفير » إنما هو للسِّهام ، وذلك من خَشَب يُنقَر ويُجعل فيه النَّبْل ، وربما سَمَّوْه جَفْرًا ، قال الشَّنْفَرى[3] .

* ورامَتْ بما فى جَفْرِها ثمّ سَلَّتِ *

والطائى إنما جاء بـ « الجفير » ها هنا وهو يريد الجَفْر الذى هو بِئْر ، يُقال وَرَدُوا جَفْرَ بنى فلان ، وهو بئر قليلة الماء لا طَىَّ لها ، ومنه جَفْر الهَبَاءَة ، ومَفقُودٌ فى أكثر كلامهم أن يقال جَفِير فى معنى جَفْر . وقوله « مِن بحرها » يَدلّ على أنه لم يُرِد إلاّ البِئْر . ولو رويت « من حَفِير الكُتُب »[4] بالحاء كان ذلك صحيحًا مُتعارَفًا ، لأنّ كل بئر حَفِير إذْ كانت تُحفَر .

٦٠ حَسِيبَةٌ فى صَمِيمِ المَدْحِ مَنْصِبُها
إذْ أكثَرُ الشِّعْرِ مُلْقَى[5] مالَهُ حَسَبُ

---

(١) قال الآمدى فى ظ : قوله « الجد والهزل فى توشيع لحمتها » بيت فى غاية الحمق ، ومن يمدح وزيراً فلم يضمّن قصيدته الهزل والسخف ؟ وإن كان هناك ما يدل على هذا فلم نبه عليه واعترف به؟ ولعمرى إن قوله منها : وزير حق ووالى شرطة .... » (البيت ٢٦) سخف يزيد على كل سخف .

(٢) س ، د ، هـ ب : « لا يستقى » على ما سمى فاعله . وقال فى ظ : ويروى « لا يستقى » على ما لم يسم فاعله ، والأول أجود .

(٣) المفضليات ١ : ١٠٩ ، وأوله :

* إذا فزعوا طارت بأبيض صارم *

(٤) روى الصولى كما جاء فى نسختى م ، ل « من خفى الكتب وهى رواية د أيضاً ، وقال ابن المستوفى : وهذا يخرجه عما تعقبه أبو العلاء . وقال فى ظ : والرواية الفاشية « من جفير الكتب » بالجيم المعجمة . وقال : ووجدت فى نسخة قديمة مصححة : « من حفير الكتب » بالحاء المهملة ، أراد أنها ليست بمسروقة . وقال ابن المستوفى أخيراً : ولو أن الطائى قال :

لا يستقى من خيار الكتب رونقها ولم تزل تستقى من جفرها الكتب

أو « من بحرها » صح المعنى وكان أتم وبرىء مما أخذه عليه أبو العلاء .

(٥) ظ : « ملقى » بالفاء ، وذكر رواية الأصل .

١٩

وقال أيضًا يمدحه :

١ أَما وقَدْ أَلْحَقْتَنِى بالمَوْكِب
ومَدَدْتَ[1] من ضَبْغِى إليكَ ومَنْكِبِى

الأول من الكامل والقافية مُتدارك .

[ع] « الضَّبْع » العَضُد ، وإنما الكلامُ مَددتَ ضبعى ، وهذا كقولهم رَفَعَ منّى ، أى رفعنى .

٢ فلأُعْرِضَنَّ عَنِ الخُطُوبِ وجَوْرِها
ولأَصْفَحَنَّ عَن الزَّمَانِ المُذْنِبِ

٣ ولَأُلْبِسَنَّكَ كُلَّ بَيْتٍ[2] مُعْلَمٍ
يُسْدَى ويُلْحَمُ بالثَّنَاءِ المُعْجِبِ

٤ مِن بِزَّةِ المَدْحِ التى مَشْهُورُها[3]
مُتَمَكِّنٌ فى كُلِّ قَلْب قُلَّبِ

٥ نَوارُ أَهْلِ المَشْرِقِ الغَضِّ الذى
يَجْنُونَه رَيْحَانُ أَهْلِ المَغْرِبِ

---

(١) س : « وجذبتَ » — ظ : « وملأتَ » .
(٢) هـ ب : « كل ثوب » .
(٣) م ، ل ، س ، د ، هـ ب : « الذى مشهوره » .

٦ أَبدَيْتَ لِى عَنْ جِلْدَةِ[١] المَاءِ الذى
قَدْ كُنْتُ أَعهَدُهُ[٢] كَثِيرَ الطُّحْلُبِ

٦ – [ع] جعل للماء جِلْدة مُستعيرًا ، كما قالوا : جِلْد السماء وأديم الأرض .

[ص] يقول : صَفَّيتَ لى العطاءَ وسهَّلته ، وكنت أعهده من غيرك كدِرًا عَسِرًا ، فجعله كالماء يَركبُه الطُّحلب .

٧ ووَرَدْتَ بِى بُحْبُوحَةَ الوَادِى ولوْ
خَلَّيْتَنِى[٣] لوقَفْتُ[٤] عِنْدَ المِذْنَبِ

« بحبُوحة الوادى » وسطه ومعظمه ، و « المِذْنَب » الساقية .

٨ وبَرَقْتَ لى بَرْقَ اليَقِينِ وطَالمَا
أَمسَيْتُ مُرْتَقِباً[٥] لبرْقِ الخُلَّبِ[٦]

« الخُلَّب » الذى يَخلُب ولا يُمطِر . [ص] يقول : وصلتنى بالمُعْظَم الذى هو كبُحبُوحَة الوادى ، ولو أعطيتنى مقدار طَلِبَتى ورغبتى لَقنعتُ باليسير الذى هو كالمِذْنب ، ولكنك تجاوزتَ بى أملى . ثم قال « وبَرقتَ لى » أى وعدتنى وعدًا صادقًا وكان غيرك يَعِدنى فيُخْلف ، فكنتَ ذا برقٍ صادق وكان ذا برقٍ كاذب خُلَّب . وفى نسخة ؛ « لِبَرْقِ خُلَّبِ » .

---

(١) د ، هـ م : « صفحة » – وجاء فى ظ : قال الصاحب رحمه الله : سمعت الأستاذ الرئيس (الشريف الرضى) ينشد أبيات أبى تمام التى أولها * أما وقد ألحقتنى بالموكب * وينشد : « أبرزت لى عن صفحة الماء » ، فقلت : زيّن سيدنا هذا الشعر بإقامة « الصفحة » مقام « الجلدة » ، فقال : كذا يلزم لمثل أبى تمام إذا أمكن إصلاح بيت وتهذيب قصيدة بكلمة .

(٢) س : « أعرفه » .

(٣) م ، ل ، ظ : « خلفتنى » س ، هـ ب : « طاوعتنى » (٤) ظ : « لوقعت » .

(٥) ظ ، هـ ب : « مرتفقاً » وقال ابن المستوفى فى تفسيرها : أى متكئاً على مرفق يده.

(٦) فى أصل ش ، ب « لبرق خلب » وأثبتنا « لبرق الخلب » لأنها كذلك فى جميع الأصول ولأن كلام التبريزى يدل عليها .

٩ وجَعَلْتَ لِى مَنْدُوحَةً مِن بَعْدِ مَا
أَكدَى علىّ تَصَرُّفِى وتَقلُّبِى

« المندوحة » السَّبب والمَذْهب . و « أكدَى » أى قَلّ خيرُه ، أى جعلتَ لى سَبَبًا وطريقًا إلى الغِنَى بعد ما كنتُ خائبًا فى مُتصرّفاتى وتقلُّبى فى الأمور .

١٠ والحُرُّ يَسلُبُه جَمِيلَ عَــزَائِهِ
ضِيقُ المَحَلِّ[1] فكيفَ ضِيقُ المَذْهَبِ؟

[ص] يقول : الحُرّ يذهب عزاؤه إن ضاق به منزل ، فكيف إذا ضاق مَطْلَبه ولم يجد مَذْهبًا ؟ !

١١ هَيْهَاتَ يَأْبَى أَنْ يضِلَّ بِىَ السُّرَى
فى بَلْدَةٍ وسَنَاكَ فيها كَوْكَبِى

١٢ ولقَد خَشِيتُ بِأَنْ تَكُونَ غَنِيمَتِى
حَــرَّ الزَّمَانِ بهَا وبَرْدَ المَطْلَبِ

١٢ — [ص] « بها » أى بالبلدة ، يقول : لولاك لكنتُ قاسيتُ حرَّ هذه البلدة يعنى « سرّ من رأى » * . قال الشيخ أبو عبد الله الخطيب : معنى بَرْد المطلب ألاّ يأتيَه الشىء عفوًا من غير مشقّة تلحقه .

١٣ أَمَّا وأَنتَ ورَاءَ ظَهْرِى مَعْقِلٌ
فلأَنْهضَنْ بفَقَارِ صُلْبٍ[2] صُلَّبِ

---

(١) س : « ضيق الفناء » .
(٢) م ، ل ، ظ : « بفقار ظهر » .

١٤ وكذاك[١] كانُوا لا يَخُشُّونَ الوَغَا
إلَّا إذَا[٢] عَرَفُوا طَرِيقَ[٣] المَهْرَبِ

[خ] : [٤]« وكذاك كانوا . . . » يعنى أنّ الحازم لا يَهجُم فى الوُرُود على شىء إلاّ وقد عَرَف طريق رُجُوعه .

(١) فى أصل ش ، ب « ولذاك » وهى رواية م ، ظ ، غير أن شرح البيت وسائر الأصول يرجح رواية « وكذاك » .
(٢) د ، هـ ب : « إلا وقد عرفوا » .
(٣) س ، هـ د : « مكان » .
(٤) هذا الرمز فى أصل ش ، ب ، وليس له دلالة فى الرموز التى نبّه عليها التبريزى فى آخر شرحه . فلعله رمز للشيخ أبى عبد الله الخطيب .

٢٠

وقال يمدح محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشميّ :

١ إنَّ بُكَاءً فِى الدَّارِ[1] مِنْ أَرَبِهْ
فَشَايِعَـا[2] مُغْرَماً على طَرَبِهْ

الأول من المنسرح والقافية متراكب .

« فشايعا » على خطاب الاثنين لأن العرب تستعمل ذلك كثيراً وإن لم يتقدم ذكْر الخليلين ولا الصاحبين لمّا كان المراد معلوماً عندهم . يقول : من أرَبى أن أبكى فى دار الأحبَّة فتابعانى على ذلك .

٢ ما سَجْسَجُ الشَّوْقِ مِثْلَ جاحِمِهِ
ولا صَرِيحُ الهَوَى كمُؤْتَشِبِهْ

[ص] يقول لصاحبيه : تابعانى فإنّ هوايَ صريح أى خالص ، وهَوَا كما مُؤْتَشِب أى مُختلِط . و « السَّجْسج » الناعم السهل ، وهواء سَجْسَج إذا لم يكن حَرٌّ ولا قُرّ . و « جاحِم » النار معظمها والسَّجْسج الشىء بين الشيئين ، وفى الحديث « هواءُ أهلِ الجنةِ سَجْسَج » فأمّا السجسج من الأرض إذا حُملت على هذا فيجب أن تكون ليست بالسهلة ولا الغليظة .

٣ جِيدَت بِدَانِى الأكْنَافِ[3] سَاحَتُها[4]
نَائِى المَدَى واكِفِ الجَدَى سَرِبِهْ

هذا دُعاء منه لها ، ويروى :

« جِيدَتْ بدانى الأكتافِ دانى الذّرَى وَاهِى الكُلَى واكفِ الجدَى سَرِبِهْ »

---

(١) د ، هم ، هـ س : « فى الربع » . وجاء فى ظ : ويروى « إن بكاً فى الديار » و « إن بكاء الديار » . (٢) ق ، د ، هـ ب : « فشايعن » ، وروتها ظ .

(٣) ظ : ويروى : « بدانى الرباب » .

(٤) ظ : ويروى « ساحبها » ، وقال : من سحبه جرّه .

[ع] « الأكناف » النواحى ، و « واهى الكُلَى » كناية عن انبعاثه بالمطر ، يقال وَهَتِ المزادة إذا انخرقت . و « الكُلَى » جمع كُلْية وهى رقعة فى المزَادة ، ولو قيل إنه أراد الكلْية المعروفة على معنى الاستعارة لم يَتعذّر ذلك ، فأمّا الوجه الأول فتداوَل فى الشعر ، قال الشاعر :

فما شَنَّتا خَرْقَاءَ واهِيتا الكُلَى سَقَى بهما ساقٍ ولم تَتَبلَّلا

وأصل « الوُكُوف » أن يكون المطر قليلاً ليس بالكثير . و « الجَدَى » المطر العامّ ، و « السَّرِب » السائل .

٤ مُزْنٌ إذَا مَا استَطَارَ بَارِقُـهُ
أَعطَى البِلاَدَ الأَمانَ مِن كَذِبِهْ[1]

أى إذا بَرَق بارِقُه فبرقُه صادق غيرُ كاذب كالخُلَّب .

٥ يَرْجِعُ حَرَّى[2] التِّلاَعِ مُتْرعَةً
رِيًّا ويَثْنِى الزَّمَانَ عن نُوَبِهْ

ويروى « تَرجِع عنه التلاعُ مترعةً »[3].

ويروى : « حَرَّى البلادِ »[4] أى يَرُدّ البلاد العِطاش مُرتوِية ، ويَثنى الزمان عن أن تنوب نَوائِبُه .

٦ متَى يَضِفْ بَلْدَةً فقَدْ قُرِيَتْ[5]
بِمُسْتَهِلِّ الشُّؤْبُوبِ مُنْسَكِبِهْ

[ص] « يَضِف » أى يَنزل ، جعل السَّحاب كالضيف ينزل بهذه البلدة . « فقد قُرِيت » أى البلدة . والرواية الجيِّدة : « متى يُضِف » أى إذا أضاف بلدة

(١) ظ : ويروى : « من كَلَبِهْ » .
(٢) ظ : ويروى « دانٍ يرد التلاع » .
(٣) هى رواية م ، ل ، س ، وروتها ظ .
(٤) هى رواية ظ .
(٥) س : « رويت » .

أكل ضيافتَها بمطر مُستهِلِّ الشُّؤبوب ، و « المُستَهِل » الذى فيه رَعْد ، والاستهلال رفع الصوت ، و « الشُّؤبوب » دَفْعة من المطر ، والجمع شآبيب ، و « المُنسكب » المتدفق .

٧ - لا تُسْلَبُ[1] الأَرضُ بَعْدَ فُرْقَتِهِ
عَهْدَ مَتَابِيعِهِ ولا سُلُبِهْ

أى إذا فارق هذا المطرُ الأرضَ بَقِى أثره فيها ، ويروى « بعد فُرَّقِهِ » جمع الفارق وهى الحامل التى انفردت عن الإبل .

[ع] و « المَتَابيع » جمع مُتْبِع وهى الناقة التى يَتبعها ولدها . و « سُلُب » جمع سَلُوب وهى التى سُلبت ولدَها بموت أو ذبح ، واستعار المتابيع والسلُب للسحاب ، كأنّه شَبَّه صوت الرعد بحنين السَّلُوب ، وتَتابعَ الغَيْم بتتابع أولاد النُّوق لها * . وقد شَبَّهت العربُ السحابَ بالإبل فى مواضع كثيرة ، قال الشاعر :

كأنّ هَزِيزَه بورَاء غَيْب عِشَارٌ وُلَّهٌ لاقَتْ عِشَارا

وقال آخر :

أحَمَّ سِمَاكِيًّا كأنّ رَبابَه سَوَامُ مُهِيبٍ مِن بنى السَّيِدأوْرَدَا

---

(١) جاء فى ظ : وروى الآمدى : « لا تثلب الأرض » وقال : الثلب أشد الذم ، أى لا تذم الأرض عهد متابيعه . وفسر « المتابيع » و « السلب » بما فسرها به التبريزى ، ثم قال : أى تثنى الأرض عليها ولا تذم عهدها ، كما قال مسلم :

* أثنى عليها السهل والأوعار *

ومن روى « لا تسلب الأرض » كان أجود ، أى عهد هذا الغمام حتى يكون باقياً فى الأرض لاتسلبه ، لا الماطر ولا غير الماطر ، فلا تخلو من الثرى والنبات . وروى الخارزنجى والمرزوقى « لا تثلب الأرض بعد فرقته » وقال : ويعنى بهما ها هنا السحاب التى فيها المطر والتى لا مطر فيها ورواية س « تثلب » وبهامشها رواية الأصل . وجاء فى ظ أيضاً : ويروى : « لا تنكر الأرض » .

٨ مُزَمْجِرُ [١] المِنْكبيْنِ صَهْصَلِقٌ
يُطْرِقُ [٢] أَزْلُ الزَّمانِ[٣] مِن صَخَبِهْ

« الزَّمجرة » صوت يخرج من الجوف ، كأنه شَبَّه الرعد بالزمجرة ، و « الصَّهصلِق » الشديد الصوت ، و « الأزْل » الضيِّقُ والحَبْس . يقول : إذا صَوَّت هذا المطرُ أروَى الأرض فسكتَ أزْلُ الزمان .

[ع] ويروى : « مُجْرَمِزُّ المِنكَبَيْن » أى مُجمِعُهما ، اجرمزَّ الرجل إذا اجتمع فى جِلْسته ، قال الراجز :

* يا أخوَىْ ضَبَّةَ لا تجرمَّزا *

والرواية الأولى الوجه .

٩ عَاذَتْ صُدُوعُ الفَلَابِهِ ولقَـــدْ
صَحَّ أَديمُ [٤] الفَضَاءِ مِن جُلَبِهْ

« الصُّدوع » جمع صَدْع وهو الشِّق ، و « الجُلَب » الآثار فى ظهر البعير .

[ع] والمعنى : أنّ هذا الغيثَ أمطر البلاد فصارت كلها ماءً ، كما يقال أصبحت البلاد مَحْوَةً واحدةً إذا عَمها المطر ، فكأنه جعل الوهُودَ والأوديَة صُدوعًا فى الأوض فلما مَلأها الغيث صَحَّ به أديم الأرض الذى كان به مِثْلُ الجُلَب ، فهذا وجه . ويحتمل أن يريد ظُهورَ النَّبْت ، وأنّ الأرض صارت كلها مُروّضةً ليس فيها موضع خال من نبات كما كانت قبلُ * [ق] وقيل قد كان بَعُدَ عهدُها بالمطر فانشقّت وصارت فيها صُدُوع فعاذت به ، فانشَعَبت صُدُوعها والتأمت شُقُوقها .

---

(١) فى ظ : روى الخارزنجى « مرتجز المنكبين » أى راعداً .

(٢) د : « يسكت » وروّيها ظ ، وفيها : وروى الخارزنجى « يطرد أزل الأيام فى صخبه » .

(٣) س : « الأيام » .

(٤) د : « أديم الزمان » – ظ « أديم الفلا » – وجاء فى ظ : ويروى « من لجبه » وقال أى من صوته وجلبته ، يعنى من مطره الذى له صوت . وروى الخارزنجى « ولقد ضج أديم الفلاة من جلبه » وقال : يقول : عاذت بهذا المزن الفلا ، أى نباتها ، فلاذت من يبس الزمان ، فهو يعيذها ويجيرها ، وقد ضج أديم الفلاة وبلغ الجهد من جلبة هذا الصوت ومطره .

١٠ قَدْ سَلَبتْهُ الجَنُوبُ والدِّينُ والدُّنْ
يَا وصَافى (١) الحيَاةِ فى سَلَبهْ

ويروى :

قد حلَبتْه الجنوبُ فالدّينُ والدنـ يا وصافى الحياةِ فى حلَبه (٢)

جعل الجنوبَ تَحلب السحابَ كما تُحلَب الناقة . [ع] وهم يصفون الجنوب والصَّبَا بتلقيح السحاب ومَرْيه * ، قال الشاعر :

أناخَ بذى بقَـــرٍ برْكَهُ كأنَّ على عَضُدَيْه كتافا
زَهتْـــهُ الصبَا ومَرَتْهُ الجنُو بُ وانتجَفتْهُ الشمالُ انتجافا

[ص] أى حلَبَتْ الجنوبُ هذا السحابَ وبحلَبِه أى مَطرِه يَصلح كل شىء .

١١ وحَرَشَتْهُ (٣) الدَّبُورُ (٤) واجْتَنبتْ
رِيحُ القَبُولِ الهُبوبَ مِن رَهَبهْ

[ع] استعار « التحريش » الذى يكون فى بنى آدم للريح والسحاب . و « القَبُول » هى الصَّبا ، و « الدَّبور » تقابلها * . و « حرَّشتْه الدبور » أى أغرَتْه بالمطر ولم تَهُبَّ القَبولُ فتقشَعَه (٥) .

---

(١) س ، د : « وروْح الحياة » — وقال الخارزنجى فى ظ : ومن روى « وصافى المياه » فإن معناه أن حياة الناس به ودينهم ودنياهم .

(٢) هى رواية م ، ل — وروتها ظ .

(٣) ظ : ويروى : « واحتوشته » يجوز أن يكون من حشت الإبل أى جمعتها وسقتها ، ويجوز أن يكون من احتوش القوم الصيد إذا نفره بعضهم على بعض ، وكأنه من معنى الجمع .

(٤) ل : « وحرشته الجنوب واجتنبت » — س : « واجتلبت » .

(٥) وقال الآمدى فى ظ : وقوله « وحرشته الدبور » أى أغرته ليس بالجيد ، لأنها ليست من رياح المطر ، ولا يكاد يكون لها فيه صنع . وقوله « واجتنبت ريح القبول » — وهى الصبا — الهبوب ، « وتاركت وجهه الشمال » كأنه أراد إفراد الجنوب به ، والصبا والشمال من رياح المطر كالجنوب ، وإن كان قسط الجنوب فى ذلك أكثر ، قال لبيد :

أضـــل صواره وتضيفتـــه نطـــوف أمرها بيـــد الشمال =

١٢ وغادَرَتْ وَجْهَهُ الشَّمالُ فَقُلْ
لا فى نَزُور (١) النَّدَى ولا حَقِبهْ

ويروى : « وتاركَتْ (٢) وجهَه » ويُروى : « فى حَصُور النَّدَى » (٣) والحَصُور البخيل الذى لا يُخرج مع الشَّرْب شيئًا فى ثمن الخمر ، استعاره فى صفة السحاب . [ص] أى تركتْه الشَّمالُ أيضًا فدامَ لأنها تُفرّقه إذا هَبَّتْ ، والعرب تُسمى الشمال مَحْوَةً لأنها تمحو السحاب . وإنما يعنى أنّ الجنوب تَفرَّدت به دون الرياح إلاّ هَيْجةً من الدّبور ساقتْه ، وهذا مذهب الهُذليّين فى الرياح لا يجعلون لشىء منها عملاً فى الغيث غير الجنوب ، ولذلك قال (٤) :

مَرَتْهُ النُّعَامَى فلم يَعْتَرِفْ خِلافَ النُّعَامى من الشَّأم رِيحا

[ص] وقوله « ولا حَقِبهْ » أى مُتأخِّره ، وقد أحقبَ عامُنا إذا تأخر مَطرُه ، عام مُحْقِب وهو مأخوذ من الحقيبة لأنها مؤخّر الرحْل (٥) .

= – « النطوف » السحابة التى تنطف أى تسيل – فجعل أمرها بيد الشمال ، وقال عمرو بن شأس :

وأفراسنا مثل السعالى أصابها قطـار وبلّتها بنافجة شمل

وقال آخر :

مرتـه الصبا وزهته الجنوب وانتجفته الشمال انتجافـا

– « الانتجاف » استخراج أقصى ما فيه – فجعل « مرته » الصبا ، وسوقه وجمعه الجنوب ، وجعل استدراره الشمال ، وقال آخر :

مرتـه الجنوب فلما اكفهر م حلت عزاليـه الشمأل

فجعل استدراره وإخراج ودقه الشمال ، وجعل مريه الجنوب ، ونحو قول أبى تمام قول الهذلى :

مرته النعـامى فلم يعترف خلال النعامى من الشأم ريحا

فأفرد به الجنوب وهى النعامى ، وقطع عنه الشمال ، وإنما جاء اختلافهم فى ذلك من قبل البلدان والأزمان واختلاف الرياح والأمطار فيها .

(١) س ، د : « فى لا نزور الندى » وبهامش س رواية الأصل .

(٢) هى رواية م ، ل ، س ، د ، ظ .

(٣) رويتها ظ .

(٤) البيت لأبى ذؤيب . ديوان الهذليين ١ : ٢٣٢ .

(٥) قال الآمدى فى ظ : « ولا حقبه » أى ولا عمره ومدته ، مأخوذ من قولهم حقب البعير يحقب فهو حقب إذا تعسر عليه البول ، وما أراه إلا هكذا .

١٣ دَعْ عَنْكَ دَعْ ذَا[١] إِذَا انتقَلْتَ إِلى المَدْ
حِ وشُبْ سَهْلَهُ بِمُقْتَضَبِهْ

[ص] ويروى « دَعْ عنك بَرْحًا » أى دَعْ عنك شوقًا إلى هذه الدار واستسقاءً لها إذا أردت المدح ، وشبْ ما اقتضبتَ أى اخترعت ، وهو ما قاله بلا فكر ، بسهله ، وهو ما يقوله بفكر ورويَّة فيكون أسهلَ عليه[٢] .

١٤ إِنِّى لَذُو مِيسَمٍ يَلُوحُ عَلَى
صَعُودِ هـذا الكَلامِ أَو صَبَبِهْ

« الصَّعُود » ما شَقّ على الناس من غريب الكلام ، و « الصَّبَب » ما سَهُلَ منه ، جعل الصَّعُود والصَّبَبَ مثلاً ، و « المِيسَم » العلامة .

١٥ لَسْتُ[٣] مِنَ العِيسِ أَو أُكلِّفَهَـا
وَخْدًا يُداوِى المرِيضَ مِن وَصَبِهْ

« لستُ من العيس » أى لست صاحبَها حتى أكلِّفها سيرًا يشفى صدر المهموم ويُذهب عُدْم الفقير . و « الوَصَبُ » الوَجعُ ، أخذه من قول القطامى :
وسَارَتْ سَيْرَةً تُرضِيكَ منها يَكادُ وَسَيجُها يَشْفِى الصّداعا[٤]

١٦ إِلى المُصَفَّى مَجْدًا أَبِى الحَسَنِ ان
صَعْنَ انصِيَاعَ الكُدْرِىِّ فى قَرَبِهْ

«المُصَفَّى» الذى قد صُفِّى وهُذِّب من العُيوب لمجده وشرفه . و«الانصياع»

---

(١) ل ، م ، ظ : « دع عنك هذا » .

(٢) قال الآمدى فى ظ : وما علمته قال « دع » فى الخروج عن النسيب إلا ها هنا ، « وشب سهله بمقتضبه » « فالسهل » ما يأتيه به خاطره عفواً من غير فكر ولا طلب ، و « المقتضب » ما يقتطعه خاطره اقتطاعاً بالفكر والتعب ، يقال ناقة قضيب وهى التى ريضت ولم تذل كل الذل للحمل والركوب .

(٣) فى ظ : ويروى « لست امرأ العيس » أى لست بعربى .

(٤) الديوان ص ٤٤ .

الأخذ فى ناحية مع الإسراع . وليلة « القَرَب » ليلة ورود الماء[١] .

١٧ تَرْمِى بِأَشْبَاحِنا إِلى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِن مَالِهِ ومن أَدَبِهْ

قال الصولى : حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى ، قال : كان ابن الأعرابى يمضى إلى إسحق الموصلى ، فقال له على بن محمد المدائنى : إلى أين يا أبا عبد الله ؟ فقال : إلى هذا الذى نحن وهو كقول الشاعر :

تَرمى بأشباحنا إلى ملك نأخذُ من مالِه ومن أدَبِهْ

قال : وأظنّ أنه لو علم أنّ أبا تمام قائلُ هذا البيتِ ما تمثل به ، ولم يكن أبو العباس يرويه أيضًا لعصبيتهما عليه[٢] .

١٨ نَجْمُ بَنِى صَالحٍ وَهُمْ أَنْجمُ العـا
لَم مِن عُجْمِهِ ومِنْ عَرَبِهْ

١٩ رَهْطُ الرَّسُولِ الذِى تَقَطَّعُ أَسْـ
بَابُ البَرَايَا غَدًا سِوَى سَبَبِهْ

١٩ – [ص] يعنى الحديث المرفوع : « كل سَبَب ونَسَب ينقطع يوم القيامة إلاّ سببى ونسبى » .

٢٠ مُهَذَّبٌ قُدَّتِ النُّبُوَّةُ والإِسْـ لامُ قَدَّ الشِّرَاكِ[٣] مِن نَسَبِهْ[٤]

٢١ لَهُ جَلَالٌ إِذَا تَسَرْبَلَهُ أَكسَبَهُ[٥] البأْوَ غَيْرَ مُكْتَسِبِهْ

٢١ – [ص] يقال كسَبْتُه مالاً وهى المختارة ، وأبو مُحلِّم لا يُجيزَ غيرها ، وغيره من العلماء يقول كَسَبْتُه وأكسَبْتُه مالاً[٦] يقول : من جلاله

---

(١) « الكدرى » ضرب من القطا وهو الغُبْر الألوان الرقش الظهور والبطون الصفر الحلوق .

(٢) القصة فى كتاب « أخبار أبى تمام » للصولى ص ١٧٧ ، والرواية فيها : « تحمل أشباحنا » .

(٣) ظ : ويروى « قد الأديم » . (٤) هـ ظ : « من حسبه » .

(٥) س : « ألبسه » وروتها ظ .

(٦) قال ابن المستوفى : وإذا جاز أكسبه بالألف فهو أحسن فى السمع ، وإذا كان الشاعر يستعمل فى شعره ما تدعوه الضرورة إليه مما ليس بمستعمل فأن يستعمل ما ورد به النقل أولى . و « البأو » الكبر .

يرى الناسُ له كِبْرًا ولا يفعله ولا يستعمله هو فى نفسه ، كما تقول يعظِّمه الناسُ ولا يتعظَّم هو فى نفسه * يقول : ألبسه قدرُه جلالَة العظمة من غير أن يَسعى فى اكتسابها ، ثم قال :

٢٢ والحَظُّ يُعْطَاهُ غَيْرُ طالِبِهِ ويُحرِزُ الدُّرَّ غَيْرُ مُحْتَلِبَهْ

أى ربما يظفر بالحظ مَن لا يَطلُبه ويُحرز اللبن مَن لا يَحلُبه ، وهذا بيان للبيت الذى تقدمه . [ص] يقول : هو لا يطلب هذا والناس يَروْنه فيه ، وقد تكبَّر غيرُه وهو عند الناس حقير .

٢٣ كَمْ أَعْطَبَتْ (١) رَاحَتَاهُ مِن نَشَبٍ
سَلامَةُ المُعْتَفِينَ فِى عَطَبِهْ

« النَّشَب » المال ، و « العَطَب » الهلاك . أى سلامة الذين يسألونه ووصولُهم إلى ما يُريدون بعَطَب هذا النَّشَب ، أى بذهابه وتَفرُّقه .

٢٤ أَىُّ مُدَاوٍ لِلمَحْلِ نائِلُهُ وهَانِئٌ لِلزَّمَانِ مِن جَرَبِهْ !

« الهانئ » الطالى الإبل بالقَطِران ، وهذا مثل قول الشاعر :

* يَضَعُ الهِناءَ مَواضِعَ النَّقْبِ *

و « الهِناء » القَطِران .

٢٥ مُشَمِّرٌ ما يَكِلُّ فى طَلَبِ الـ ـعَلْياءِ والحَاسِدُونَ فى طَلَبِهْ

أى يَحسدونه وينالون منه بالوقيعة . [ص] ويروى :

مُشمِّرٌ ما يَكِلُّ فى طَلَبِ الـمـ ـجدِ وآلُ العباس فى طَلَبِهْ (٢)

أى هذه عادتهم ويَطلبون المجد .

٢٦ أَعلاهُمُ دُونَهُ (٣) وأَسبَقُهُمْ إلى العُلَى (٤) وَاطِئٌ على عَقِبِهْ

(١) قال الصولى فى شرحه : ويروى « كم أعطيت وهو عندى تصحيف .
(٢) هى رواية س ، هـ د . وفى ظ : ويروى « لا يزال فى طلب المجد وآل العباس فى طلبه » .
(٣) س ، هـ ب : « أعلاهم ذروة » . (٤) م ، ل : « إلى الندى » .

٢٧ يُرِيحُ قَوْمٌ[١] والجُودُ والحَقُّ والـ ـحاجَاتُ مَشْدُودةٌ إلى طُنُبِهْ

[ع] « يُريح قوم » يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون من أراح الرّاعى المالَ على القوم ، أى هذا الرجل إذا أراح الرّعاءُ المال على أربابه فالحاجاتُ مشدودةٌ إلى طُنُب بيته ، أى أنها لا تَسرح فتعود إليه بل هى لازمة له ، والآخر أن يكون « يُرِيح » من الراحة ، يقال أراح الرجل إذا استراح .

٢٨ وهَلْ يُبَالِى إقْضَاضَ مَضْجَعِـهِ
مَنْ رَاحَةُ المَكْرُماتِ فى تَعَبِهْ ؟

« إقضاض مَضْجعه » من قولهم أقَضَّ المضجعُ ، وأصل ذلك أن يكون فيه القِضَّة وهى الحَصَى فيمنع المضطجع من النوم ، ثم قيل لكل ساهر قد أقضّ مضجعُه عليه ولو كان على فرش وطىء . [ص] « وراحة المكرمات » وصولها إلى مستحقّها ، وروى أنّ أعرابيًّا رأى أعرابيًّا جالسًا على ماء يَرمى فيه بدنانير يُولَع بذلك فقال : لقد أراحَتْك النعمةُ وأتعبتَها !

٢٩ تِلْكَ بَناتُ المخَاضِ راتِعَةً والعَوْدُ فى كُورِهِ وفى قَتَبِهْ

يقول : مَن أهمَّه المكارمُ أتعب نفسه فى طلبها وتحمّل المشقات ، وصَبَر على النائبات فى ابتناء المعالى ، والصغير الهمّة لا يهمّه ذلك ، وضرب بناتِ المخاض مثلاً للأغرار ، والعَوْد للمجرّبين الصابرين على المشاقّ . [ص] يقول : مَن كان غِرًّا لا يُعنَى بالمكارم فهو مستريح كبنات المخاض ، والعَوْد هو الذى قد جَرَّب الأمور فهو مُحتمل للكلَف .

٣٠ مَنْ ذَا كعبّاسِهِ[٢] إذَا اصْطَكت الـ
ـأَحْسَابُ[٣] أَمْ مَنْ كَعَبْدِ مُطَّلِبِهْ ؟

أى مَن يفاخره بشرف النسب ؟

---

(١) فى ظ ويروى « يروح قدماً » ، ويروى « قريع قوم » وقال الخارزنجى فى تفسيره : « القريع » الفحل لأنه مقرع من الإبل أى مختار .

(٢) م ، ل ، س ، ظ ، هـ ب « لعباسه . . . لعبد مطلبه » .

(٣) هـ س « الأنساب » .

٣١ هَيْهاتَ أَبْدَى اليقِينُ صَفْحتَـهُ
وبَانَ نَبْعُ الفَخَارِ [١] مِن غَرَبِهْ

[ص] أى بان الكريم من اللئيم ، وفَضَله كما يَفْضُل النَّبْع وهو الشجر الذى تُعمل منه القسىّ من الغَرَب وهو ضعيف ليس كالنَّبْع * [خ] يقول ليس فى أيدى حاسديه شىء ، لأنّ حَسَبَه ظاهر يَعرِفه كلّ أحد ويُوقن أنه لا حَسَبَ كمثله إذْ كان نَسِيبَ النبى صلى الله عليه وسلم [٢].

٣٢ عبْدُ المَلِيكِ بنِ صَالح بن عَلِيٍّ
م بنِ قَسيم النَّبِىِّ فى نَسَبِهْ [٣]

٣٣ أَلْبَسَهُ المجْدَ لا يُرِيدُ بِهِ بُرْدًا وصَاغَ السَّماحَ مِنْهُ وَبِهْ [٤]

٣٤ لُقمانُ صَمْتاً وحِكْمَةً فإذا قَالَ لَقَطْنَا المَرْجَانَ [٥] مِنْ خُطَبِهْ

٣٤ — « المَرجان » صغار اللؤلؤ .

٣٥ إنْ جَدَّ رَدَّ الخُطُوبَ تَدْمَى وإنْ
يَلْعَبْ [٦] فَجِدُّ العَطاءِ فى لَعِبِهْ

[خ] جدُّ العطاء كثرته وإقباله على العافى .

---

(١) س « نبع النجار » وروتها ظ .

(٢) قال ابن المستوفى بعد أن أورد كلام الصولى وكلام الخارزنجى هذا : والقول ما قال الصولى أول.

(٣) س ، ظ : « فى حسبه » .

وشرح البيت فى ظ : أراد « عبد الملك » فأشبع الكسرة فى اللام فنشأت الياء ، كما قال الراعى فى عبد الملك بن مروان :

فأصبح اليوم فى دار مباركة عبد المليك إماماً نوره يقـد

(٤) وشرحه فى ظ : قال أبو يحيى : يقول ألبسه جده لبوس مجد وشرف ، وهو لا يريد به برداً من الأبراد لأن المجد أشرف منه وأكرم ، وصاغ السماح من جده . وقال الخارزنجى ويروى « وصح السماح منه وبه » .

(٥) د : « الياقوت » . (٦) س : « يمزح » .

٣٦ يَتْلُو رِضَاهُ الغِنَى بِأَجمَعِهِ وتُحَذِرُ الحَادِثَاتُ فى غَضَبِهْ

٣٧ تَزِلُّ عَنْ عِرْضِهِ العُيوبُ [١] وقَدْ

تَنْشَبُ كَفُّ الغَنِىِّ فى نَشَبِهْ

ويروى « كف الثناء »[٢]. [ص] أى يُعطى مَن كان مستغنيًا فكيف مَن كان محتاجًا ؟ !

٣٨ تَأْتِيهِ فُرَّاطُنا فَتَحْكُمُ فى لُجَيْنِهِ تَارَةً وفى ذَهَبِهْ

أصل « الفُرَّاط » القوم الذين يتقدّمون الوُرّاد ، وكلّ مُتقدّم فارِط .

٣٩ بِأَىِّ سَهْمٍ رَمَيْتَه فى نَصْلِه المَا

ضِى وفى ريشِهِ وفى عَقَبِهْ ؟ !

[خ] يخاطب الممدوح ، يقول : بأى مادح ظفرتَ منى فى ثنائه وفصاحته ومحبته * ! ؟ وقيل يخاطب الخليفة أى بأى رجل ظَفِر مِن هذا الممدوح ! ؟ والأول هو الوجه .

٤٠ لا يُكْمِنُ [٣] الغَدْرَ للصَّدِيق ولا

يَخْطو [٤] اسمَ ذِى وُدِّهِ إلى لَقَبِهْ [٥]

[ص] أى لا يَغدُر بصديقه ولا يَعيبه ولا يُلقّبه .

---

(١) س : « يداه » .

(٢) روّيها ظ ، وقال الخارزنجى : عرضه أملس لا يعلق به الذم ، ولكن قد تنشب كف الثناء فى نشبه أى تأخذ من ماله ، يعنى المدح يأخذ من ماله ولا يأخذ العيب من عرضه .

(٣) فى ظ : ويروى « لا يضمر » .

(٤) فى ظ : ويروى « ولا يخطى » وفسره بقوله : أخطاه حمله على الخطو ، أى لا يغدر بصديقه ولا يترك اسم ذى وده إلى لقبه الذى يكرهه فيدعوه به ، ويجوز أن يكون « يخطى » أصله الهمز فأبدل ويكون من أخطأ إذا أراد الصواب فصار إلى غيره وهو أليق بالمعنى .

(٥) جاء فى د بعد هذا البيت بيت لم يرد فى سائر الأصول :

أهدى دبابيجه إليك فتى أضاف بالمدح مجتبى كتبه

وهو ظاهر النحل .

٤١ يَـأْبِرُ غَرْسَ الكَلامِ فِيكَ فخُذْ
واجْتَنِ مِن زَهْوِهِ [١] ومِن رُطَبِهْ

يقال « زَهْو » وزُهْو ، مثل ضَعْف وضُعْف ، للبُسْر إذا بَدَت فيه حُمرة أو صُفرة .

٤٢ أَمَا تَرى الشُّكْرَ مِن رَبَائِطِهِ
جَاءَ [٢] وسَرْحُ المَدِيح مِن جَلَبِهْ [٣] ؟!

[خ] يقول : هو يرتبط لك الشكر ويجلب إليك سَرْح المديح فيبيعه منك بمعروفك .

---

(١) فى ظ : ويروى « من زهره » بالراء .
(٢) س ، د ، هـ ب : «فيك» .
(٣) جاء فى ظ : وفى نسخة قديمة :
لما رأى الشكر من ربائطه جاء وسرح المديح من جلبه

٢١

وقال يُخاطب عليَّ بن مَهْرَ ويَستَهديه فَرْوًا[١]:

١ دَنَا سَفَرٌ والدَّارُ تَنأَى وتَصْقِبُ[٢]
ويَنْسَى سُرَاهُ[٣] مَن يُعافَى ويُصْحَبُ

الثانى من الطويل والقافية متدارك .

ويروى « تُنْئى » يقول : إنّ الدار تُباعد مَن يحتويها ويكرهها ، وتُقرّب مَن يَختارها ، ويَحمَد العيش بها ، وينسى تعبَه بسفره مَن استقرّت به دارُه وسَلِم[٤] .

٢ وأَيَّامُنا خُزْرُ العُيونِ عَوابسٌ
إذَا لَمْ يَخُضْهَا[٥] الحَازِمُ المُتَلَبِّبُ

[ع] استعار خُزْرَة العُيون للأيام لأنه من صفات الأعداء . و « الخُزْر » الذين يُضيّقون أعينهم للنظر ، وقيل الأخْزَرُ الذى ينظر بناحية عينه التى تلى الأنف . و « المتلبِّب » المتحزّم للقتال .

٣ ولا بُدّ مِن فَرْوٍ إذَا اجتَابَهُ امْـرُؤٌ
كَفَى[٦] وهو سَامٍ فى الصَّنابِرِ أَغْلَبُ

« الصنابر » شدّة البرد ، الواحد صِنَّبْر .

---

(١) لم ترد هذه القصيدة فى نسخة س .

(٢) د : « تنأى وتقرب » وشرح التبريزى هنا يدل على أنه روى الفعلين « تنأى » و « تصقب » رباعيين .

(٣) ظ : ويروى « وينسى صباه من يقيم » .

(٤) قال ابن المستوفى : أما ما ذكره من الكراهية والاختيار فهو لا يصح لأن الدار قد تباعد من لا يكرها ، وتدنى من لا يختارها .

(٥) ظ : ويروى « إذا لم يحصها » أى يحطها ، ويروى « العابس » .

(٦) ل ، د ، هـ م : « غدا » .

٤ أَمِينُ القُوَى لم تَحْصُصِ (١) الحَرْبُ رَأْسَهُ
ولم يَنْضُ عُمْرًا وهو أَشْمَطُ أَشْيَبُ

٥ يَسُرُّكَ بأْساً وهو غِرٌّ مُغَمَّرٌ (٢)
ويُعتَدُّ (٣) للأَيام حينَ يُجرَّبُ

٥ — [ق] وصف الفرو الذى استهداه . فيقول : هَبْه لى فتيًّا غُمْرًا لم يُمارس الحروب فيحسرَ الشعرَ عن رأسه ، ولم يتقدّم سنه فيشيب ، وهذا مثل ، أى ابعثْه جديدًا لم يتحاتّ وَبَرُه لطول ما لُبِس ، ولا رَقّ جلدُه ولا ضَعُف خرزه . وقوله : « يَسُرّك بأسًا » أى إنما يُنتفَع به ويُدفَع فى حال فتائه ، ولم يُكتَس ولم يُستعمل .

٦ تَظَلُّ البِلادُ تَرتَمى بِضَرِيبِها
وتُشمَل مِن أَقطَارِهَا وهوَ يُجْنَبُ

أى إذا اشتدّ البرد وترامت الأرضون بالصقيع وهبّت الريح شمالاً فى أقطار البلاد ، فهذا الفَرْو يُجْنَبُ ، أى لابسُه يكون دفآن كأنّه فى ريح جَنُوب .

٧ إِذَا البَدَنُ المقرُورُ أُلبِسَهُ غَدَا
لهُ رَاشِحٌ مِن تَحْتِهِ يَتَصَبَّبُ

يريد أنّ هذا الفَرْو إذا أُلبِسه المقرور عَرِقَ فرَشحَ عَرَقُه من جسمه .

---

(١) كذا الرواية فى الأصول كلها ، وانفردت ش برواية « تحصد » . و « الحص » حلق الشعر وذهابه . وقال الصولى فى شرحه : يعنى أن الفرو من سمور أشهب ، فكأنه شاب ولم يطل عمره .

(٢) هـ م : « مهذب » — وفى ظ : ويروى « وهو غير معمر » .

(٣) ق : « ويعور للأيام » وقال المرزوقى فى شرحه على هذه الرواية : فإن جرب وقارع الأيام أعور البيل ولم يعن فيما يستعان به عليه .

وقال ابن المستوفى : وروى عن أبى بكر « ويعور للأيام » أى إذا جرب اعور من قولهم اعور الفارس إذا بدت منه مواضع الطعن والضرب .

٨ إِذَا عَدَّ ذَنْباً ثِقْلَهُ مَنْكِبُ امرِئٍ
يقُولُ الحَشَا : إِحسَانُهُ حين يُذْنِبُ

[ص] يقول إذا استثقل مَنكِبُ الرجل حَمْلَ هذا الفرو ، فعَدّ هذا الثِّقل ذنبًا ، يقول حَشا هذا الرجل : إحسانُ الفرو إلىّ حين يُذنب إليك ، كأنه يُخاطب المَنكِب ، أى كلما ثَقُل عليك أحسن إلىّ .

٩ أَثِيثٌ إِذَا استَعتَبْتَ مُعْصِفَةً بِهِ
تَمَلَّأْتَ عِلْماً أَنَّها سَوْفَ تُعْتِبُ

[ع] « أثيت » أي كثير الصوف الذى فى باطنه . « والمُعْصِفة » الريح الشديدة وهى مثل العاصف . ومن روى « مَصْقَعة[1] » أخذها من الصقيع وهو ما يسقط على الأرض فى الشتاء من النَّدى . وقوله « تملأتَ علمًا » مهموز لأنه من مَلأتُ الإناء .

١٠ يَرَاهُ الشَّفِيفُ المُرْثَعِنُّ فينثَنى
حَسِيرًا وتَغْشَاه الصَّبَا فتَنَكَّبُ

« الشَّفِيف » شِدَّة البَرْد ، قال الراجز[2] :

مَوْثِلُهَا إِنْ عَكَفَ الشَّفِيفُ
الـزَّرْبُ والعُنَّـةُ والكَنِيفُ

و « المُرْثَعِنُّ » أصله المُسترخِي ، وإنما وَصَف الشفيف بذلك لأنه أراد بردًا مع مطر ، لأنّ السحاب يُوصَف بالمُرْثَعِنّ .

---

(١) هى رواية م ، ل ، د وروتها ظ .

(٢) سمط اللآلى ص ٤٣٣ ، وقال الميمنى : الرجز فى الجمهرة ١ : ٢٥٤ ونسبا فى زياداته لسلمة بن الأكوع .

١١ إذا ما أساءَتْ بالثِّيَابِ فَقَوْلُه[١]
لها كُلَّمَا لاقَتْهُ أَهْلٌ ومَرْحَبُ

١٢ إذا اليَوْمُ أَمسى وهْوَ غَضْبَانُ لم يَكُنْ
طَوِيلَ مُبَالاةٍ بِهِ حِينَ يَغْضَبُ

استعار « الغَضَب » لليوم وإنما أراد شدّة البرد .

١٣ كأَنَّ حَوَاشِيهِ العُلَى وخُصُورَهُ
وما انْحَطَّ منه جَمْرَةٌ تَتَلَهَّبُ

« العُلَى » جمع العُلْيا ، والواحدة الحاشية العُلْيا ، وسكّن الياء فى « حواشيه » للضرورة .

١٤ فَهلْ أَنتَ مُهْدِيهِ بِمِثْلِ شَكِيرِهِ
مِنَ الشُّكْرِ يَعْلُو مُصْعِدًا ويُصَوِّبُ؟

[ص] « الشَّكِير » صِغار الريش ، جعل الوَبَر فوقه كالريش فقال : هل أنت مُهديه وعلىّ شكرٌ يكثر ككثرةِ شَكِيره أى وَبَرِه ؟

١٥ لَهُ زِئْبِرٌ يُدْفِى[٢] مِن الذَّمِّ كلَّمـا
تَجَلْبَبَـهُ فى مَحْفِلٍ مُتَجَلْبِبُ

[ع] « له زِئْبر » أى للشكر ، وخفّف الهمزة فى « يُدفى » وهى لغة جيدة [٣] .

---

(١) ظ : « فقولها له » وقال « أساءت » يعنى الصبا .

(٢) وجاء فى ظ : قال الصولى ويروى : « يحمى من الذم » وهى رواية د .

(٣) قال الصولى : الهاء فى « له » للشكر . أى لهذا الشكر زئبر يدفى ويحمى من الذم إذا حويته ، ليس هو مما يدفى من البرد . و « الزئبر » كقنبل ، وقد تضم الباء أو هو لحن ، ما يظهر من درز الثوب .

١٦ فأَنتَ العَلِيمُ الطَّبُ أَىُّ وَصِيَّةٍ
بها كانَ أَوصَى فى الثِّيابِ المُهلَّبُ

[ص] يريد قول المهلَّب: ما رأيتُ أحدًا قطّ بين يدىّ إلاّ أحببتُ أن أرى ثيابى عليه ، فاعلموا يا بَنِىَّ أنّ ثيابكم على غيركم أحسنُ منها عليكم .

٢٢

وقال يمدح محمد بن الهَيْثَم بن شُبَانَةَ من أهلِ مَرْو ، ويهجو أبا صالح ابن يَزْدَاد ويُعَرِّض به ، وكَتَبَ بها إليه :

١ سَلَامُ اللهِ عِدَّةَ رَمْلِ خَبْتٍ
على ابنِ الهيْثَمِ المَلِكِ اللُّبَابِ

الأول من الوافر والقافية متواتر .

[ع] « خَبْت » ها هنا موضع بعينه ، وأصل الخَبْت كل موضع اطمأن وهو مع ذلك سهل .

٢ ذكرْتُكَ ذِكْرَةً جَذَبَتْ ضُلوعى
إليكَ كَأَنَّها ذِكْرَى تَصَابِى

٣ فلا يُغْبِبْ مَحَلَّكَ كُلَّ يَوْمٍ
مِنَ الأَنْواءِ [1] أَلطافُ السَّحابِ

٣ — « أنطاف »[2] و « ألطاف » بالنون واللام جميعًا . « لا يُغْبِبْ » دُعاء له أن يكون سُقياه كلَّ يوم ولا يكون غِبًّا .

٤ سَقَتْ جُودًا نَوَالاً [3] منكَ جَوْدًا
ورَبْعــاً غَيْرَ مُجْتَنَبِ الجَنَابِ

قوله « سَقَتْ » أى أنطافُ السحاب ، و« جُودًا » مفعول به ، و« نَوالاً »

---

(١) س ، د : « من الأيام » .

(٢) هى فى هـ ب ، هـ ش .

(٣) ل : « تولى » — م ، س ، د : « توالى » — وفى ظ : ويروى : « سقى جود توالى منك جَوْداً » .

مفعول ثان ، و « جَوْدًا » الثانى صفة لـ « نوالاً » ، و « رَبْعًا » عَطْف على « جُودًا » الأوّل .

٥ فَثَمَّ الجُودُ مَشْدُودَ الأَوَاخى
ونَمَّ المجْـدُ مَضْرُوبَ القِبَـابِ

٦ وأَخلَاقٌ كأَنَّ المِسْكَ فِيهَـا
بِصَفْوِ الرَّاحِ والنُّطَفِ[1] العِذَابِ

٧ وكَمْ أَحييتَ مِن ظنٍّ رُفَاتٍ
بها وعَمَرْتَ مِن أَمَلٍ خَـرَابِ

استعار « الرُّفات » للظن وإنما هو للعظام البالية ، يُقال رَفَتَها البِلَى رَفْتًا إذا قَطّعها ، وكذلك رَفَتَ الأَسَدُ الفريسة .

٨ يَمِينُ مُحمَّدٍ بَحْرٌ خِضَمٌّ
طَمُوحُ المَوْجِ مَجْنُونُ العُبَابِ

[ص] تقول العرب جُنَّ النباتُ إذا تكاثَف وحَسُن ، وكذلك يقولون فى كل شىء حَسَن مُفرِط ، فأراد أن العُباب – وهو أرفع مواضع الماء – مُتزايد ، شَبّه جُودَ هذا الممدوح به [2] .

---

(١) م ، ل ، ب ، د : « بالنطف »
قال الصولى فى شرحه : « النطفة » الماء القليل والكثير ، قال على رضوان الله عليه يوم النهروان فى الخوارج : والله ما جاوزوا النطفة . وقال الهذلى (معقل ابن خويلد) :
فإنهمـا لجـوابا خروق وشرابان بالنطف الدوامى

(٢) جاء فى ظ قال المرزوقى فى كتابه الانتصار : اعتسف (أى الصولى) فى هذا التفسير ، ولا أرى قوله « يصفون كل شىء حسن مفرط بالجنون » صواباً ، وإنما ذكر الجنون هنا فى « العباب » يشير به إلى اهتياج البحر واضطراب الماء وارتفاع الأمواج ، وهذا كما قال تأبط شراً .
حتى نجوت ولما ينزعوا سلبى بواله من قبيض الشد غيداق
فجعل العدو والهاً ، وهذا قريب كما ترى .

٩ تَفِيضُ[١] سَماحةً والمُزْنُ مُكْدٍ
وتَقْطَعُ والحُسَامُ العَضْبُ نَابِ

[ص] و « المُزْن مُكْد » أى لا مَطَر فيه . يقول : تَقطع يَمينُه كلَّ خَطْب تنبو فيه السيوف بقلم تكتب به ، أو سلاحٍ تعمل به .

١٠ فَداكَ أَبا الحُسَيْنِ مِنَ الرَّزَايا
ومِن ذَاجى حَوادِثِهـا الغِضَابِ[٢]

١١ حَسُودٌ قَصَّرتْ كَفَّاهُ عنْهُ وكَفُّكَ للنَّوَال[٣] وللضِّرَابِ

١١ — [ص] يعنى أبا صالح ، و «عنه» أى عن الحسود ، يقول : قَصَّرت كفَّاه عن أن يَجود على نفسه ، فكيف يجود على غيره ، وعن أن يَحمى نفسه فكيف يحمى غيره ؟!

١٢ ويَحسُبُ مايُفِيدُ بلانَوال[٤] وتُعْطِى ما تُفِيدُ بلا حِسَابِ

١٣ ويَغْدُو يَسْتَثِيبُ بِلانَوَال ونَيْلُكَ كُلُّهُ لا للثَّوَابِ

ويروى :

ويَغْـدو يَستثِيبُ بلا نَوال وأنت فقد تُنِيلُ بلا ثَوَابِ[٥]

[ص] ويروى :

* وأكثرُ ما تُنِيلُ بلا ثَوَابِ[٦] *

قال الرَّادُّ على هذه الرواية : إنّ الأكثر كذا ، وقد تُنيل لثوابٍ وهو قليل ،

(١) س ، د : « يفيض » ، و « يقطع » .
(٢) ظ ، هـ ب : « الصعاب » .
(٣) م ، ل ، د ، ظ ، هـ ب : « الطعان » .
(٤) س ، ل ، م ، د ، ظ ، : « بلا عطاء » .
(٥) هى رواية م ، ل .
(٦) هى رواية س ، د .

وهذا خطأ ، والصحيح الأوّل . (ق) : الذى يزعمه هَرَب منه فى رواية مَن يروى : « وأكثرُ ما تُنيل بلا ثَواب » هو حاصل فى رواية نفسه ، لأن قوله : « وأنت فقد تُنيل بلا ثَواب » يقع منه فى النفس أنه ينيل للثواب كثيراً ، وقد يُنيل بلا ثواب ، وهذا شرٌّ مما أنكره فى قوله : « وأكثرُ ما يُنيل بلا ثَواب » ، ولا أدرى ما الذى أحوجه إلى فَحْوَى الخطاب وهو يرى العرب يستعملون القِلّة ويُريدون النفى ، والكثْرةَ ويريدون الدوام ، تقول فلّما يفعل زيد كذا والمعنى أنه لا يفعل ذلك ، وهى تقول فى ضده كَثُرَ ما يفعل زيد يريدون الاستمرار[1] ، وإذا كان كذلك فالرواية الصحيحة : «وأكثر ما تُنيل بلا ثواب » وإنما يُفضّل الممدوح وهو محمد بن الهيثم على أبى صالح بن يَزْداد فتعريضه به ، أى إذا كان ذلك يطلب الثواب بلا نائل فإنك تُنيل ولا تطلب الثواب[2] .

١٤ ذكَرتُ صَنِيعَةً لكَ أَلْبَسَتْنى أَثِيثَ المالِ والنِّعَمِ الرِّغابِ

١٥ تَجَدَّدُ كُلَّما لُبِسَتْ وتَبْقَى إذَا ابتُذِلَتْ وتُخْلِقُ فى الحِجَاب

١٥ – [ص] يقول : كلما ذُكرتْ هذه النِّعم التى لك علىّ وأُظهرتْ تَجدّدَ ذِكْرُها واستجرَّتْ مِثلَها ، وإذا سُتِرتْ وحُجِبَتْ أخلقت .

١٦ إذَا مَا أُبْرِزَتْ زَادَتْ ضِيـــاءً
وتَشْحُبُ وَجنتَـــاها فى النِّقَابِ

---

(١) أتى المرزوق هنا بشاهد كما جاء فى ظ ، قال : وقد فسر قول الشاعر :

فإن أك فى شراركم قليلا فإنى فى خياركم كـــثير

على أن المعنى إن لم أعـــدد فى شراركم فليس لكم خيار غيرى ، وإذا كان كذلك فالرواية الصحيحة . . . إلخ .

(٢) وبقية كلام المرزوق كما جاء فى ظ : على أن طلب الحمد من المنعم ليس بعيب ، وإن كان يحسن التغميض فى استيفاء الشكر ، وترك تدقيق المحاسبة فيه ، وقد يعبد الله عز وجل بشكر نعمته ، وهو واجب فى عقل كل عاقل . ورد المرزوق هذا لم يرد فى كتابه الذى بين أيدينا ، والراجح أنه من كتابه الانتصار .

١٧ وليسَت بالعَوَانِ العَنْسِ عندى
ولا هى منكَ بالبِكْرِ الكَعَابِ

١٧ — (ع) «العَوَان» التى قد وَلَدت بطنين أو ثلاثة ، وقد عاب بعضُ أهل العلم هذا البيتَ لقوله «العَنْس» وقال : لم نسمع العَنْس إلاّ فى صفة الناقة ، كأنه يذهب إلى أنه أراد العانِس فوَضَع العَنْس مكانها ، ويجوز أن يكون هذا غلَطًا على الطائى ممَّن عابه ، إذْ كان مِثلُه مع أدبه لا يَغيب عنه مثلُ ذلك ، والعانِس التى تُحبَس عن التزويج بعد البلوغ حتى تَبلُغ عشرين سنةً أو أكثر ، ويُستعمل هذا الوصف للرجال والنساء ، ويقال عَنَّستِ المرأةُ تَعنيسًا ، و «العَنْسُ» الناقة الشديدة المُسِنَّة . ويحتمل أن يكون أبو تمام أراد : ليست صَنيعتك عندى مثلَ الناقة التى هى عَوَان قد أسنَّتْ إذْ كنتَ تُجدِّدها فى كل حين ، «ولا هى منك بالبِكْر الكَعاب» أى ليست أوّلَ صنائعك [١] .

١٨ فَلا يَبْعُدْ زَمَانٌ مِنكَ عِشْنَا بِنَضْرَتِهِ ورَوْنَقِهِ العُجَابِ
١٩ كأَنَّ العَنْبرَ الهِنْدِىَّ فِيهِ وفَأْرَ المِسْكِ مَفْضُوضَ الرُّضَاب

١٩ — يريد : بـ«الرّضاب» ما فى داخله من المسك [٢] . و «مفضوض» مفكوك مشقوق . ويروى «العنبر العَدَنىّ» [٣] .

---

(١) فسر الصولى والمرزوقى هذا البيت على ما تضمنه شرح أبى العلاء ، ولم يتعرضا فيه للفظة «العنس» ، وإنما خالف الصولى فى تفسيره للعوان بقوله : (ويكون قوله «بالعوان» أى لم أمدح بها سواك) ، أما المرزوقى فقد قال : ليست هذه العارفة عندى بالعوان العنس ، أى زفت وهى بكر عوارفك عندى ، فجاءت غضة لم تعنس ، أى لم أمطل بها كالتى قعدت بعد بلوغ النكاح أعواماً لا تنكح ، وهى على ذلك ليست ببكر عطياتك وأولى منائحك ، ولكنك تأتى بأمثالها كل وقت .

وقال ابن المستوفى : وكرر أبو تمام معنى بيته فقال :

وصنيعة لك ثيب أهديتهـا وهى الكعاب لعائد بك معرم
حلّت محل البكر من معطى وقد زفت من المعطى زفاف الأيم

(٢) فى ظ : فى حاشية الكتاب العجمى : «الرضاب» الدقاق المنتشر ، يقال للدقاق الثلج المنتشر رضاب ، فإن صح هذا فهو أولى من الأول .

(٣) هى رواية م ، ل ، س ، د ، ظ ، هـ ب .

٢٠ لَيالِيهِ لَيالِي الوَصْلِ [١]تَمَّتْ بِأَيَّام كأَيَّامِ الشَّبَابِ

٢١ أَقُولُ بِبعضِ ما أَسدَيْتَ عندِى
وما أَطْلَبْتَنِى قَبْلَ الطِّلَابِ [٢]

٢١ – [ع] يقال « أطلبتُ » الرجلَ إذا بلّغتَه مَطْلَبَه ، و « وأطلبْتُه » إذا أحوجتَه إلى أن يطلب، ولذلك قالوا كَلأٌ مُطْلِبٌ وماءٌ مُطْلِب أى بعيد يَحتاج إلى الطلب . وإنما يستحق الرجل أن يقال له أطلبتنى إذا طُلِب منه الشىء فمَكَّن منه ، وصَحَّ أن يقول الشاعر « أطلبتنى قبلَ الطِّلاب » لأنّ الطلب قد يكون فى النفس من غير أن يُواجَه به المطلوب منه ، فكأنّ المعنى : كنتُ أطلب شيئًا فبلَّغتنيه قبل أن أطلبه منك .

٢٢ ولَوْ أَنِّى استَطَعْتُ لَقَامَ عَنِّى
بِشُكْرِكَ مَنْ مَشَى فَوْقَ التُّرَابِ [٣]

٢٣ إِذَا شَكَرَتْكَ مَذْحِجُ حَيْثُ كانَتْ
بَنُو دَيَّانِهَا وبَنُو الضِّبَابِ

٢٣ – « مَذْحِج » لقب امرأة ، واسمها مُدِلَّة وقيل دَلَّة ، وقيل سُمِّيت مَذْحِج لأنها وُلدت فوق أكَمَة فانذحَجتْ من أعلاها إلى أسفلها . وقال قوم بل الأكَمَة كان يُقال لها مَذْحِج ، وطىّ من وَلَدها إلاّ أنهم لا يُنسَبون إليها ، وغلَب عليهم اسمُ أبيهم ، ونُسِب إليها إخوتُهم ، فذكرها الطائى ثم ذكر قُضاعَة لما تَدَّعيه من القُربَى إليهم ، وذكَر غيرَهم من العرب لأن الإصهار فى القبائل وتَزوُّجَ بعضِهم إلى بعض صَيَّر بينهم أسبابًا من الخؤولة والقَرابة .

(١) س : « ليالى الحب » وبهامشها رواية الأصل .
(٢) فى ظ : وروى قبل « اطلابى » وهى فى هـ ب .
(٣) س : « عظم من فوق التراب »

٢٤ وجِئْتُكَ فى قُضَاعَةَ قد أَطَافَتْ
بِرُكْنَىْ عَامِرٍ وبَنِى جَنَابِ

٢٥ ولاسْتنجدْتُ حَنظَلَةً وعَمْـــرًا
ولم أَعْدِلْ بِسَعْدٍ والرِّبابِ

٢٥ — أى لم أعدِلْ بهما أحدًا ، يعنى سعد بن زيد مَنَاةَ بن تميم ، و« الرِّبابُ » من بنى عبد مناةَ بن أدّ بن طابخة ، سُمُّوا بذلك لأنهم تحالفوا على رُبٍّ ، وقيل إنما سُمُّوا بذلك لأنهم ضُروب شتَّى فشُبِّهوا بالرِبَّة وهى ضُروب من النَّبْت .

٢٦ ولاسْتَرْفَدْتُ مِن قَيسٍ ذُرَاهَا بنِى بَدْرٍ وصِيدَ بَنِى كِلاَبِ

٢٧ ولاحتفَلَتْ رَبِيعَةُ لِى جَميعاً بِأَيَّامٍ كَأَيَّامِ الكُلاَبِ

٢٨ فأَشْفِى مِن صَمِيمِ الشُّكر نَفْسى
وتَرْكُ الشُّكرِ أَثقلُ لِلرِّقَابِ[1]

٢٩ إليْكَ[2] أَثرتُ مِن تَحْتَ التَّرَاقِى
قَوَافِىَ تَسْتَدِرُّ بلا عِصابِ

٢٩ — [ص] « العِصَابُ » أن يُعصَبَ فخذ الناقة إذا لم تَثبُتْ للحالب . وقوله : « أثرتُ » أى أثرتُها من قلبى ونَطَقتُ بها لسانى .

٣٠ مِنَ القِرْطاتِ فى الآذان تَبْقَى
بَقَاءَ الوَحْىِ فى الصُّمِّ الصِّلاَبِ

[ع] ويروى « من القُرُطات » بضم القاف والراء ، وهو جمع قُرْط ،

(١) س : « فى الرقاب » (٢) س : « وقدنا ذاك » ، ورواية الأصل بهامشها .

على حَدِّ قولهم حَمَّام وحَمَّامات وسِجِلّ وسِجِلّات ، وإذا رُوِى « قِرَطات » فهو جمع الجمع ، كأنهم قالوا قُرْط وقِرَطة ثم جمعوا القِرَطَة جمعًا ثانيًا . و « الوحْى » هنا الكتاب . ويعنى بـ « الصَّم الصِّلاب » الصَّخر ، لأنهم كانوا ينقرون فيها ما يكتبون فهو أبقى لها :

٣١ عِرَاضَ الجَاهِ تَجْزَعُ كُلَّ وَادٍ مُكَرَّمَةً وتَفْتَحُ كُلَّ بَابِ

٣٢ مُضَمَّنَةً كَلَالَ الرَّكْبِ تُغْنِى غَنَاءَ الزَّادِ عنهُمْ والرِّكَابِ

٣٢ – [ع] يريد أنّ هذه القوافى مُضمَّنة إزالةَ كلال الرَّكْب ، فحذف ، لأن المعنى مفهوم * كما قال المرقِّش [١] :

ليسَ على طُول الحياةِ نَدَمْ
ومِن ورَاءِ المـرءِ ما يَعلمْ

يريد ليس على فوات طول الحياة . وكان أبو رِياش والنَّمرى يذهبان فى قول الخنساء :

يا صَخْرَ وُرَّادِ ماء قد تَنَاذَرَه أهلُ الموارِدِ ما فى وِرْدِه عَارُ

إلى أن المعنى ليس فى تَرْك وِرْده عار ، ويُشبِّهانه ببيت المُرقِّش . [ع] وإنما يريد الطائى أنّ المسافرين يستغنون بإنشادها عن الزَّاد والرِّكاب ويتعلَّلُون بها فى الإدلاج * وهذا كما قال الآخر :

بها تُنقض الأحلاسُ والديكُ نائمٌ وتُعْقَد أنساعُ المطىِّ وتُطلَقُ

وكانوا يقولون لبعضهم فى السفر : عَلِّلْنا ، فيُنشدهم ويُغنِّيهم ، وذلك عَنَى خِداش بن زهير بقوله :

كذبتُ عليكم أوْعِدونى وعَلِّلوا بِى الأرضَ والأقوامَ قِرْدَانَ مَوْظَبَا [٢]

وقال ذو الرمة :

بمىٍّ إذا أدلجتما فاطْرُدَا الكَرَى وإن كان آلَى أهْلُها لانَطُورُها [٣]

---

(١) المفضليات ٢ : ٣٩ البيت ١٥ .

(٢) نوادر أبى زيد ص : ١٧ ، ولسان العرب مادة « وظب » وقال فى معناه : عليكم بى و بهجائى يا قردان موظب إذا كنت فى سفر فاقطعوا بى الأرض . و « موظب » كقعد أرض معروفة . و « قردان » جمع قراد .

(٣) الديوان ص : ٣٠٤ .

٣٣ إذَا عارَضْتَها[١] فى يَوْمِ فَخْرٍ مَسَحْتَ خُدودَ سَابِقَةٍ عِرَاب

[ص] أى إذا فاخرتَ بها فى يوم فخر سَبَقْتَ ، وهذا مثل .

٣٤ تَصِيرُبها وِهَادُ الأَرْضِ هَضْباً وأَعلَاماً وتَثْلِمُ فى الرَّوَابى

[ويروى] «وهادُ القوم»[٢] ، أى ترفع مَن يُنشِدها[٣] .

٣٥ كَتَبْتُ ولو قَدَرْتُ جَوًى وشَوْقاً
إليكَ لكنْتُ سَطْرًا فى كِتابى[٤]

---

(١) ص ، هـ د : «وإن أجريتها» .

(٢) هى رواية ص ، هـ ب .

(٣) جاء فى ظ قال الصولى : «وتثلم فى الروابى» يريد أنها قواف شديدة . وقال ابن المستوفى : ولو قال قائل إنه أراد إذا أنشدت صارت الوهاد بالتعلل بها وبإنشادها فى سهولة قطعها أعلاماً وهضاباً ، يعنى قطعت بها الوهاد كما تقطع الهضاب والأعلام لسهولة قطعها ، وهذا نحو قوله «وتجزع كل واد» وكذا قوله «تثلم فى الروابى» أى تقطع أيضاً بإنشادها فكأن الروابى تثلم بذلك .

(٤) م ، ل : — «الكتاب» — ص ، د :
ولو أنى قدرت هوى وشوقا لكنت إليك سطراً فى كتابى

٢٣

وقال يمدحه [محمد بن الهيثم بن شبانة][1] :

١ دِيمَةٌ سَمْحَةُ القِيَادِ سَكُوبُ
مُسْتَغِيثٌ بِهَا الثَّرَى[2] المَكْرُوبُ[3]

الأول من الخفيف والقافية متواتر .

٢ لَوْ سَعَتْ بُقْعَةٌ لإِعْظَامِ نُعْمَى
لَسَعَى نَحْوَهَا المكانُ الجَدِيبُ

٣ لَذَّ شُؤْبُو بُهَا وطاب[4] فَلَوْ تَسْـ
ـطِيعُ قامَتْ فعَانَقَتْها القُلوبُ[5]

٤ فهيَ مَـاءٌ يَجرِى وماءٌ يلِيهِ
وعَزَالٍ تُنْشَى[6] وأُخرَى تَذُوبُ

٥ كشَفَ الرَّوْضُ رأْسَه[7] واستَسَرَّ
المَحْلُ منها كمَا اسْتَسَرَّ المُرِيبُ

---

(١) لم ترد هذه القصيدة فى س . وجاء فى ظ : فى نسخة ابن الليث : هذه الأبيات فى أبى جعفر محمد بن آدم الرازى .

(٢) ظ : ويروى « البرى » أيضاً ، قال : ومنه اشتقت البرية وهو الخلق لأنهم من التراب .

(٣) شرحه ابن المستوفى قال : « الديمة » مطر أيام يدوم بالثرى . والمعنى أن الثرى المكروب ، يعنى الذى يمطر ، يستغيث إليها من عطشه لتمطره . قال الخارزنجى : يقول جادت ديمة سمحة القياد للجنوب تستدرها كيف شاءت ، ويستغيث بها المكان المستمطر فتغيثه .

(٤) ب ، م ، ل : « وطابت » .

(٥) د : « جاءت فصافحتها القلوب » ، وفوقها بين السطور « فعانقتها » .

(٦) د : « تهمى » .

(٧) د : « أبرز الروض وجهه » وفوقها بين السطور رواية الأصل .

٦ فإذا الرَّىُّ بعْدَ مَحْلٍ وجرْجـا
نُ لَدَيْها يَبْرِينُ أو مَلْحُوبُ

٦ — [ع] يريد أن الجَدْبَ أصاب الرّى وجرجان ، ثم جاءهما المطر فأخصبتا فكأنهما يَبرِين ومَلحُوب ، وهما موضعان من أرض العرب ، ويحتمل أن يريد اجتماع الوفود إليهما فى الخِصْب ، فكأنهما لكثرة مَن ينزلهما من العرب هذان الموضعان [١] . [ص] غيره يقول : من شدة هذه الدّيمة ودوامها صارت البلدان صَحارِى مما هدّمتها ، وهذا مثل قوله أيضًا :

فأتَتْ بمنفعةِ الرّياضِ وضَـرّها أهلَ المنازِلِ ، ألسُنَ الوُصّافِ [٢]

٧ أيُّها الغَيْثُ حَيِّ [٣] أَهْلاً بمغْدَا
كَ [٤] وعِنْدَ السُّرَى وحِينَ تَؤُوبُ

(ع) « أيها الغيثُ حَيَّهَلاً » شدَّدَ « حَيَّهَلاً » ولا تُعرف إلاّ مخفّفة اللام كما قال الشاعر :

بِحَيَّهَلاً تُزْجُونَ كلَّ مَطِيَّةٍ أمامَ المطايا سَيْرُها مُتَقاذِفُ

وأصل هذه الكلمة فى الدّعاء ، يُقال حَيَّهَلاً يا رجل ، قال لبيد :

* ولقد يَسمَعُ قولى حَيَّهَلْ [٥] *

وإنما قال حَيَّهَلاً بالغيث أى أنه يجب أن يُفرحَ به ويُرغبَ فى قُربه ، ومن

---

(١) ذكر الخارزنجى فى ظ الوجه الأول وهو خصب يبرين وملحوب بهذه الديمة بعد الجدب ، قال وهما موصوفان بكثرة العشب والكلأ فلذلك ألفهما الوحش .

(٢) فى ظ تكملة لشرح الصولى هى : وقال . — « الرى » و « جرجان » لأنهما بلدان كثيرا المطر شتاء وصيفاً .

(٣) فى متن الأصول كلها « حى أهلا » وشرح التبريزى هنا الذى يبدأ برواية العلاء « حيهلا » يوحى بأنها الرواية ، غير أن التبريزى فى شرحه لم ينف رواية المتن وهى « حى أهلا » .

(٤) قال الصولى : وروى الناس « حى أهلا ببغداد » و « بمغناك » أيضاً ، وهو تصحيف .

(٥) البيت :

يتمارى فى الذى قلت لـه ولقد يسمع قولى حيهـل

(الديوان ص : ١٣)

ذلك الحديث : « إذا ذُكر الصالحون فحيَّهلاً بعُمَر » أى ينبغى أن يُذكَر ويُقدَّم . ويجوز أن يكون الطائى سمعها مُشدَّدةً فى شىء من شعر العرب ، ولو كانت فى قافية لجرت مجرى قوله :

* كأنَّ مَهْواها على الكَلْكَلِّ *

« والمَغْدى » من الغُدوّ . و « المسْرى » من سُرَى الليلِ . و « تَؤُوبُ » أصلُ الإياب أن يجىء الرجل مع الليل ، وكَثُرَ ذلك حتى قيل للغائب إذا قَدِم قد آب * ومن روى « حيَّ أهلاً » فهذه كلمة مرفوضة إلاّ أن يجعل « حيَّ » فى معنى هلُمَّ ويَنصِب « أهلاً » بفعل مُضمَر ، ويجوز أن تُكسرَ الياءُ فى معنى التحية ، أى حيِّ أهلاً حاضرين بمغداك[1] .

٨ لِأَبِى جَعْفَرَ خَلائقُ تحْكِيـ
ـهِنَّ قَدْ يُشْبِهُ النَّجِيبَ النَّجِيبُ

٩ أَنتَ فِينَا فى ذا الأَوانِ غَرِيبٌ
وهْوَ فِينَا فى كُلِّ وَقْتٍ غَرِيبُ

٩ – [ص] « أنت » يخاطب الغيث ، و « هو » يعنى الممدوح ، و « غريب » لأنه لا يوجد له شبيه أبدًا .

١٠ ضَاحِكٌ فى نَوائِبِ الدَّهْرِ[2] طَلْقٌ
ومُلوكٌ يَبْكِينَ[3] حِينَ تَنُوبُ

(ق) يصفه بأنه لا يجمع المال ولا يحفظه بل هو نَهْب ، إمّا للنائبات التى تَنوب على العادة المألوفة فى الأزمنة ، وإمّا بأن يسلّط عليه من النوال والإعطاء

---

(١) قال ابن المستوفى : وكسر الياء أحسن لعدم التحمل ، والباء فى « بمغداك » تتعلق بـ « حى » فعل الأمر لا بصفة « أهلا » المحذوف ، لأن الباء فيه ليست ظرفاً للأهل ، وإنما أراد حى بمغداك أهلا ، أى وقت مغداك ، ليوافق ما بعده ، ولم يرد حيه بمغداك ، أى اجعل تحيته بغدوك ، كما تقول حيه بالسلام.

(٢) د : « الخطب » – ق : « يحدث النائبات أو تعتريه » .

(٣) فى الأصول كلها « يبكون » عدا نسختى ب ، ش .

ما يجرى مَجْرى النوائب فيفرّقه ، قال : والملوك ليسوا على هذا بل يَضِجُّون من الخُطوب إذا حلّت بساحتهم وأثّرت فى أحوالهم ، ويَدلّ على هذا ما بعده وهو :

١١ فإذَا الخَطْبُ رَاثَ[١] نَالَ النَّدَى والـ
ـبَذْلُ مِنْهُ مَا لاَ تَنَالُ الخُطوبُ[٢]

١٢ خُلُقٌ مُشْرِقٌ ورَأْىٌ حُسَامٌ
ووِدَاهٌ عَذْبٌ وريحٌ جَنُوبُ

[ص] « ريح جنوب » مثَل ، أى ناحيته تُغنى كما أن الجنوب تأتى بالغيث، وبها يكون الخِصْب ، وقيل : ريحه جنوب تجمع إليه المعُفاة كما تجمع الجنوبُ السحاب[٣] .

١٣ كُلَّ يَوْمٍ لَهُ وكُلَّ أَوَانٍ خُلُقٌ ضَاحِكٌ ومَالٌ كَئِيبُ

[ص] هذا هو قول أبى نواس :

تبكى البُـدورُ لضِحْكه والسيفُ يَضحك إن عَبَسْ

١٤ إنْ تُقَارِبْهُ أَوْ تُبَاعِدْهُ مَا لَمْ
تَأْتِ فَحْشَاءَ فَهُوَ مِنْكَ قَرِيبُ

---

(١) م ، ل ، ظ ، د : « طال » .

(٢) قال الصولى فى شرحه : إذا طال الخطب فبلغ كل مبلغ نال نداه و بذله و راء ذلك حتى يزيله ، فنال منه الندى أكثر من ذلك . وقال ابن المستوفى : والذى أراه أنه أراد أن هذا الممدوح كلما أطال عليه الخطب نال منه الندى والبذل فى إنفاق ما له مالا تنال الخطوب منه . ويجوز أن تكون الهاء فى « منه » عائدة على ماله و يكون قد حذف المضاف إليه . وفى نسخة : أى هو أذهب لماله من الخطوب ، و « منه » أى من الممدوح . وقال الخارزنجى : ويروى « وإذا الخطب زال » .

(٣) بقية كلام الصولى كما جاء فى شرحه : وهذا المعنى الأخير من قول الشاعر :

ليالى إذ سمع الغـوانى وطرفهـا إلى وإذ ريحى لهـن جنوب

أى أجمعهن بحسنى وشبابى ، كما تجمع الجنوب الغيم .

١٥ ما التَقَى وَفْرُهُ ونَائِلُهُ مُذْ كانَ إلاَّ وَوَفْرُهُ المَغْلُوبُ

١٦ فهْوَ مُدْنٍ لِلجُودِ وهو بَغِيضٌ
وهْوَ مُقْصٍ للمالِ وهْوَ حَبِيبُ

١٦ – « مُدْنٍ للجود » من نفسه إكرامًا له ، وهو بغيض عند غيره ، و « مُقْصٍ » أى مُبعِّد [للمال] من نفسه وهو حبيب إلى الناس كلهم .

١٧ يَأْخُذُ الزَّائِرِينَ[1] قَسْرًا ولَوْ كَفَّ
(م) دعاهُمْ إليْهِ وَادٍ[2] خَصِيبُ

١٨ غَيْرَ أَنَّ الرَّامِي المُسَدِّدَ يحْتَا
ط مَعَ العِلْمِ أَنَّهُ سَيُصِيبُ

١٨ – [ص] يقول : يأخذ الزائرين قَسْرًا ولوكفَّ لجاؤوه ، فمثله كمثل الراعى الحاذق ، يعلم أنه يصيب كيف رمَى ، ومع ذلك يحتاط بأن يصنع صَنِيعًا جيدًا .

(١) ظ : ويروى « يأخذ المعتفين » وهى رواية د .
(٢) فى ظ : روى الخارزنجى « جزع خصيب » .

٢٤

وقال يعود محمد بن عبد الملك الزَّيات فى علَّته [١] :

١ لا عَيْشَ أَوْ يَتَحَامَى جِسْمَكَ الوَصَبُ
فَتَنْجَلِى بِكَ عَنْ خُلْصَانِكَ[٢] الكُرَبُ

الأول من البسيط والقافية متراكب .

« الوَصَبُ » دوام المرض ، وعَذابٌ واصِبٌ أى دائم ، وأوصَبَ الحمارُ إذا دامَ على سَوْق أتُنِه ، قال العجّاج :

* إذا رَجَتْ مِنْه نجاءً أو صَبَا [٣] *

٢ لَعاً أَبَا جَعْفَر واسْلَمْ فَقَدْ سَلِمَتْ
بِكَ المُرُوءَةُ واستَعْلَى بِكَ الحَسَبُ

« لَعًا » كلمة تقال للعاثر ، معناها انتعشْ من عثرتك ، واستعارها للمرض لأنه جعله كالعِثار .

٣ إِنَّا جَهِلْنا فَخِلْنَاكَ اعتَلَلْتَ ولا
واللهِ مَا اعتَلَّ إِلَّا المُلْكُ[٤] والأَدَبُ

---

(١) قال الصولى : وقيل هى فى غيره .

(٢) د : « عن إخوانك النوب » ورواية « الكرب » فوقها — هـ ب : « إخوانك » .

(٣) ب ، ن : « إذا رجت منه رجاء » .

(٤) ل ، م : ويروى : « إلا الظرف والأدب » .

٢٥

وقال [فيه][1] أيضًا :

١ يا مَغْرِسَ الظَّرْفِ وفَرْعَ الحَسَبْ
ومَنْ بهِ طَالَ لِسَانُ الأَدَبُ[2]

٢ إنَّا عَهِدْنَاكَ أَخَا عِلَّةٍ بِالأَمْسِ نَالَتْكَ بِبَعْضِ الوَصَبْ

٣ فَكَيْفَ أَصْبَحتَ ولا زِلْتَ فِى عَافِيَةٍ أَذْيَالُهَا تَنْسَحِبْ ؟

٣ — كسرة الحاء سِناد عند الخليل ، وعند الأخفش ليس بسناد .

---

(١) زيادة عن د .

(٢) هـ ل ، هـ م : « لسان العرب » .

٢٦

وقال :

١ أَبَا جَعْفَرٍ أَضْحَى بِكَ الظَّنُّ مُمْرِعاً
فَمِلْ بِرَوَاعِيهِ عَنِ الأَمَلِ الجَدْبِ

« رَواعِيه » أوائله ومَبَاديه[1] .

٢ فَوَاللهِ مَاشَيءٌ سِوَى[2] الحُبِّ وَحْدَهُ
بِأَعْلَى مَحَلًّا مِن رَجائِكَ فى قَلْبِى

آخر البائيات فى الأصل وفى نسخة المرزوقى .

---

(١) قال ابن المستوفى : أراد جمع راعيه ، إما للمبالغة فى المذكر ، وإما على أصل المؤنث ، وجاء بذلك لقوله « ممرعاً » وهو الكثير النبات ولقوله : « الأمل الجدب » .

(٢) ظ : ويروى « سوى الود » ويروى « سوى أن تعيش لى » .